المواني والثغور المصرية

من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي

دكتورة / صفاء حافظ عبد الفتاح
كلية الآداب - جامعة بنها

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير الكتـــاب

يسرنى أن أقـــدم مؤلفا جـــديدا ، يتناول : « الثغور المصرية من الفتح الاسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى » • وقـــد مهـــدت المؤلفـــة لدراستها هـــذا الموضوع بالتحـــدث عن التعريف الجغرافى لمناطق الثغور ، فقسمت ثغور مصر بحسب موقعها الى ثلاثة أقسام ، قسم يقـــع على الحـــد الشمالى لمصر ، ويطل على بحر الروم ، ويضم ثغور الفرما وتنيس ودمياط ورشـــيد والاســـكندرية ، وقسم يقـــع على الحـــد الشرقى لمصر ، ويضم ثغور القلزم والقصير وعيذاب ، وقسم يقـــع على الحـــد الجنوبى لمصر ويضم ثغر أسوان • كما عنيت بتوضيح أهمية الموقع الجغرافى لكل من هـــذه الثغور •

ثم ركزت اهتمامها على دراسة الأحوال السياسية فى مصر الاسلامية وآثارها فى الثغور حتى نهاية العصر الفاطمى ، فعرضت لفتح العرب للثغور • وشرحت الحركات المناهضة للخلافة ولولاة مصر التى حـــدثت بالثغور منذ الفتح الاسلامى حتى نهاية العصر الاخشيدى • وتناولت الأخطار الخارجية التى تعرضت لهـــا ثغور مصر وبخاصة من ناحية البيزنطيين والصليبيين والقرامطة ، فضـــلا عن غارات قبائل البجه على ثغر أسوان •

وممـــا يذكر للمؤلفـــة ما بذلته من جهـــد فى بحث « التنظيمـــات الادارية والاقتصادية فى الثغور » ، فتحـــدثت عن التقسيم الادارى للثغور ، والعمال الذين اضطلعوا بادارتها • كما تناولت الموارد المـــالية بالثغور ووسائل جبايتها ، والدواوين التى اختصت بالشئون المـــالية • ودور الضرائب ، ووسائل المعاملات المـــالية • وعنيت بتوضيح دور الثغور المصرية فى التقـــدم الصناعى والنشـــاط التجارى ، فعرضت لانتاج الثغور من السلع الصناعية والزراعية ، وتناولت طرق المواصلات التى ربطت بين الثغور فى داخل البلاد المصرية ، فضـــلا عن طرق التجارة الخارجية ، التى كانت تمر بها •

كذلك عنيت الباحثة بدراسة التنظيمات الحربية فى الثغور المصرية •• فتحــدثت عن القوات البرية فى الثغور ووسائل اعــدادها وتنظيمها ، كما تناولت اعــداد القوات البحرية فى الثغور ، وبلغت أهمية الثغور كقواعــد للأســطول المصرى • وعرضت لأنواع السفن التى يتكون منها الأسطول ، واهتمت بالتحــدث عن رجال الأسطول ومعــداته ووضحت أنواع التحصينات التى كانت تقــام بالثغور ، والأسلحة التى كانت تزود بها الثغور •

ولا شك أن المؤلفة ، أجادت بحث هــذا الموضوع فى منهج علمى سليم ، واستطاعت باستخلاصها الحقائق التاريخية من المصادر التى رجعت اليها أن تكشف عن أهم نواحى الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى الثغور المصرية خلال الفترة التى تناولت بحثها •

وأرجو أن ينال هـ ذا الكتاب التقــدير الذى يتفق مع ما تجلى فى اعــداده من جهــد علمى •

أ• د• محمد جمال الدين سرور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

لمـا كانت مصر من البلاد ذات الحـدود الساحلية ، لذلك قامت على هـذه الحـدود ثغور ، لعبت دورا هاما فى العصر الاسلامى ، وكان لتلك الثغور وضع خاص فى تاريخ مصر ، ميزها عن غيرها من المدن ، وقـد استهدف هـذا البحث دراسة أحوال الثغـور المصرية من الفتـح الاسلامى لمصر حتى نهـاية العصر الفاطمى ، من النواحى السياسية والاقتصادية والحربية .

تأثرت الثغور المصرية بالأحـداث السياسية التى طرأت على العـالم الاسلامى ابان تلك الفترة ، فكان ما يحـدث فيها يعكس لنـا صورة واضحة لفترات الوحـدة والقوة ، ولفترات الضعف والتفكك التى كانت تجتاح الدولة الاسلامية عامة ، ومصر خاصة .

وكان لتلك الثغور دورها البارز فى النشاط الاقتصادى بمصر ، ممـا جعل منها مراكز صناعية وتجارية ، سواء فى المجال الداخلى أو المجال الخارجى ، كما كان لهـا أهمية من الناحية الحربية ، فقـد حرصت الدولة الاسلامية على جعلها مراكز حصينة تتركز فيها الحاميات العسكرية ، والأساطيل البحرية حتى تكون على أهبة الاستعداد لصـد ما تتعرض له البلاد المصرية من عـدوان .

بدأت بحثى بتمهيد . تحـدثت فيه عن « التعريف الجغرافى بمناطق الثغور المصرية » ، فقسمت ثغور مصر من حيث موقعها الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول يقـع على الحـد الشمالى لمصر الذى يطـل على بحر الروم ويضم ثغور الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية ، والقسم الثانى يقع على الحـد الشرقى لمصر ويضم ثغور القلزم والقصير وعيذاب ، والقسم الثالث يقـع على الحـد الجنوبى لمصر ، ويضم ثغر أسوان ، وقـد عنيت بالتحـدث عن أهمية الموقـع الجغرافى لكل من هـذه الثغور ، وصلاته المكانية بداخل البلاد .

ثم تناولت موضوع البحث فى ثلاثة أبواب ، خصصت الباب الأول لدراسة « الأحوال السياسية فى مصر الاسلامية » وآثارها فى الثغور حتى نهاية العصر الفاطمى ، فعرضت لفتح العرب للثغور ، وشرحت الحركات المناهضة للخلافة ولولاة مصر التى حدثت بالثغور منذ الفتح الاسلامى لمصر حتى نهاية العصر الأخشيدى ، كما تحدثت عن العدوان المتكرر على ثغور الساحل الشمالى من جانب الدولة البيزنطية وغارات النوبة والبجة على ثغر أسوان ، وشرحت الأخطار الخارجية التى تعرضت لها ثغور مصر فى العصر الفاطمى فبينت السياسة الحكيمة التى اتبعها الفاطميون مع النوبة والبجة لحماية ثغر أسوان من عدوانهم ، كما تكلمت عن هجوم القرامطة على الثغور ، ونزول النرمانديين على ثغور الساحل الشمالى وتعرضها لنهبهم ، وغارات البيزنطيين المتكررة على الثغور ، وتحالف الصليبيين معهم للاستيلاء على ثغر دمياط •

وأفردت الباب الثانى لدراسة « التنظيمات الادارية والاقتصادية فى الثغور » فتحدثت عن التقسيم الادارى للثغور ، وما طرأ عليه من تغييرات ، وادارة الثغور ، والعمال الذين اضطلعوا بها ، وتناولت الموارد المالية بالثغور من جزية ، وخراج ، ومكوس ، ووضحت أسلوب جباية تلك الموارد المالية ، وشرحت دور الثغور فى تنمية الموارد المالية باعتبارها مراكز هامة لجباية المكوس ، وتكلمت على الدواوين التى اختصت بالأعمال المالية فى الثغور ودور الضرب التى وجدت بها ووسائل المعاملات المالية ، كما عنيت بتوضيح أثر الثغور فى النشاط الصناعى وازدهاره فتحدثت عن أنواع الصناعات ، والعوامل التى ساعدت على قيامها بالثغور •

وكان للنشاط التجارى بالثغور نصيب وافر من اهتمامى ، فتكلمت على انتاج الثغور من السلع الصناعية والزراعية والموارد الغذائية وتحدثت عن طرق المواصلات البرية والنهرية التى ربطت بين الثغور وبين المدن التجارية الداخلية ، ووضحت أثر هذه الطرق فى تسهيل التبادل التجارى ثم تناولت طرق التجارة

الخارجية التى ربطت بين الثغور والدول الخارجية ودورها فى تدفق التجارة بين دول الشرق والغرب ، وجعلت من الثغور مراكز هامة للتجارة الخارجية .

وتناولت فى الباب الثالث دراسة « التنظيمات الحربية فى الثغور المصرية » ، فتحدثت عن القوات البرية فى الثغور ، ونظام الدفاع الساحلى الذى اتخذته الحاميات العسكرية المرابطة بها ، وعرضت لوسائل اعداد الجيش ، وتنظيمه ، فتحدثت عن العناصر التى كان يتألف منها الجيش ، ومراتب الجند ، وأسلحتهم ، فى الحاميات المقيمة بالثغور ، كما تناولت اعداد القوات البحرية فى الثغور وبينت كيف أسهمت الثغور المصرية فى اعداد وبناء الأسطول الاسلامى ، ثم تحدثت عن أهمية الثغور كقواعد للأسطول المصرى ، سواء فيما يتعلق بالدفاع عن مصر أو فيما يتعلق بالهجوم على قواعد الأعداء ، وعرضت لأنواع السفن التى يتكون منها الأسطول ، وأهمية كل منها ، وتحدثت عن رجال الأسطول من بحارة ورؤساء وقواد وجنود ، والواجبات الملقاة على كل منهم ، كما تكلمت عن نفقات الأسطول ومرتبات رجاله ، وديوان العمائر المشرف على نفقته واعداده ومعدات الأسطول والأسلحة المستعملة فى الحروب البحرية .

واهتممت أيضا فى هذا الباب بالتحدث عن التحصينات والأسلحة بالثغور فبينت كيف أن الضرورة الحربية دفعت العرب للعناية بتحصين الثغور المصرية ، ووضحت أنواع تلك التحصينات من أسوار وخنادق وأبراج وحصون وقلاع ، ومنارات للمراقبة ومآصر لاغلاق مداخل الموانىء ، ثم تكلمت عن الأسلحة الثقيلة التى كانت تشحن بها الثغور لصد غارات الجند المهاجمين لها .

د. صفاء حافظ عبد الفتاح

بحث فى أهم مصادر الكتاب

١ ـ اعتمدت فى هـذا الكتاب على بعض المخطوطات من بينها كتاب « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » للحسن بن زولاق المتوفى (٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) وهـو مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩١ (تاريخ) وقـد أفـدت منه فى دراسة ثغور الرباط ، ومواقعها ، والصلات التجارية للثغور المصرية مع غيرها من الأقطار المجاورة •

٢ ـ كما رجعت الى كتاب « معالم القربة فى أحكام الحسبة » لابن الاخـوة (محمد بن أحمد القرشى) المتوفى سنة (٧٢٩ هـ/١٣٢٩ م) وهو مخطوط بدار الكتب رقم ٢٧٩٠ ى • وقـد ألف خصيصا فى الحسبة وأفـدت منه فى دراسة وظيفة المحتسب فى الثغور وما يقوم به من أعمال •

٣ ـ أما كتاب « الالمـام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الاسكندرية » للنويرى « محمد بن قاسم بن محمد » المتوفى سنة (٧٧٥ هـ/١٣٥٤ م) وهو مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٤٩ تاريخ فقـد أفـدت منه فى دراسة تحصين الموانىء بالمـآصر ، والخطط الحربية الواجب اتباعها عنـد هجوم العـدو على الثغور البحرية •

ومن المصادر العربية التى رجعت اليها وأفـدت منها :

١ ـ كتاب « فتوح مصر وأخبارها » لابن عبد الحكم « أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله » المتوفى سنة (٢٥٧ هـ/٨٧١ م) ويعـد من أهم الكتب التى تناولت أحوال مصر فى فترة الفتح الاسلامى وأهم ما يميز هـذا الكتاب أن مؤلفه عنى كثيرا بمصادر الروايات والاسناد وكلها روايات شفوية ، وان كانت هناك اشارات الى مصادر مكتوبة سبقت ابن عبد الحكم

الا أنها لم تصل الينا • وقــد أفــدت منه فى دراسة فتح الثغور ، وعــدوان الروم عليها ، وأحوالها المــالية ، كما أفادنى كذلك فى دراسة نظام الحاميات العسكرية وتركيز الجند بها •

٢ ــ كذلك أفــدت من كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى « أبو الحسن أحمد ابن يحيى بن جابر بن داود » المتوفى سنة (٢٩٧ هـ/ ٨٩٢ م) ، فقد رجعت اليه فى دراسة فتح الثغور ، ونظام الدفاع عنها ، فى المجال البحرى والتحصــــينات •

٣ ــ ومن الكتب التى أفــدت منها كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة « أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد » المتوفى سنة (٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م) ويعد هذا الكتاب من أهم كتب المسالك والممالك وقد أفادنى فى دراسة مواقع الثغور المصرية ، والطرق التى تربط الثغور بالدول المجاورة ومن أهمها الطريق الممتد بين ثغرى الفرما والقلزم وكان مسلكا لليهود الرزانية وهــو من أهم طرق التجارة بين الشرق والغرب •

٤ ــ كذلك أفــدت من كتاب « سيرة أحمد بن طولون » للبلوى « أبو محمــد عبد الله بن محمد المدينى » المتوفى سنة (٣٣٠ هـ/ ٩٤١ م) وقــد عاصر الدولة الطولونية ، وألقى كتابه الضوء على حياة أحمد بن طولون وساق لنا من خلال ذلك كثيرا من المعلومات السياسية والحضارية عن هــــذه الدولة ، وقــد أفادنى هــذا الكتاب فى دراسة الحركات الانفصالية والثورية التى حــدثت بالثغور فى عهد أحمد بن طولون الى جانب النواحى الادارية والحربية لهــا •

٥ ــ كما أفــدت من كتاب « الخراج وصنعة الكتابة » لقــدامة بن جعفــر المتوفى سنة (٣٣٧ هـ/٩٤٩ م) فقــد خص الثغور بجانب من دراسته فعرض لمواقع بعضها ، وقسمها من حيث الموقع ، وذكر الأخطار المحيطة بها سواء من ناحية ثغور مصر الشمالية أو الجنوبية •

٦ — وكذلك أفـدت من مؤلفات « الكندى » أبو عمر محمد بن يوسف المتوفى سنة (٣٥٠ هـ/٩٦١ م) فرجعت لكتابه « الولاة والقضاة » ويعد هـذا الكتاب مصدرا هاما فى دراسة أحـوال الثغور من الناحية السياسية فقد تعرض للحركات الانفصالية التى حـدثت بالثغور ومن أهمها الحركة الانفصالية التى قام بها عبد العزيز الجروى بثغر تنيس ، كما أفادنى فى دراسة العـدوان الخارجى على الثغور سواء من ناحية البيزنطيين أو من ناحية النوبة والبجة كما أفـدت من كتابه « فضائل مصر » فى دراسة الأحـوال الاقتصادية للثغور ، وخاصـة فيما يتعـلق بشهرة الثغور الصناعية والتجارية .

٧ — كذلك أفـدت من كتاب مسالك الممالك للاصطخرى « أبو اسحق ابراهيم ابن محمد الفارسى » المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وهـو من الكتب القيمة التى تدرس العالم الاسلامى على أسـاس اقليمى جغرافى ، وقـد أفادنى فى دراسـة مواقـع الثغور المصرية ، وحـدودها ومظاهر تقـدم الصناعة فى هـذه الثغور .

٨ — كذلك أفـدت من كتاب « صورة الأرض » لابن حوقل أبو القاسم محمد ابن حـوقل البغـدادى الموصلى المتـوفى فى « أواخر القرن الرابع الهجرى » ، وقـد اتخـذ ابن حوقل من كتـاب الاصطخرى أساسا وأضاف عليه الكثير ، وممـا يجـدر ذكره أن ابن حوقل زار مصر فى العصر الفاطمى ، فجاءت كتابته من أوفى ما كتب عـن مصر حتى ذلك العصر ، كما أضاف لكتابه خرائط بها الكثير من التفاصيل عن الدلتـا ، وقد أفادنى هـذا الكتاب فى دراسة مواقع الثغور الشمالية والجنوبية ، كما وصف بحيرة تنيس وصفا وافيا ، وعرض لعـلاقة البجـة بمصر وعـدوانها على ثغر أسوان ، كما أفـدت منه فى دراسة أهم الصناعات التى ازدهرت بالثغور وخاصة صناعة النسيج .

٩ — ومن الكتب التى رجعت اليها كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقــدسى شمس الدين أبى عبد الله محمــد المتوفى سنة (٣٨٨ هـ/ ٩٩٧ م) ويعــد هــذا الكتاب من أكثر المصنفات الجغرافية قيمة وهــو من أفضــل كتب المسالك والممالك ، وقــد قسم المقــدسى كتابه الى أقاليم للعرب ، وأخرى للعجم ، وتناول دراســـة كل اقليم من حيث أقسامه ، ومدنه ومواضعه العامرة ، كما عرض للمناخ واللغة والتجارة والأوزان والنقود والعادات وموارد المياه والمعادن ، وتحدث الى جانب ذلك عن طرق المواصلات وقــد أفدت منه فى دراسة الأحوال الاقتصادية للثغور والطرق البرية والمــائية التى تربط بين الثغور وداخل البــلاد وخارجهـــا •

١٠ — كذلك أفــدت من كتاب « صفة بلاد المغرب والسودان » للادريسى محمد ابن عبد العزيز الشريف المتوفى سنة (٥٥٧ هـ/١١٦٢ م) المــأخوذ عن « نزهـــة المشتاق » وقــد أفــدت من هــذا الكتاب فى دراسة النواحى الاقتصادية للثغور فهو لا يذكر مدينة من المدن الا ويشير الى ما تتمتع به من موقع ممتاز وما تشتهر به من سلع وتجارات ، وكذلك فى النواحى الادارية وخاصة فى وصفه ادارة ثغر عيذاب •

١١ — ومن الكتب التى رجعت اليها وأفادتنى كثيرا كتاب « سفر نامة » للرحالة الفارسى « ناصر خسرو » المتوفى سنة (٤٨١ هـ/١٠٠٨ م) وهــو من كتب الرحلات القيمة ، وأهمية هــذا النوع من الكتب ترجع الى أن الرحالة يسأل ويستقصى ويحقق ، والصورة الحية التى يعطيها الرحالة للحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلــد التى يزورها قــد لا تتوفر فى كتب التاريخ •

ويعــد كتاب « سفر نامة » من امتع الكتب وأطرفها وقــد زار هــذا الرحالة مصر فى عهد وصلت فيه الى قمـــة الازدهار فى خـــلافة

المستنصر بالله الفاطمى (٤٣٩ هـ/١٠٤٧ م) ، وقد قضى فى مصر أكثر من ثلاث سنوات ، وقد سلك فى قدومه الى مصر الطريق من فلسطين الى القاهرة مارا بتنيس فى عصرها الذهبى ثم رحل الى الصعيد قاصدا الحج فمر فى الطريق بين أسوان وعيذاب فوصف هذا الطريق ، ونظام الدفع المتبع بين تجار أسوان وعيذاب كما وصف وضع عيذاب الادارى ونظام المكوس بها ، وقام الدكتور يحيى الخشاب بنقل هذا الكتاب الى العربية .

١٢ ــ كذلك أفدت من كتاب « قوانين الدواوين » لابن مماتى « شرف الدين أبو المكارم الأسعد » المتوفى سنة (٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م) ، وهو أحد وزراء الدولة الأيوبية الذى تقلب فى كثير من دواوين الحكومة قبل أن يصل الى هذا المنصب ، ويلقى هذا الكتاب الضوء على كثير من التنظيمات الادارية والموارد المالية فى الثغور فى العصر الفاطمى وقد عنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه ببعض الحواشى القيمة الدكتور عزيز سوريال عطيه .

١٣ ــ ومن كتب الرحلات التى رجعت اليها وأفدت منها كتاب « الرحلة » لابن جبير « أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى » المتوفى سنة (٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م) وقد استغرقت رحلته التى قام بها أكثر من عامين (شوال ٥٧٨ هـ ــ محرم ٥٨١ هـ) استهدف منها الحج عن طريق مصر ، وقد وصف ابن جبير بدقة كل ما رأى وأعطى صورة واضحة لكل ثغر من ثغور مصر حل به أو مر من خلاله فنزل بالاسكندرية ووصف نظام المكوس والجمال بها ، وفى طريقه الى عيذاب انتقل عبر صحراء مصر الشرقية فوصف الطريق من عيذاب الى قوص وكذلك الطريق الذى يتقابل مع هذا الطريق وسجل ما شاهده من نشاط تجارى بين الشرق والغرب عبر ثغور مصر .

١٤ ــ ومن الكتب القيمة التى أفــدت منها كتاب « معجم البلدان » لياقــوت « شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى » المتوفى سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) وما يجــدر ذكره أن ياقوت اعتمد فى وصف البلاد التى أوردها فى كتابه على المصنفات الجغرافية فضلا عما شاهده فى رحلاته الى كثير من بلدان العالم الاسلامى وقــد أفدانى هــذا الكتاب فى دراســة المواقــع الجغرافية لثغــور مصر وأهميتها من الناحيــة الاقتصــادية .

١٥ ــ كما رجعت الى كتاب « أنيس الجليس فى أخبار تنيس » لابن بســام المحتسب التنيسى المتوفى فى (الربع الأول من القرن السابع الهجرى) وهى مخطوطة نشرت بمجلة المجمــع العلمى العراقى وعنى بنشرها والتعليق عليها الدكتور جمال الدين الشيال وفيها دراسة شيقة عن ثغر تنيس ومظاهر تقــدم العمران فيه ، والصناعات والحرف التى اشتغل بها أهالى هــذا الثغر ، وقــد أفــدت من هــذا الكتاب فى دراســة العلاقة التجارية بين ثغر تنيس وبلاد الشام وكذلك فى وصف تحصين تنيس كالسور المحيط بها وأبوابه .

١٦ ــ ومن الكتب التى رجعت اليها كتاب « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » المعروف بسير البيعة المقدسة « لساويرس بن المقفع » أسقف الأشمونين المتوفى (أواخر القرن الرابع الهجرى) وعلى الرغم من أن مؤلفه ركز حــديثه على سير البطاركة المصريين وتاريخ الكنائس الا أنه حــوى معلومات قيمة أفادتنى فى دراســة بعض النــواحى الادارية فى ثغر الاسكندرية خلال العصر العباسى وخاصة فى الفترة الطولونية ، كمــا أفادنى فى دراسة عــدوان الروم على دمياط فى عهد الخليفة المتوكل ، والتحصينات ودور الصناعة التى أقيمت فى الثغور المصرية بعــد هــذا العــدوان .

١٧ — ومن الكتب التى اعتمدت عليها كتاب « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير « على بن أحمد بن أبى الكرم » المتوفى سنة (٦٣٠ هـ/١٢٣٨ م) وقـد أفادنى هـذا الكتاب فى دراسة الأحـداث السياسية التى تعرضت لهـا الثغور وخاصة فيما يتعلق بالعـدوان الذى وقـع على ثغر أسوان من جانب البجه والحملات المصرية التى خرجت لبلادهم لوقف عدوانهم المتكرر على هـذا الثغر ، كما أفادنى فى دراسة العـدوان الصليبى على الفرما وتنيس ودمياط •

١٨ — كذلك أفـدت من كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين » لأبى شـامه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين المتوفى سنة (٦٦٥ هـ/١٢٦٧ — ١٢٦٨ م) فقـد رجعت اليه فى دراسة أحوال الثغور الشمالية فى أواخر العهد الفاطمى فى الفترة التى بدأ فيها الصراع بين الوزير الفاطمى شـاور ، وأسـد الدين شـيركوه قائد نور الدين محمود • كما أمدنى بتفاصيل دقيقة عن العدوان الذى قام به الصليبيون بالاشتراك مع البيزنطيين على ثغر دمياط فى أواخر العهد الفاطمى •

١٩ — كما أفـدت من كتاب « تاريخ مصر » لابن ميسر « محمد بن على بن يوسف » المتوفى سـنة (٦٧٧ هـ/١٢٧٨ م) فى دراسـة الأحـداث السياسية والحربية التى تعرضت لها الثغور خلال العصر الفاطمى •

٢٠ — ومن الكتب التى رجعت اليها كتاب « الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد » للأدفوى « كمال الدين أبو الفضل جعفر » المتوفى سنة (٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م) وهـو يحـوى بعض التراجم لمن عاصرهم المؤلف من أبناء الصعيد وقـد أمدنى بمعلومات طيبة عن الانتاج الزراعى فى ثغر أسوان فضلا عن الصناعات التى اشتهر بها هـذا الثغر •

٢١ — كذلك رجعت الى كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى « لأبى العباس أحمـد القلقشندى » المتوفى سنة (٨٢٣ هـ/١٤١٨ م)

وقــد أمدنى هــذا الكتاب بمعلومات قيمة عن التقسيم الادارى فى الثغور ، والشروط الواجب توافرها فى حكامها وجباية المكوس بالثغور ، وفضــلا عن ذلك ، فانه يحــوى معلومات هامة عن القـــوات البرية والبحرية ، وأسلحتها فى الثغور •

٢٢ ــ كذلك رجعت الى بعض مؤلفات المقريزى « تقى الدين أبى العباس أحمد ابن على » المتوفى سنة (٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) ومن أهمها كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بالخطط المقريزية ويعــد هــذا الكتاب مصدرا أساسيا لدراسة مصر الاسلامية ، منذ الفتح العربى حتى منتصف القرن التاسع الهجرى وميزة هــذا الكتاب أنه ينقل عن مصادر أصلية عاصرت الأحــداث وشاهــدتها مثل ابن زولاق ، والمسبحى ، والقضاعى ، ويزخر هــذا الكتاب بمعلومات قيمة ، أفادتنى فى دراســة الأحــوال السياسية والاقتصادية والتنظيمات الادارية والحربيــة فى الثغــور •

٢٣ ــ ومن مؤلفات المقريزى أيضا كتاب « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفــا » وقــد أفادنى هــذا الكتاب فى دراسة غارات القرامطة على ثغرى تنيس والقلزم أثناء صراعهم مع الفاطميين •

٢٤ ــ ومن كتب المقريزى أيضا « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب » وقــد أفادنى فى دراسة هجوم البجه على ثغر أسوان ودور قبيــلة ربيعــة فى صــده •

تمهيـــد :

التعريف الجغرافى بمناطق الثغور المصرية

تعـــد مصر من البلاد ذات السواحل الطويلة الممتدة(١) ، فحـــدها الشمالى كله يمتد على ساحل بحر الروم(٢) ، وحـــدها الشرقى يمتد معظمه على بحر القلزم(٣) ، هـــذا بالاضافة الى أن حـــدها الجنوبى يتقاطع مـــع نهر النيل(٤) فيكون لديها بذلك ساحل نهرى أيضا .

وقـــد ظهرت على هـــذه السواحل المصرية البحرية منها والنهرية موانى وثغور هامة ، لعبت دورا تاريخيا ، وحضاريا هاما فى تاريخ مصر الاسلامية ، من النواحى السياسية والاقتصادية والحربية .

أولا ــ الموانى والثغور المصرية التى تقع على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط) :

تقـــع هـــذه الموانى فى منطقتين :

الأولى فى الركن الشمالى الشرقى وتضم ثلاثة ثغـــور هى الفرما وتنيس ودمياط وتشترك هـــذه الثغور الثلاثة فى وقوعها على بحيرة تنيس(٥) (المنزلة) ، وهى احـــدى بحيرات مصر الشمالية(٦) ، وسميت ببحيرة تنيس تجاوزا ، لأنها فى الحقيقة كانت عبارة عن ثلاث بحيرات اتصلت ببعضها فظهرت كما لو كانت

---

(١) ابراهيم أحمد العـــدوى : « سواحل مصر » ، مجلة كلية آداب جامعـــة القاهرة المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧ ، ص ١٣٩ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣١٤ ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ١٥ .
(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٣٨ ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ١٥ .
(٤) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥٧ .
(٥) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ .
(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٦ .

بحيرة واحـــدة ، وكانت البحيرة الغربية تسمى بحيرة دمياط والبحيرة الشرقية تسمى بحيرة تنيس(٧) ، كما سميت الأطراف الشرقية لبحيرة تنيس باسم بحيرة الزار التى وصلت فى امتدادها الى الفرما(٨) .

ساعدت بحيرة تنيس على ســهولة الاتصال بين الموانى الثلاث فهى تمتد شرقا الى الفرما ، وتمتد غربا الى دمياط ، وتنيس جزيرة بينهما(٩) ، وكانت هـــذه البحيرة متصلة بنهر النيل ، حيث كان يصب فيها فرع النيل التنيسى الذى كان يتفرع خارجا اليها من فرع دمياط قبل أن يصل الى مدينة دمياط(١٠) ، كما كانت متصلة ببحر الروم ، عن طريق فوهتين تخترقان البر الرملى الضيق الذى كان يفصل البحيرة عن البحر(١١) .

(أ) الفـــرما :

من الموانى المصرية القـــديمة ، ذات الأهمية الكبيرة(١٢) ، وكانت تسمى فى العصر الفرعونى القـــديم « برآمن » أى مدينة الاله آمون(١٣) ، وأطلق الرومان عليها « بيلوز » أو « بيلوزيوم »(١٤) ، ومعناها الوحلة(١٥) لانها تقع فى منطقة

---

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٠٨ .

(٨) الادريسى : نزهـــة المشتاق ص ٣٣٥ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(١٠) القلقشندى : صـــبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٠٨ ، المقـــريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .

(١١) ابن حوقل : صـــورة الأرض ص ١٥٦ ، ياقـــوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ .

(١٢) الكندى : فضائل مصر ص ٥٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٤ .

(١٣) محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٩٦ .

(١٤) Maspero & wiet : Materieux pour servir à la gégraphie de l'Egypte, P. 138.

(١٥) وهيب كامل : استرابون فى مصر ص ٨٢ .

سبخة موحلة ، بسبب تغطية ماء البحر الأراضى تلك المنطقة[١٦] ، وسميت فى العصر القبطى « برما » ومنه أخذ الاسم العربى لها « الفرما »[١٧] .

وترجع أهمية الفرما لموقعها ، الذى يسهل منه الاتصال بداخل البلاد وخارجها برا وبحرا ، فيصفها المقدسى[١٨] بقوله : « وهى مجمع الطرق » ، فهى أول ميناء مصرى هام على ساحل بحر الروم من ناحية الشرق[١٩] ، وهى بذلك تقع على بداية الطريق البرى الذى يسير محاذيا للساحل عبر سيناء الى آسيا[٢٠] ، كما تقع على بداية أقصر طريق صحراوى تسلكه القوافل يصل بينها وبين ميناء القلزم على بحر القلزم[٢١] ، وفضلا عن ذلك فقد اتصلت بداخل البلاد بسهولة نظرا لموقعها على مصب فرع النيل « البيلوزى » الذى كان يعد من أهم فروع النيل التى تمر بشرق الدلتا قديما[٢٢] ، كما كانت تقع على الشاطىء الشرقى لبحيرة تنيس[٢٣] .

ولم تكن الفرما تقع مباشرة على ساحل البحر ، اذ كانت تبعد عنه بثلاثة أميال[٢٤] ، ولذلك كان لها مرفأ ترسو به السفن يسمى الطينه يقع مباشرة

---

(١٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٣٦٧ .

(١٧) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية العربية » ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ١٨٩ .

(١٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥ .

(١٩) **القلقشندى : صبح الأعشى** ج ٣ ص ٣١٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١١ .

(٢٠) **عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ص ٣٢ ، ٣٣ ، سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ العدد الأول** مايو **١٩٥٩ ، ص ٨٩ .**

(٢١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٣ .

(٢٢) **ابو صالح الأرمنى** : تاريخه ص ٧١ ، جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٨ .

(٢٣) ابن حوقل : صورة الأرض ١٦٠ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٩ .

(٢٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١١ .

على ساحل البحر ، ويتصل بها عن طريق خليج يجرى من البحر اليها(٢٥) ، وكانت الطينه تملك ناصية البحر والبحيرة ، لموقعها على زاوية التقاء البحر بالبحيرة ، ويتضح ذلك فيما قاله ياقوت(٢٦) عن البر الرملى الذى يفصل بين البحيرة والبحر « وأول هـذا البر قرب الفرما والطينه وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الأعظم الى بحيرة تنيس » ، كما وصف ناصر خسرو(٢٧) الطينة بقوله : « وبلغنـا مكانا يسمى طينة وهـو مرفأ للسفن ، يذهب منه الى تنيس » ويبدو أن مرفأ الطينة لم تظهر أهميته الا فى العصر الفاطمى(٢٨) •

تعـد الفرما من الموانى التجارية والحربية الهامة بمصر(٢٩) ، وزادت تلك الأهمية بعـد الفتح العربى لمصر ، لأنها أصبحت أقرب الموانى الشمالية لمركز الدولة الاسلامية فى بلاد العرب ، وفى بلاد الشام •

ظلت الفرما ميناء مزدهرا حتى القرن السادس الهجرى حيث بدأت تفقـد أهميتها ، ويحلول نهـاية هـذا القرن أصـبحت خرابا ، فيصفها أبو صـالح الأرمنى(٣٠) بقوله : « عليها حصن دائر بغير أبواب وهى خراب » ، ويرجـع اندثار تلك المدينة الى عوامل سياسية وجغرافية ، فقـد تعرضـت للكثير من التخريب والتدمير على أيدى الصليبيين الذين دخلوها أكثر من مرة كما خربهـا الوزير الفاطمى شاور أثناء صراعه على الوزارة مع ضرغام(٣١) ، هـذا بالاضافة الى العوامل الجغرافية التى حـدثت فى منطقة سيناء ، اذ تعرضت تلك المنطقة الى الارتفاع مما أدى الى جفاف فرع النيل البيلوزى وانطماره ، فترتب على

---

(٢٥) بتلر : فتـح العرب لمصر ص ٢٥٨ •
(٢٦) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ •
(٢٧) سفر نامة ص ٣٧ •
(٢٨) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٣٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ •
(٢٩) سر هنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ص ٧٥ •
(٣٠) تاريخـه ص ١٧٣ •
(٣١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٢ •
Maspero & wiet : Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, p. 138.

ذلك تحول طريق التجارة عن الفرما الى الطريق الداخلى الذى يعرف بطريق الرمل(٣٢) ، فزالت الفرما بزوال أهميتها .

ولما كان موقع الفرما هاما وحيويا للمدخل الشرقى لمصر فلم يكن منطقيا أن يزول العمران منه تماما بزوال الفرما ، ولذلك فقد ظهرت الى الشرق منها بلدة صغيرة تسمى قطية(٣٣) أخذت فى الظهور فى الوقت الذى بدأت فيه الفرما فى الزوال ، وقامت قطية بالدور الادارى والتجارى الذى قامت به الفرما من قبل ، كما ظلت الطينة تقوم بدورها البحرى فأصبحت ميناء تابعا لقطية(٣٤) .

وآثار الفرما لا تزال موجودة حتى اليوم وتعرف بتل الفرما ، وتقع على بعد ثلاثة كيلو مترات عن ساحل البحر المتوسط وعلى بعد ثلاثة وعشرين كيلو متر شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية التى بين بور سعيد والاسماعيلية ويوجد بالقرب من تل الفرما أطلال قلعة قديمة تسمى الطينة لوقوعها فى أرض موحلة ، واليها تنسب محطة الطينة المذكورة(٣٥) .

(ب) تنيس :

تقع على جزيرة فى بحيرة تنيس(٣٦) ، ولم تكن بالجزيرة الوحيدة فى البحيرة ، بل تناثرت حولها الجزر الصغيرة التابعة لها ، ذكر منها ابن حوقل(٣٧)

---

(٣٢) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ص ٣٣ : ٣٤ .
(٣٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٣٦٨ .
قطية وتكتب أحيانا قطيا من نواحى الجفار فى الطريق بين مصر والشام وفى وسط الرمل قرب الفرما ، أطلالها بين القنطرة والعريش فى الجنوب الشرقى من محطة الرمانة وعلى بعد ١٠ كم منها ، وتقع فى الشمال الشرقى من ناحية القنطرة على السكة الحديدية الموصلة للعريش بينها وبين القنطرة ٤٥ كم .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٣٥٠ : ٣٥١ .
(٣٤) ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٣٤ .
(٣٥) محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٩٢ .
(٣٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠١ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص ٣٧ .
(٣٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٦ .

شطا(٣٨) ، ودبقوا(٣٩) ودميرة(٤٠) وتونة(٤١) وأضاف اليها المقريزى(٤٢) ، سمناى(٤٣) ، وبورا(٤٤) ، وأبوان(٤٥) ، ثم أضاف اليها الادريسى(٤٦) حصن الماء(٤٧) ، ونبلى(٤٨) .

---

(٣٨) **شطا** : تقع على الشاطئ الغربى لبحيرة تنيس ، وكانت موجودة قبل العهد العربى ، وهى الآن قرية صغيرة يسكنها الصيادون ، اذ أنها لم تعد ثغرا على بحيرة المنزلة ، ذلك أن المياه انحسرت منها خمسمائة أو ستمائة ياردة . دائرة المعارف الاسلامية مادة (شطا) .

(٣٩) **دبقوا** : وقيل دبيق ، اندثرت ومكانها اليوم يعرف بتل دبقوا أو دبجوا بالقرب من شاطئ بحيرة المنزلة فى الشمال الشرقى لناحية صان الحجر بمركز فاقوس بمديرية الشرقية وعلى بعد ٥٥٠٠ م من صان الحجر . محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ، ص ٢٤٣ .

(٤٠) **دميرة** : قرية كبيرة قرب دمياط على شاطئ النيل فى طريق من يريد دمياط ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٨٥ .

(٤١) **تونة** : لازالت قائمة الى اليوم وتعرف بجزيرة سيدى عبد الله بن سلام الواقعة فى بحيرة المنزلة شرقى بلدة المطرية وعلى بعد أربعة كيلو مترات منها ولا تزال آثار أطلال هذه القرية بالجزيرة تذكر باسم كوم ابن سلام .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ١٩٨ .

(٤٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٨١ : ١٨٢ .

(٤٣) أو سمناه اندثرت ومكانها اليوم جزيرة تعرف بكوم الذهب تقع فى بحيرة المنزلة فى شرقى بلده فارسكور وعلى بعد ١١ كم منها .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ، ص ٢٨١ .

(٤٤) أو بورة ومكانها اليوم القرية المعروفة بكفر البطيخ احدى قرى مركز شربين بمديرية الغربية ، وواقعة فى الجنوب الغربى لمدينة دمياط وعلى بعد سبعة كيلو مترات منها ، ولكثرة زراعة البطيخ بها تغلب عليها الاسم ، واختفى اسم بورة .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ١٧٨ .

(٤٥) **ابوان** : محلها الآن تل النجارين ، وتقع على شاطئ البحيرة بأراضى ناحية العطوى مركز فارسكور .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٩ .

(٤٦) الادريسى : نزهة المشتاق ص ٣٣٨ .

(٤٧) هذا الحصن يعرف مكانه اليوم باسم تل معيبد فى جزيرة ببحيرة المنزلة .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ، ص ٢٢٩ .

(٤٨) نبلى أو نبلية أو نبلوهة كلها أسماء لمدينة واحدة كانت تقع فى الطرف الشمالى الغربى لأراضى ناحية الشبول باقليم المنزلة ويدل على مكانها حوض نبلية رقم ٣ باقليم بأرض ناحية الشبول بمركز المنزلة بمديرية الدقهلية .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٤٥٢ .

تميزت تنيس بموقعها الذى يسهل منه الاتصال بداخل البلاد وخارجها ، فاتصلت ببحر الروم عن طريق اشتوم البحيرة(٤٩) الواقع بالقرب منها كما اتصلت بداخل البلاد عن طريق فرع النيل التنيسى (فرع أشموم) الذى يخرج من فرع دمياط ويصب فى البحيرة(٥٠) ، وكانت تنيس بموقعها هــذا تتوسط ثغرى الفرما فى الشرق ، ودمياط فى الغرب(٥١) .

وقــد أورد ياقوت(٥٢) وصفا دقيقا لموقع تنيس فقال « فهى جزيرة فى وسط بحيرة مفردة عن البحر الأعظم ، وبينها وبين البحر الأعظم بر آخر مستطيل وهى جزيرة بين البحرين ، وأول هــذا البر قرب الفرما والطينة ، وهناك فوهة يدخل منها ماء البحر الأعظم الى بحيرة تنيس فى موضع يقال له « القرباج » فيه مراكب تعبر من الفرما الى البر المستطيل الذى ذكرنا أنه يحول بين البحر الأعظم وبحيرة تنيس ، وتقــاس مسافته بمسيرة نحــو ثلاثة أيام الى قــرب دميــاط » .

كانت تنيس عند الفتح العربى لمصر أخصاصا من قصــب ، وظلت تعرف بذات الأخصاص حتى بداية العهد الأموى ، ثم بنى أهلها قصورا بها ، ولم تزل كذلك حتى أيام بنى العباس ، فبنى سورها ، ودخلها أحمد بن طولون ســنة ٢٦٩ هـ فبنى فيها عــدة صهاريج تعرف بصهاريج الأمير ، كما بنى بها حــوانيت فى الســوق(٥٣) .

---

(٤٩) اشتوم كلمة محرفة عن اليونانية ومعناها الفتحة .
ابراهيم أحمد العدوى : « سواحل مصر » مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الخامس ، الجزء الأول سنة ١٩٥٧ ، ص ١٣٩ .

(٥٠) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٠٨ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .

(٥١) جمال الشيال : « مقــدمة لمخطوطة أنيس الجليس » ، نشر مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٠ .

(٥٢) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ .

(٥٣) نفس المصدر والصفحة .

وذاعت شهرة تنيس فى صناعة الأنواع الجيدة من النسيج ، هى والقرى المحيطة بها ، وأصبح أهلها بفضل اشتغالهم فى تلك الصناعة أصحاب ثراء(٥٤) كما اشتغلوا كذلك بصيد الأسماك والطيور المختلفة من بحيرة تنيس(٥٥) .

وكانت تنيس تعيش على كل ما هـو مجلوب من الغـذاء ، يأتيها بالمراكب أنواع كثيرة منه(٥٦) ، أما المـاء فكان أهلها يخزنونه كل سنة فى صهاريج عنـد عـذوبة مياه البحيرة ، بعـد دخول مياه الفيضان اليها(٥٧) .

وكان معظم سـكان تنيس من القبط(٥٨) ، وفى وصـف تنيس بالـغ المقـدسى(٥٩) ، فقال عنها « مدينة وأى مدينة ، هى بغـداد الصغرى ، وجبـل الذهب ، ومتجر الشرق والمغرب ، أسواق ظريفة ، وأسماك رخيصة ، وبلد مقصود ونعم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة » .

بلغت تنيس قمة ازدهارها فى العصر الفاطمى الأول ، ويتضح ذلك من وصف ابن بسام لهـا(٦٠) ، فقـد أورد احصاء رائعا لمحتويات هـذه المدينة فقال انها مدينة حافلة بالأسواق العامرة بالحوانيت والطواحين والمعاصر ، كما كان بها المناسج الى جانب الفنادق والقياسر والمبانى الحكومية كدار الامارة ، ودار الصناعة والدواوين المختلفة .

كان لانفراد تنيس بذلك الموقع الجزرى المتطرف الذى يتوسط موانى مصر فى الشمال الشرقى ، ما جعلها تلعب دورا هاما فى تاريخ مصر السياسى

---

(٥٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
(٥٥) ابن بسام : « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجـلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٧ .
(٥٦) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٣٩ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
(٥٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
(٥٨) المصـدر نفسه ص ١٧٧ .
(٥٩) المقـدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠٣ .
(٦٠) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ : ١٨٥ .

والحربى والاقتصادى ، سواء فى الصراعات الداخلية أو فى الغزو الأجنبى ، وقد عاد عليها هذا الدور المتميز بالخراب ، فقد تعرضت لكثير من غارات الروم ثم الصليبيين(٦١) ، فأمر صلاح الدين الأيوبى باخلائها ونقل أهلها الى دمياط فى سنة (٥٥٨ هـ/١١٩٣ م) فهاجر أهلها الى دمياط الا من المقاتلة(٦٢) ، ثم أصدر الملك الكامل بعد ذلك أمرا بتخريبها وهدم بيوتها وحصونها فى عام (٦٢٤ هـ/١٢٢٦ م)(٦٣) خوفا من استيلاء الفرنجة عليها فقد كانوا حينذاك على أهبة الاستعداد لارسال الحملة الصليبية الخامسة الى مصر ، فرحل من نبقى فيها الى دمياط ، واندثرت تماما(٦٤) ، ولذلك لم يعرض لها الرحالة والجغرافيون الذين كتبوا عن مصر فى القرن السابع الهجرى الا فى اشارات موجزة ومعظم من كتب عنها بعد ذلك كان يشير الى الماضى ، فلم يتبق منها غير تل تنيس أو كوم تنيس ، ويطلق هذا الاسم حاليا على جزيرة فى بحيرة المنزلة(٦٥) ، ويذكر محمد رمزى(٦٦) أنه بالبحث تبين أن الجزيرة التى كانت بها مدينة تنيس لا تزال موجودة حتى الآن ببحيرة المنزلة ، ومعروفة بجزيرة تنيس ، وبها بعض بقايا الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة ، وهذه الجزيرة واقعة فى الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد ، وعلى بعد تسعة كيلو مترات منها .

---

(٦١) جمال الشيال : « مقدمة لمخطوطة انيس الجليس » ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٥١ .

(٦٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١ .

Maspero & wiet : Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, p. 61.

(٦٣) ابن اياس : تاريخ مصر جـ ١ ص ٥٠ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١ .

(٦٤) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول مايو ١٩٥٩ ، ص ١٦١ .

جمال الشيال : « مقدمة لمخطوطة انيس الجليس » ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٠ .

(٦٥)

Maspero & wiet : Matériaux pour servir a la géographie de l'Egypte P. 90.

(٦٦) القاموس الجغرافى (البلاد الندرسة) ص ٦٩ .

(جـ) دمياط(٦٧) :

تقع على الضفة الشرقية لفرع النيل المسمى بفرع دمياط(٦٨)، حيث كان يتفرع منه فرع النيل التنيسى الذى يصب فى بحيرة تنيس(٦٩)، ويصف المقريزى(٧٠) فرع دمياط فيقول : « والشطر الآخر (فرع دمياط) يمر من شطنوف الى جوجر ، ثم يتفرق من عند جوجر الى فرقتين ، فرقة تمر الى أشموم فتصب فى بحيرة تنيس ، وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب فى البحر الملح هناك ، وتصير هذه الفرقة فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربى » .

كانت بحيرة تنيس تمتد غربا الى دمياط التى تقع على شاطئها الغربى(٧١)، كما كانت تقع على ساحل بحر الروم(٧٢)، على منحنى بارز شبيه بالهلال(٧٣)، وهذا البروز حدث نتيجة لتراكم رواسب نهر النيل ، ودمياط على هذا جزيرة ، تحيط بها المياه من جميع النواحى(٧٤) .

---

(٦٧) ذكرت فى التوراه باسم كفتور ، وعرفت فى العصر اليونانى باسم تامياتس Tamiatis وفى العصر القبطى باسم تاميات Tamiat أو تامياتى Tamiati ويقال أن معنى هذا اللفظ فى اللغة المصرية القديمة الأرض الشمالية — او الأرض التى تنبت الكتان . جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٨ .

(٦٨) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٠ .
Maspero & weit : Matériaux pour servir à la geogravie de l'Egypte. P. 92.

(٦٩) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٧٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٥ .

(٧١) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٢٠ .

(٧٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٨٢ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠١ .

(٧٣) ابراهيم أحمد العدوى : « سواحل مصر » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧ ص ١٤٠ .

(٧٤) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٦ .

قــدر المقريزى(٧٥) المسافة بين دمياط وتنيس بمقــدار اثنى عشر فرسخا فى بحيرة تنيس ، أما ياقوت(٧٦) فيذكر أن البر الرملى المستطيل الذى يفصل بين البحيرة والبحر كان طريقا بين دمياط والفرما يقطعه السائر فى ثلاثة أيام .

تميز ميناء دمياط فى تلك الفترة بعــدم تعرضه للارسابات النهرية ، كما ساعدت عمليــات الحفر المستمر على بقائه صالحا للملاحة ، هــذا بالاضافة الى سهولة وصول المراكب اليه بسبب وقوعه على ثنية النيل البارزة ، ممــا كان له أثره فى سهولة اتصال دمياط بداخل البلاد وخارجها(٧٧) ، مما ترتب عليه أن أصبحت دمياط من أهم موانى مصر التجارية ، وثغورها الحربية(٧٨) ، وعاشــت دمياط فترة ازدهار عظيمة خلال العصر الاسلامى ، خاصة بعــد تدهور كل من تنيس والفرما ، وفى أواخر العصر الفاطمى كانت دمياط الميناء الهام والوحيد فى الركن الشمالى الشرقى لمصر(٧٩) ، وتتضح لنا أهمية دمياط من وصف المؤرخين لهــا فيصفها الاصطخرى(٨٠) بأنهــا كانت « من مشاهير المدن » ، ويصفها ابن حوقل(٨١) هى وتنيس قائلا : « ومن جليل مدنها ــ أى مدن مصر ــ وفاخر خواصها تنيس ودمياط » أما ياقوت(٨٢) ، فيصفهما بأنهما « حاضرتا البحر » .

---

(٧٥) الخطط جـ ١ ص ٢١٣ .

(٧٦) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٠ .

(٧٧) السيد خالد المطرى : « مدينة دمياط » رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ص ١٢٥ .

(٧٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٠٦ .
جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٦٦ .

(٧٩) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٦٦ .

(٨٠) مسالك الممالك ص ٥٢ .

(٨١) صورة الأرض ص ١٥٢ .

(٨٢) معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ .

كانت دمياط ذات هـواء طيب(٨٣) ، فسيحة الارجاء ، ذات ضواح ورياض ومصايف على شاطىء البحر(٨٤) ، ويصفها المقـدسى قائلا(٨٥) : « أطيب ، وأرطب وأوسع وأفسح وأكثر فواكه وأحسن بناء ، وأوسع ماء وأحـذق صناعا ، وأرفع بزا ، وأنظف عملا ، وأجود حمامات وأوثق رباطات » .

كانت دمياط تعتمد فى غـذائها على ما يزرع فى ظهيرها(٨٦) ، ويربى فيها من حيوانات ، أما مياه الشرب فكانت تتزود بها من نهر النيل مباشرة(٨٧) .

أما المنطقة الثانية فتقع فى الشمال الغربى على ساحل بحر الروم وموانيها هى رشيد والاسكندرية :

رشــــيد :

تقع على فرع النيل الغربى المسمى بفرع رشيد(٨٨) ، حيث يصب فى البحر من خلال فوهة تعرف بالأشتوم(٨٩) ، وموضع رشيد يبرز فى الساحل كما هـو الحال فى دمياط ، نتيجة لتراكم رواسب النهر على سـاحل البحر(٩٠) ، الذى تقع عليه الى الغرب من دمياط(٩١) ، وتبعـد رشيد بموقعها عن ثغر الاسكندرية بنحو ستة وثلاثين ميلا فى شمالها الشرقى(٩٢) .

---

(٨٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٨٥ .
(٨٤) ابن بطوطه : رحلته ص ١٧ ، نقولا يوسف : تاريخ دمياط منذ أقـدم العصـور ، ص ٤١ .
(٨٥) احسن التقاسيم ص ٢٠١ .
(٨٦) المقـدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠١ ، الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٣٥ .
(٨٧) ابن بطوطه : رحلته ص ١٧ .
(٨٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٣٩ .
Maspero & wiet : Matériaux pour servir à La géographie de l'Egypte, P. 99.
(٨٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٦٣ .
(٩٠) ابراهيم العـدوى : « سواحل مصر » ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الخامس الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٧ ص ١٤٠ .
(٩١) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٢ : القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٤ .
(٩٢) مرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٨٠ .

ورشيد من الموانى القـديمة ، فقـد ذكرت فى حوادث الفتح العربى(٩٣) ، لمصر الا أنها لم تكن قائمة فى موقعها الحالى حتى بداية القرن الأول الهجرى(٩٤) ، اذ أن البلدة القـديمة كانت تقع الى الشمال من رشيد الحالية(٩٥) .

استمدت رشيد أهميتها فى العصر الاسلامى من موقعها على فرع رشـيد وما ييسره هـذا الموقع من اتصال بداخل البلاد ، حيث كان نهر النيل من سبل المواصلات الهامة فى العصر الاسلامى(٩٦) ، كما أن وقوعها على الطريق الزراعى الذى كان يمتد اليها من رأس الدلتا حيث العاصمة ، ثم يتجه بعـد وصوله لرشيد محاذيا الساحل الى الاسكندرية(٩٧) ، جعلهـا تلعب دورا فى الناحيـة التجارية والحربية لمصر الاسلامية الا أنه لا يقارن بالدور الذى قامت به دمياط بالرغم من التشابه الكبير فى موقع كل من المدينتين ولعل هـذا يرجع الى وقوع رشيد بالقرب من الاسكندرية ، ممـا جعل الاسكندرية تطغى عليها وتجعل منها ميناء ثانويا بالنسبة لهـا ، وفضلا عن هـذا فان رشيد بموقعها فى الشمال الغربى لساحل بحر الروم كانت أبعـد من دمياط التى تقع على الركن الشمالى الشرقى عن مركز الدولة الاسلامية فى آسيا مما قلل من أهميتها ، كما تميزت دمياط عليها بشهرتها فى صناعة النسيج .

لم تكن رشيد بالمدينة الكبيرة فيصفها ياقوت(٩٨) قائلا : « بليـدة على ساحل البحر والنيل » ويصفها ابن حوقل(٩٩) بقوله : كانت بهـا أسواق صالحة

---

(٩٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٧٩ .

(٩٤) Maspero & wiet : Matériaux pour Servir a la geographie de l'Egypte. P. 100.

(٩٥) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية العربية » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العـدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ١٣٦ .

(٩٦) جمال سرور : تاريخ الحضـارة الاسلامية فى الشرق ص ١٤٦ .

(٩٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٩٨) معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٥٢ .

(٩٩) صورة الأرض ص ١٣٩ .

وحمام وبها نخيل كثير ، وارتفاع واسع ، وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية ، ويحمل اليها من متاع البحر الى سائر أسباب التجارة » وتزايدت أهمية رشيد خلال العصر الفاطمى فيصفها الادريسى(١٠٠) كمدينة متحضرة بها سوق وتجار ونفقة وبها المزارع وبها الغلات من الحنطة والشعير وأنواع من الفواكه كما يذكر صيد السمك بها وأهميته وأنه يحمل منها لجميع الجهات .

(ب) الاسـكندرية :

شيدها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م ، وسماها باسمه(١٠١) ، وأقامها فى الموقع الذى كانت تشغله قرية صغيرة تسمى راقودة(١٠٢) ، كان فى واجهتها وبالقرب منها جزيرة صغيرة فى بحر الروم تعرف بجزيرة فاروس Pharos فوصلت القرية بالجزيرة عن طريق بناء لسان طويل يربط بينهما(١٠٣) ، وقدر طول هذا اللسان بحوالى ١٢٠٠ م(١٠٤) ، وعلى الطرف الشمالى الغربى بنيت منارتها الشهيرة ، التى تعد من عجائب الدنيا السبع(١٠٥) ، وبذلك أصبح للاسكندرية ميناء شرقى وميناء غربى(١٠٦) .

وتعد الاسكندرية من أهم الموانى الواقعة على ساحل بحر الروم(١٠٧) ، وهى آخر ميناء لمصر على ساحل هذا البحر من الناحية الغربية(١٠٨) ، ولهذا

---

(١٠٠) نزهة المشتاق ، ص ٣٤٣ .

(١٠١) ابن الفقيه الهمذانى : البلدان ص ٦٩ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسكندرية) .

(١٠٢) وهيب كامل : استرابون فى مصر ، ص ٥٧ .
Maspero & Wiet : Matériaux pour servir a la géographie de l'Egypte p. 90.

(١٠٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة (اسكندرية) .

(١٠٤) لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٣٣ .

(١٠٥) ابن الفقيه الهمذانى : البلدان ص ٧٢ ، الكندى : فضائل مصر ص ٤٩ .

(١٠٦) دائرة المعارف الاسلامية : مادة (اسكندرية) .

(١٠٧) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥١ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٦ : ١٩٧ .

(١٠٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٤ .

فهى تقع على الطريق الساحلى المتجه الى شمال أفريقيا ، الممتد من برزخ السويس شرقا الى فاس فى أقصى الغرب(١٠٩) .

اتصلت الاسكندرية بداخل البلاد عن طريق ترعة طويلة امتدت اليهـا من النيل(١١٠) ، وأطلق عليها فى العصر الاسلامى خليج الاسكندرية(١١١) ، وبفضـل هـذا الموقع كانت الاسكندرية أهم محطة بحرية فى شرق بحر الروم فى العصر الاســلامى(١١٢) .

ترجع أهمية الاسكندرية الى ما قبل الاسلام ، فقـد كانت المدينة الثانية بعـد القسطنطينية ، وان تفوقت عليها من حيث أهميتها التجارية(١١٣) وقـد خططت مدينة الاسكندرية تخطيطا منتظما ، فطرقاتها مستقيمة تتقاطع مع بعضها مما يجعل للمدينة شكل رقعة الشطرنج ، وكان يقام بمبانيها أعمـدة رخامية ، ذات ألوان وأشكال مختلفة(١١٤) ، ويظهر مدى جمال الاسكندرية ، وكبر حجمها وعظمة مبانيها ، وكثرة سكانها عند الفتح العربى ، من وصف عمرو بن العاص لهـا فى خطابه ، الذى أرسله للخليفة عمر بن الخطاب بعـد فتح هـذه المدينة فيقول : « أنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية وأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهـــودى عليهم الجزية ، وأربعمائة ملهى

---

(١٠٩) قـدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ص ٢٢٠ ، سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢١٨ .

(١١٠) أطلق عليها قـديما الفرع الكانوبى للنيل وهيب كامل : استرابون فى مصر ، ص ٤٨ .

(١١١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧١ .

(١١٢) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢١٨ .

(١١٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٦٥ .

(١١٤) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥١ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة (اســكندرية) .

للملوك(١١٥) ، وكانت المدينة محاطة بالأسوار الضخمة والحصون العظيمة لحمايتها(١١٦) .

وبفتح العرب مصر فقدت الاسكندرية أهميتها السياسية ، لانها لم تعد عاصمة للبلاد المصرية ، فقد اتخذ عمرو بن العاص الفسطاط عاصمة لمصر(١١٧) ، وتغير بذلك وضع الاسكندرية ، فبعد أن كانت همزة الوصل مع بلاد الروم أصبحت نقطة الفصل ، وبذلك أصبحت ثغرا أى حدا فاصلا مع العدو وجبهة يمكن أن يطرقها الروم بأساطيلهم .

تتضح أهمية الاسكندرية من وصف المؤرخين لها ، فيصفها ابن حوقل(١١٨) بقوله « رسومها بينة ، وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة ، وليس بجميع الأرض لمنازلها نظير بذاتيها أو تقاربها فى أشكالها ومبانيها وعجائبها » ويذكر المقدسى(١١٩) أن أهل الاسكندرية يعتمدون فى شربهم على صهاريج تمتلأ فى موسم الفيضان » ثم يصفها بأنها « جليلة الرستاق جيدة الفواكه والأعناب ، طيبة نظيفة ، بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الرخام ، وفى نواحيها خرنوب وزيتون ومزارع » ويصفها ابن جبير(١٢٠) فى أواخر العهد الفاطمى بحسنها واتساع مبانيها وعلوها ، ثم يصف أسواقها الحافلة بأنواع المتاجر .

ثانيا — الموانى المصرية على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) :

يمتد الحد الشرقى لمصر على ساحل بحر القلزم ، فيبدأ الساحل جنوبا من ميناء عيذاب ، ثم يمتد الى ميناء القصير ثم الى ميناء القلزم فى الشمال(١٢١) ،

---

(١١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٦٢ .
(١١٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٤٨ .
(١١٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٦٨ .
(١١٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٠ .
(١١٩) أحسن التقاسيم ص ١٩٧ .
(١٢٠) رحلته ص ٨ .
(١٢١) مسالك الممالك ص ٣٨ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧ .

ثم ينعطف الى شبه جزيرة سيناء الى ساحل بحر الروم ما بين رفح والعريش »(١٢٢) .

اختلف المؤرخون فى تفسير كلمة قلزم فيذكر أبو صالح الأرمنى(١٢٣) أن تفسيرها هو « حبل المنسج الذى يمسك الثوب واسمه قلزم » ، ويقول جاستون فيت(١٢٤) . أن أبا صالح مخطىء فى تفسيره هذا ، لانه خلط بين كلمتين يونانيتين الأولى معناها حبل المنسج ، والثانية معناها ارتطام المياه بالصخور . ويرجح المعنى الثانى فى تفسير كلمة قلزم ، أما المقريزى(١٢٥) فيذهب فى تفسيره الى أن القلازم هى الدواهى والمضايقة ، ومنها بحر القلزم ، لانه مضيق بين جبلين ، ويذكر ناصر وخسرو(١٢٦) أن بحر القلزم كان يسمى بكل مدينة تقع عليه ، فأحيانا يسمى بحر القلزم ، وأحيانا يسمى بحر عيذاب .

استمدت موانى مصر التى تقع على بحر القلزم أهميتها من أهمية بحر القلزم فقد كان همزة الوصل بين مصر والجزيرة العربية وبلدان الشرق الأقصى قديما(١٢٧) ، وزادت تلك الأهمية بعد الفتح الاسلامى لمصر فأصبح أشبه ببحيرة اسلامية تصل مصر بمركز الدولة الاسلامية فى الحجاز(١٢٨) فكان لمصر ثلاث موان هامة تقع عليه هى القلزم والقصير وعيذاب .

---

(١٢٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٣٨ .

(١٢٣) تاريخه ص ٧٣ .

(١٢٤) Maspero & wiet : Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, P. 149.

(١٢٥) الخطط ج ١ ص ١٦ .

(١٢٦) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٧٣ .

(١٢٧) ابن جبير : رحلته ص ٤٢ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٢ .

(١٢٨) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية العربية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ العدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ١٨٢ .

(أ) القـــلزم :

ميناء قــديم ، ترجــع أهميته الى ما قبل الفتح العربى لمصر(١٢٩) ، وقــد ورد اسم القلزم ، وقلزم مصر ، وجسر القلزم فى الكتابات اليونانية القــديمة كما ورد اسم جزيرة كليسما Klysma فى الكتاب المقــدس(١٣٠) .

يقع ميناء القلزم على أقصى النهاية الشمالية لبحر القلزم(١٣١) (خليج السويس) ويبعد مسيرة يوم من جهة الجنوب عن الميناء البطلمى القــديم ارسينوى كيلو باترس(١٣٢) (أبو شعر البحرى الحالية) كما يبعــد مسافة كيلو ونصف الكيلو شمالى مدينة السويس الحاليـــة(١٣٣) ، وكانت القلزم بموقعها هذا تقع فى نهاية أقصر طريق صحراوى تسلكه القوافل يصل بينها وبين الفرما ميناء مصر على ساحل بحر الروم ، الذى كان مسلكا هاما للتجارة(١٣٤) .

زادت أهمية القلزم بعــد الفتح الاسلامى ، حتى أصبح أهم موانى مصر على بحر القلزم بسبب اعادة حفر خليج أمير المؤمنين الذى كان يصل بينها وبين الفسطاط عاصمة مصر(١٣٥) ، والذى كان طريقا هاما للتجارة والحجاج(١٣٦) .

---

(١٢٩) المقــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .
سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، ص ١٦٩ .

(١٣٠) Maspero & Wiet : Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, P. 149.

(١٣١) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية العربية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العــدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ١٦٩ .

(١٣٢) Quàtremere : Memoire geographiques. T. I. p. 177.

(١٣٣) عطية القــوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٢١ .

(١٣٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٥٣ ، أبو صالح الأرمنى : تاريخه ص ٧٣ .

(١٣٥) أبو صالح الأرمنى : تاريخه ص ٧٤ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧١ .

(١٣٦) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، ص ١١٣ .

كانت القلزم تقع فى صحراء لا ماء فيها ولا نبات ، فكان المــاء يحمل اليها فى المراكب من آبار بعيدة(١٣٧) ، كما كانت المــيرة تحمل اليها من بلبيس(١٣٨) يصفها المقــدسى(١٣٩) بقوله : « يابس ، عابس ، لا ماء ولا كلأ ، ولا زرع ، ولا ضرع ، ولا حطب ، ولا شجر ، ولا عنب ، ولا ثمر يحمل اليهم المــاء فى المراكب » ومن أمثالهم » ، ميرة القلزم من بلبيس ، وشربهم من سويس ثم يذكر أنها بالرغم من هــذا كانت ذات مساجد حسنة وقصور جليلة ومتاجر مفيدة ، وهى خزانة مصر ، وفرضه الحجار ومعونة الحاج •

كانت بداية ازدهار القلزم فى منتصف القرن الخامس الميلادى أثر انتقال النشاط البحرى اليها من مينائى بيرانيس ، (مدينـــــة الهراس) وميـــــوس هورموس(١٤٠) (أبو شعر القبلى) وظلت على أهميتها فى العصر الاسلامى بعــد حفر خليج أمير المؤمنين(١٤١) حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، ثم أخــذت فى الضعف والاضمحلال اذ تضافرت العوامل السياسية والجغرافية على فقدانها أهميتها وحلول مينائى عيذاب والقصير محلها فى الأهمية(١٤٢) ، واندثرت وخربت تماما على أيام المقريزى(١٤٣) ، الذى ينقل نصا عن ابن الطوير يدل على خرابها فى أيامه فيقول فيه • أنها كانت فى القــديم من سواحل الديار المصرية ، ويذكر محمد رمزى(١٤٤) ، أنها خربت ، وبنى فى موضعها بلد آخر يسمى السويس ، وآثارها لم تزل قائمة بين مساكن بندر السويس باسم قلعة القلزم •

---

(١٣٧) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٢ .
(١٣٨) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٦٧ .
(١٣٩) احسن التقاسيم ، ص ١٩٦ .
(١٤٠) أحمد دراج : « عيذاب » مجلة نهضة افريقيا عــدد يوليو واغسطس سنة ١٩٥٨ ، ص ٥٥ .
(١٤١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧١ .
(١٤٢) أحمد دراج : « عيذاب » مجلة نهضة افريقيا عــدد يوليو واغسطس ١٩٥٨ ، ص ٥٦ .
(١٤٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٣ .
(١٤٤) القاموس الجغرافى — (البلاد المندرسة) ، ص ٩٩ .

(ب) القصـــير :

تقع على ساحل بحر القلزم ، ما بين القلزم وعيذاب ، ويصف المقريزى(١٤٥) موقعها عند وصفه ، بحر القلزم « فاذا وصل الى القلزم — أى ميناء القلزم — انعطف جهة الجنوب ، ومر الى القصير ومن القصير الى عيذاب » وتقع القصير على أقرب نقطة تصل بين بحر القلزم ومدينة قـــوص التى تعـــد من أهم المدن التجارية الواقعة على نهر النيل(١٤٦) ، فيقطع الطريق بينهما فى خمسة أيام ، فكانت بذلك فرضة قوص على بحر القلزم(١٤٧) ، وكانت المسافة بينها وبين عيذاب تقطع فى ثمانية أيام(١٤٨) .

لا تمـــدنا المصادر الاسلامية بمعلومات وافية عن القصير ، مما يثبت أنها لم تكن بذات الأهمية التى بلغتها كل من نظيرتيها على بحر القلزم عيذاب والقلزم ، ولعـــل سبب ذلك هـــو أهمية موقع عيذاب ومنافستها لها(١٤٩) .

كانت القصير ميناء صغيرا وصفت بأنها مرسى للسفن(١٥٠) ، وبالرغم من مشاركة القصير لعيذاب فى نشاطها البحرى(١٥١) ، الا أن البعض اعتبرها تابعة

---

(١٤٥) الخطط ج ١ ص ١٧ .

(١٤٦) قـــوص مدينة من مدن محافظة قنا ، تقع على شاطىء النيل ، وترتبط بعيذاب والقصير على ساحل بحر القلزم بطرق عبر صحراء عيذاب وزارها ابن جبير فوصفها بأنها « حفيلة بالأسواق متسعة المرافـــق ، كثيرة الخلق ، لكثرة الصادرات والوارد من الحجاج والتجار اليمنية ، والهندية ، وتجار ارض الحبشة ، لانها محط للجميع » ابن جبير : رحلته ص ٣٦ ، ٣٧ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٣٦ .
Quatrémere : Memoire geagraphiques. TII, P. 194.

(١٤٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠ .

(١٤٨) ياقوت : المصدر نفسه ج ٧ ص ١١٥ .

(١٤٩) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ج ٤ ص ٤٠٧ .
أحمد دراج « عيذاب » ، مجلة نهضة أفريقيا عـــدد يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٨ ، ص ٥٦ .

(١٥٠) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠ .

(١٥١) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ، ص ١٣ .

لهـا فيذكر السيوطى(١٥٢) فى وصفه لعيذاب فيقول : عيذاب على ساحل بحر القازم ، ولها فرضه تسمى القصير » •

(جـ) عيـــذاب :

تقع على بحر القلزم(١٥٣) ، وقـد حـدد المقريزى(١٥٤) بداية ازدهارها بعام ٤٥٠ هـ ولم تأت عليها نهاية القرن الخامس الهجرى حتى غـدت ميناء مصر الأول على بحر القلزم(١٥٥) ، وليس معنى هـذا أن عيذاب لم يكن لهـا وجود قبل ذلك فقد أشار البلاذرى(١٥٦) الى وجودها عند حـديثه عن الحملة التى قادها محمد بن عبد الله القمى من قبل الخليفة العباسى المتوكل فى عام (٢٤١ هـ/٨٥٤ م) ضـد قبائل البجه ، فيذكر ان محمد بن عبد الله القمى استعان فى حربه بالميرة التى حملتها المراكب من القلزم الى ساحل عيذاب •

لم تتفق المصادر الاسلامية على تحـديد موقع عيذاب تحـديدا قاطعا ، فالاصطخرى(١٥٧) يذكر أن عيذاب من « مدن الحبشة » وياقوت(١٥٨) يحـــدد المسافة بينها وبين القصير بثمانية أيام ، والمقريزى(١٥٩) يذكر أن صحراء عيذاب مسافتها من قـوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ، ثم يصف موقعها فى موضـع آخر من كتابه فيذكر أنها على ساحل بحر القلزم الى الجنوب من القصير ، وأن ساحل بحر القلزم يمتد بعـدها الى الحبشة(١٦٠) ، وتتضارب آراء الجغرافيين

---

(١٥٢) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٢ •
(١٥٣) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧٢ •
(١٥٤) الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ •
(١٥٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٥ •
(١٥٦) فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٨٢ •
(١٥٧) المسالك والممالك ، ص ٥٤ •
(١٥٨) معجم البلدان جـ ٧ ص ١١٥ •
(١٥٩) الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ •
(١٦٠) المصـدر نفسه جـ ١ ص ١٧ •

الأوربيين بخصوص موقع عيذاب أيضا ، ويستعرض جاستون فيت تلك الآراء فى بحثه عن موقع عيذاب ليستخلص منها أن عيذاب تقع الى الجنوب قليلا من ميناء بيرنيكى Berenice الميناء البلطمى القديم على البحر الأحمر ، غير بعيده عن رأس بنياس الحالية(١٦١) .

استمدت عيذاب أهميتها من أهمية الدور الذى قامت به فموقعها على بحر القلزم فى نهاية الحدود الجنوبية لمصر(١٦٢) ، وارتباطها بطرق برية بمدن الصعيد الهامة كقوص وأسوان(١٦٣) ، الى جانب موقعها الذى يواجه جده على الجهة المقابلة لساحل بحر القلزم(١٦٤) كل ذلك جعلها من الموانى التجارية الهامة(١٦٥) ، ومحطة هامة فى طريق قوافل الحجاج للحجاز(١٦٦) ومنفذا لمعدن الذهب المتجمع من وادى العلاقى(١٦٧) .

كانت عيذاب من المدن الصغيرة ، فأكثر بيوتها أخصاص(١٦٨) وكان أهلها يعيشون على صيد الأسماك واللؤلؤ ورعى الأغنام(١٦٩) ، ثم أخذت تنمو تدريجيا حتى ازدهرت واستحدث فيها أبنية من الجص على أيام ابن جبير(١٧٠) ،

---

(١٦١) Maspero & wiet : Matériaux pour servir à La géographie de l'Egypte P. 130.

(١٦٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧ .

(١٦٣) ابن جبير : رحلته ص ٣٩ ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٥ .

(١٦٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، ص ٨٧ .

(١٦٥) أحمد دراج « عيذاب » ، مجلة نهضة افريقيا عدد يوليو واغسطس ١٩٥٨ ، ص ٥٣ .

(١٦٦) ابن جبير : رحلته ، ص ٤٢ .

(١٦٧) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥٤ .

(١٦٨) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٧٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٣ .

(١٦٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٢ .

(١٧٠) ابن جبير : رحلته ، ص ٤٢ .

وكانت عيذاب تملك سيناء عميقا غزير المـاء مأمون من الشعاب الناتئـة[١٧١] ، التى تنتشر فى بحر القلزم مما يسبب خطورة الملاحة به[١٧٢] .

ظلت عيذاب ميناء مزدهرا منذ القرن الخامس الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى[١٧٣] ، وفى عام (٥٧٨ هـ/١١٨٢ م) تعرضت لحملة صليبية مدمرة على يد أرناط صاحب حصن الكرك الصليبى الذى أغار عليها ونهب السفن التجـارية الوافـدة اليها من جـدة واليمن وعـدن والهند ، وأسر قافلة من الحجاج فيما بين قـوص وعيذاب ، وقتل الجميع واستولى على الميرة المعدة للحرمين[١٧٤] ، وفى عام (٨٢٢ هـ/١٤٢٦ م) تعرضت تلك المدينة للتدمير والتخريب على يد سلطان المماليك برسباى[١٧٥] ويحـدد المقريزى عام ٦٦٦ هـ تاريخـا لبداية اضمحلال عيذاب بسبب انقطاع الحجاج عنها ، على أنه يذكر أن بضائع التجار ظلت تحمل بعـد هـذا التاريخ من عيذاب الى قـوص الى أن بطل ذلك تماما فى عام ٧٦٠ هـ[١٧٦] .

---

(١٧١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ ، آدم متز : الحضـارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣١٩ .

(١٧٢) عطية القوص : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٣ .

(١٧٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٠٧ .

(١٧٤) ابن جبير : رحلته ، ص ٣٠ .

(١٧٥) احمد دراج : « عيذاب » ، مجلة نهضة افريقيا ، عـدد يوليو واغسطس سنة ١٩٥٨ ، ص ٥٤ .

(١٧٦) الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ .

ثالثا — الثغور المصرية التى تقع فى جنوب مصر على نهر النيل :

أســـوان(١٧٧) :

تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل(١٧٨) ، فى أقصى حـــدود مصر الجنوبية التى تتاخم مملكة النوبة فيصفها ناصر خسرو بقوله(١٧٩) : « وأول مدينة يصل اليها تسمى أسوان ، وولاية النوبة جنوبى أسوان ، ويعـــدها أبو صالح(١٨٠) « آخر مناهل المسلمين » ، ويصفها ياقوت(١٨١) بأنها فى « آخر صعيد مصر وأول بلاد النـــوبة » .

ولم يكن من السهل وضع حـــد فاصل بين الحـــدود الجنوبية لمصر وحـــدود النوبة المتاخمة لهـــا ، وذلك بسبب تداخل حـــدود أسوان مع بلاد النوبة(١٨٢) ، وقـــد تعرض ذلك الحـــد للتغير والتبديل تبعا للظروف السياسية التى كانت تمر بعلاقة البلدين ، على أننا نستطيع تعيين آخر حـــدود أسوان ومصر فى نهر

---

(١٧٧) يفسر المقريزى معنى كلمة اسوان من قولهم أسى الرجل اذا حزن ورجل أسيان وأسوان أى حزين ، ويفسره سليم حسن بأنه مشتق من أسمها الفرعـــونى « سونت » أى السوق وذلك لشهرتها كسوق تجارى لمصر والنوبة ، ثم حرفت الكلمة بعـــد ذلك فأصبحت أسوان ، ويفسرها البعض بأنها مشتقة من كلمة صوان وذلك لوجود محاجر الصوان والجرانيت فيها بكثرة كما عرفت باسم « سوينت » Swenet وســـيينه Syenne عند اليونان .

أنظر المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٩٧ ، سليم حسن : مصر القـــديمة ج ٢ ص ٢٩٦ .

سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العـــدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ٨١ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة (أســـوان) .

(١٧٨) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٨ .
(١٧٩) سفر نامة ، ص ٤١ .
(١٨٠) أبو صالح الأرمنى : تاريخه ، ص ١٢٧ .
(١٨١) معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٨ .
(١٨٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٩٨ .

النيل بجزيرة كانت تقع فى وسطه تسمى جزيرة بولاق[١٨٣] والى الجنوب منها موضع يقال له « القصر » وهو أول أعمال النوبة[١٨٤] . حدد المقريزى[١٨٥] المسافة بين « القصر » وبين أسوان بمقدار خمسة أميال ، والمسافة بين موضع القصر وجزيرة بولاق بميل ولحد فى النيل ، وكان هذا الجزء من النيل ملئ بالجنادل والشعاب الصخرية التى يصعب على المراكب السير فيها الا بدليل من الصيادين الذين كانوا على دراية جيدة بالمكان[١٨٦] .

اتصلت أسوان بداخل البلاد عن طريق نهر النيل[١٨٧] ، كما كانت محطة هامة فى طريق القوافل الذاهبة الى النوبة والسودان[١٨٨] ، وترتبط أسوان بموانى بحر القلزم بطريق برى يمر عبر صحراء عيذاب ويستغرق خمسة عشرة يوما الى ميناء عيذاب[١٨٩] . كما كانت أقرب مدن الصعيد الى منطقة العلاقى التى يستخرج منها الذهب[١٩٠] ، والتى تدخل ضمن حدود قبائل البجه المتاخمة لمصر من الناحية الجنوبية الشرقية[١٩١] ، ولذلك كانت أسوان السوق الطبيعية لتجارة النوبة وأواسط أفريقيا كما كانت المكان المختار الذى يبدأ منه الحجاج طريقهم الى الحجاز مخترقين صحراء عيذاب ومنها يركبون البحر الى جدة[١٩٢] .

---

(١٨٣) بولاق كلمة مصرية قديمة معناها الموردة أو المرساة حيث ترسو فيها جميع السفن ومحلها اليوم محطة الشلال بالطرف الجنوبى منه .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ، ص ٢١٦ .

(١٨٤) ابو صالح الأرمنى : تاريخه ص ١٢٧ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٨ .

(١٨٥) الخطط جـ ١ ص ١٩٠ : ١٩١ .

(١٨٦) المصدر نفسه ص ١٩٩ .

(١٨٧) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧٢ .

(١٨٨) Longfield : The Growth of Sudan, Communication PP. 310 : 311.

(١٨٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٥ .

(١٩٠) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥٤ .

(١٩١) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(١٩٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة (أسوان) .

كانت أسوان من أكبر مدن الصعيد(١٩٣) ، وصفها المقـدسي(١٩٤) بقوله : « أسوان قصبة الصعيد ، وهي من الأمهات » وكانت عامرة بالمكان فقـد أقام بها العرب منذ الفتح الاسلامي(١٩٥) للتشابه الكبير بين مناخها ومناخ بيئتهم الأصلية فى شبه الجزيرة العربية(١٩٦) ، وللدفاع عنها باعتبارها من الثغـور الحربية التى تحمي حـدود مصر الجنوبية(١٩٧) .

(١٩٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥٣ .
(١٩٤) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(١٩٥) المقريزي : البيان والاعراب ، ص ٤٤ .
(١٩٦) دائرة المعارف الاسلامية : مادة (أسوان) .
(١٩٧) أبو صالح : تاريخه ، ص ١٢٧ .

الباب الأول

الأحوال السياسية في مصر الإسلامية وآثارها في الثغور المصرية حتى نهاية العصر الفاطمي

١ ــ الثغور المصرية ابان الفتح الاسلامى .

٢ ــ الثغور المصرية وتأثرها بالأحداث السياسية التى واجهت مصر حتى نهاية العصر الأخشيدى .

٣ ــ الثغور المصرية وتعرضها للأخطار الخارجية فى العصر الفاطمى .

١ — الثغور المصرية ابان الفتح الاسلامى

اتجه العرب لفتح مصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فسار القائد عمرو ابن العاص من فلسطين قاصداً مصر فى جيش قـوامه ثلاثة آلاف وخمسمائة محارب ، وقيل أربعة آلاف فى عام ١٨ هـ (٦٣٩ م)[١] .

وكان من العقبات التى واجهت عمرو بن العاص فتح الموانى المصرية التى تقع علي ساحل بحر الروم ، فقـد اتخذت تلك الموانى من حصونها ، وأسوارها ، وحامياتها العسكرية درعاً يحميها من دخول الجيش العربى الفاتح اليها ؛ ذلك أن الرومان أدركوا أهميتها فى الدفاع عن مصر فحصنوها ، وشحنوها بالحاميات العسـكرية[٢] .

استولى عمرو بن العاص على العريش بدون قتال أو مقاومة[٣] ، ثم اتخـذ طريقه الى الفرما ، وهـو الطريق الذى سار فيه معظم القواد الذين دخلوا مصر فاتحين قبـل ذلك[٤] .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٤٧ .

(٢) عبد الرحمن زكي : « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى » ، المجـلة التاريخية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٠٦ ، ١٢٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٨ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٢٣٨ .

(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٦ .

كانت الفرما من البلاد المصرية الحصينة ، ذات الأسوار المنيعة ولأهميتها فى الدفاع عن حدود مصر الشرقية سميت بمفتاح مصر من الشرق(٥) ، ولم يكن مع العرب شيء من عدة الحصار ، كما لم يكن لديهم علم بطرقه حتى يستطيعون اقتحام أسوار المدينة(٦) ولذلك وقفوا أمام تلك الأسوار محاصرين لها شهرا(٧) .

ويحدثنا ابن عبد الحكم(٨) عن القتال الذى دار بين الروم والعرب عند الفرما بقوله : « فتقدم عمرو بن العاص ، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما ، قاتلته الروم قتالا شديدا نحوا من شهر » الى أن استطاع العرب أتباع جند الرومان فى احدى المرات حتى باب المدينة ، وبذلك تيسر لهم الاستيلاء عليها ودخولها فى أول المحرم ١٩ هـ (١٥ يناير ٦٤٠ م)(٩) ، وعاون القبط من أهل الفرما العرب أثناء فتحهم تلك المدينة(١٠) ، لرغبتهم فى التخلص من الحكم الروماني المستبد(١١) .

وبفتح العرب للفرما صار فى أيديهم معقل هام ، يؤمن لهم الطريق المؤدية الي بلادهم ، والتى عن طريقها ستأتى اليهم الامدادات لاتمام فتح مصر(١٢) .

---

(٥) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ١ ص ٢٣٨ .
(٦) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٦ .
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٤٨ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٧ .
(٨) فتوح مصر واخبارها ، ص ٤٨ .
(٩) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٧ .
(١٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٤٩ .
Wiet : Histoir de la nation Égyptienne, vol. IV p. 3.
(١١) لوبون: حضارة العرب ، ص ٢٢٧ .
(١٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٨ .

هدم عمرو بن العاص أسوار المدينة وحصنها ، قبل أن يغادرها[١٣] اذ لم يكن باستطاعته ترك جزء من جيشه لحمايتها[١٤] ، لأن جيشه لم يكن كبيرا ، فقد تراوح عدده ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة الى أربعة آلاف محارب[١٥] .

واصل عمرو طريقه بعد ذلك متغلبا على ما كان يصادفه من اشتباكات خفيفه مع الروم ، وتمكن من الاستيلاء على بلبيس بعد حصار دام شهرا ، ثم واصل سيره حتى بلغ أم دنين حيث نشب قتال عنيف بينه وبين الروم[١٦] ، الذين تحصنوا فى حصن بابليون[١٧] ، وفى هذه الاثناء وصلته امدادات من الخليفة ، بلغت أربعة آلاف مقاتل ويقال أثنى عشر ألف مقاتل[١٨] .

حاصر العرب الحصن ، وفى أثناء ذلك اختلفت السفراء بينهم وبين الروم ، وأصر عمرو ألا يقبل من الروم الا الدخول فى الدين أو دفع الجزية ، أو القتال ، ورفض الروم الشروط ، واستئونفت الحرب[١٩] ، وبعد حصار دام سبعة أشهر استطاع العرب اقتحام الحصن والاستيلاء عليه[٢٠] ، فسلم الروم وقبلوا دفع الجزية وعرف ذلك الاتفاق بصلح بابليون ، واشترط المقوقس حاكم مصر الرومانى أن لا يبت فى أمر الروم نهائيا الا بعد أن يكتب الى هرقل فان قبل الامبراطور الصلح نفذ هذا الصلح عليهم ، وان لم يقبل عادت الحالة بين الروم والعرب الى ما كانت عليه ، ولكن رد هرقل تضمن لوم المقوقس ، ومؤاخذته على تخاذله وطلب منه أن ينهض هو الروم لمحاربة العرب[٢١] .

---

(١٣) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ١٠٧ .
(١٤) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٨ .
(١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٧ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .
(١٧) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١١ .
(١٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٤٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٥١ .
(١٩) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١١ .
(٢٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٢ .
(٢١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٢ .

اتجه عمرو بن العاص بجيشه بعــد ذلك لفتح الإسكندرية(٢٢) ، في الوقت الذي حشد الروم قــواتهم فيها للدفاع عنها(٢٣) ، ويقال أن هرقل امبراطور الدولة البيزنطية استعد للخروج الى الاسكندرية للدفاع عنهــا بنفسه لــولا أن عاجلته المنية وتوفى في ٢٣ من صفر ٢٠ هـ (فبراير ٦٤١ م) فأضعف ذلك قــوة الروم في مصر(٢٤) .

كانت الاسكندرية عاصمة مصر وأهم مدنها(٢٥) ، وكان لهــا من الأهمية العالمية ما جعلها المدينة الثانية بعــد القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية(٢٦) ، وكان الروم يدركون أهميتها الحربية ، والتجارية والبحرية ، ولذلك اهتمــوا بحاميتها وأعــدوها اعــدادا جيدا فبلغ عــدد جندها خمسين ألف جندى(٢٧) ، هــذا بالاضافة الى حصانتها الطبيعية ، فخليج الاسكندرية يحميها من الغرب ، وبحر الروم يحميها من الشمال(٢٨) ، وعن طريقه كانت تتوالى عليها الامدادات من الزاد والعتاد(٢٩) .

وصل عمرو بجيشه الى الاسكندرية ، وبدأ بالهجوم عليها ، وردت عليه قوات الروم ردا عنيفا ، مما اضطره الى الارتداد بجيشه والوقوف على بعــــد من

---

(٢٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩ .

(٢٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ص ٢٥٢ .
Wiet : Histoir de la nation Egyptienne, Vol. IV, P. 5.

(٢٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٥٩ ، سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٢ .

(٢٥) دائرة المعارف الاسلامية : مادة (اسكندرية) .

(٢٦) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٦٥ .

(٢٧) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢١٦ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٢ .

(٢٨) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ، ص ٢٧ .

(٢٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٨ .

المدينة (٣٠) ، ليقطع بذلك الصلة بين المدينة وداخل البلاد (٣١) ، وعسكر العرب بجيشهم فى موضع يقال لـه حلوة وحصن يعـرف بقصر فارس ، والى ما وراء ذلك(٣٢) .

طال حصار العرب لمدينة الاسكندرية حتى بلغ أربعة عشر شهرا حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل يستبطىء الحصار(٣٣) ، ولعـل السبب الرئيسى فى ذلك مناعة الاسكندرية لقوة حصونها وأسوارها(٣٤) التى استعصت على العرب .

على أن تغير أحوال الدولة البيزنطية بعـد موت هرقل بدل الموقف لصالح العرب ، فخلفه أبناه قسطنطين وهرقل الصغير « هرقلوناس » تحت وصـاية الامبراطورة مارتينة Martina التى عملت على انهاء حالة الحرب مع العرب لانشغالها بالمشاكل الداخلية للدولة فأرسلت المقوقس الى مصر — وكان قـد غادرها قبل ذلك — لعقد الصلح مع العرب(٣٥) ، ومن العوامل التى ساعدت على ابرام الصلح سوء حالة جيش الروم بالاسكندرية بسبب تنازع القواد ، وانقسام الرأى فيما بينهم(٣٦) .

تسلم العرب الاسكندرية من الروم بدون قتال بمقتضى شروط صـلح الاسكندرية فى محرم ٢٠ هـ (نوفمبر ٦٤١ م) والذى اشترط على الروم تأدية الخراج والجزية على ما يملكون من الزرع والأموال ، كما نص على قيام هـدنه

---

(٣٠) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢١٦ ، سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ، ص ٢٢٦ .

(٣١) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢١٦ : ٢١٨ .
(٣٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٨ .
(٣٣) المصـدر نفسه ، ص ٦٠ : ٦١ .
(٣٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٤٨ .
(٣٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٣ .
(٣٦) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٢٧ .

بين الطرفين مدتها أحـــد عشر شهرا ، ترحل خلالها حامية الاسكندرية الرومانية فى البحر ، على ألا يعود الروم بعـــد ذلك الى أرض مصر ، وضمن العرب حرية العبادة ، وأمن الكنائس ، والسماح لليهود بالاقامة بالاسكندرية(٣٧) •

كان فتح الاسكندرية صلحا نصرا كبيرا لجيش المسلمين ، وكان على عمرو ابن العاص بعـــد ذلك أن يعمل سريعا على فتح موانى الساحل الشمالى خاصـــة وأن موعـــد فيضان النيل قـــد قرب(٣٨) • وكان عمرو بن العاص قـــد حاول فتح تلك الموانى أثناء حصار الاسكندرية ، فلما طال حصار المسلمين لتلك المدينة ، ترك عمرو جنده أمامها وأخـــذ معه سرية وهاجم بهـــا بعض بلـــدان الدلتـــا ، والساحل الشمالى ليشعرها بوجوده(٣٩) ، وقيل أن هـــذه السرية بلغت أســـوار دمياط ، وفى ذلك الحين لقى عمرو مقاومة شديدة وعاد دون أن يدخل أيا من بلاد الساحل الشمالى(٤٠) •

أخـــذ عمرو بن العاص بعـــد فتح الاسكندرية يرسل كتبه الى حكام تلك البلاد ويعرض عليهم شروط الصلح التى صالح عليها أهـــل الاسكندرية ومنها ما يختص بتأمين السكان وحرية العبـــادة ، فعقـــد صلحا مـــع صاحب اخنـــا ، وقزمان صاحب رشيد ، يحنس صاحب البرلس(٤١) • ويذكر ابن اسحق(٤٢) « أنه بعـــد فتح الاسكندرية بأيام جاء أهـــل رشيد وفـــوه والمحلة ودميرة وجرجه وسمنود والبحيرة ، وعقـــدوا لهم صلحا وصالحهم عمرو بن العاص على ما اتفقـــوا عليـــه » •

---

(٣٧) الطبرى : تاريخـــه ج ٢ ص ٢٢٧ — ابن عبد الحـــكم : فتوح مصر ، ص ٥٥ : ٥٦ .

(٣٨) نقولا يوسف : تاريخ دمياط ، ص ٧٨ ، بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢١٧ .

(٣٩) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢١٧ .

(٤٠) نقـــولا يوسف : تاريخ دمياط ، ص ٧٨ .

(٤١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٧٩ .

(٤٢) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأعمالها ، ص ٧٩ .

سار العرب بعـــد ذلك من البرلس على شاطىء البحر متجهين لفتـــح دمياط[٤٣] وتذكر المصادر أن حاكم دمياط فى فترة الفتح العربى كان يسمى الهاموك ، وأنه كان خال المقوقس[٤٤] ، فلما وصل لعلمه دخول العرب مصر امتنع بدمياط ، واستعد لحربهم ، فيقول الواقـــدى[٤٥] « وحصن الهاموك دمياط ، وأوثقها بالرجال ، والزاد والأطعمة » ، فى الوقت الذى وصلت فيه سرية عربية صغيرة بقيادة المقـــداد بن الأسود الى أسوار دمياط[٤٦] ، وكان للهاموك ولـــد يسمى شطا ، وكان دائم البحث فى أمر الرسول والدين الاسلامى ، فلما أقبـــل المسلمون لفتح دمياط أعلن اسلامه وانضم اليهم لمساعدتهم فى فتح المدينة فلمـــا رأى والده ذلك أسلم هـــو الآخر ، وسلم للعرب ، وبذلك تم لهم فتح دميـــاط بدون قتـــال[٤٧] .

وبفتح المسلمين دمياط أصبحوا مسيطرين على جميع منافـــذ نهر النيل الى البحر ولم يبـــق أمامهم الا جزر بحيرة تنيس[٤٨] ، وكان حاكم تنيس يسمى « أبو ثور »[٤٩] وكان من العرب المتنصرة[٥٠] ، وقـــد حصن نفسه بجزيرته بعد علمه بدخول العرب دمياط فوضع على ساحل تنيس المراكب ، وشحنها بالرجال ليحفظوا معبرها عمـــن يأتى من قبل دمياط[٥١] ويبدو أن العرب أرسلوا الى أبى ثور أولا يرغبونه فى الدخـــول فى الدين الاسلامى ، وقام بهـــذه المهمة شـــطا ،

---

(٤٣) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٧ .
(٤٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢١٣ .
(٤٥) الواقـــدى : فتوح مصر والاسكندرية ، ص ١٢٦ .
(٤٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٣ .
يذكر البلاذرى أن قائد السرية هـــو عمير بن وهب الجمحى ، فتوح البلـــدان ص ٢٥٤ .
(٤٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢١٣ .
(٤٨) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٧ .
(٤٩) يطلق عليه ابن اسحق والواقـــدى « أبا ثوب » فتوح مصر وأعمالهـــا ، ص ٨٣ : ٨٤ ، فتوح مصر والاسكندرية ، ص ١٣٣ : ١٣٤ .
(٥٠) المقريزى الخطط ، جـ ١ ص ١٧٧ .
(٥١) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأعمالها ، ص ٨٣ .

ويزيد بن عامر فتظاهر بقبول دعوتهما ، الا أنهما ما كادا يغادران تنيس حتى أتى الخبر بأنه يجمع الجنود من الجزائر المجاورة استعدادا لحرب المسلمين ، ومنعهم من دخول جزيرة تنيس(٥٢) ، وتذكر المصادر أن عــدد جيشه وصــل الى عشرين ألف مقاتل(٥٣) ، ورغم ما فى هــذا الرقم من مبالغة كبيرة ، اذ لا يمكن أن يصل جيشه الى هــذا العدد بأى حال من الأحوال الا أنه يدلنا على أن العرب قــد واجهوا مقاومة كبيرة أثناء فتحهم تنيس ، ولمــا علم شطا بضخامة جيش أبى ثور خرج الى المدن المجاورة « البرلس والدميرة وأشموم طناح ، فحشد أهــل تلك النواحى ، وقــدم بها مددا للمسلمين وعــونا لهم على عــدوهم(٥٤) ، كما أرسل المسلمون يطلبون العون من قائدهم عمرو بن العاص »(٥٥) .

تختلف المصادر فى تحــديد مكان المعركة التى دارت بين المسلمين وأبى ثور فيتضح مما أورده المقريزى(٥٦) أنها كانت على أرض تنيس ، فيذكر أن شــطا جمع أهل تلك النواحى المجاورة وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس ، فبرز لأهلها وقاتلهم قتالا شديدا أما ابن اسحق فيتفق مع الواقــدى(٥٧) فى أن الموقعه جرت على أرض دمياط الى الشرق منها ، وأن المسلمين ومن أتى من النواحى المجاورة لمساعدتهم عسكروا شرق دمياط مما يلى القبلة وأن « أبا ثور » أتى بجنده فى مراكب من تنيس الى دمياط حيث التقى الجمعان ، وبرغم اختلاف المصادر على مكان المعركة الا أنها تتفق على عنفها ، وأن شطا قــد أبلى فيها بلاء حسنا ، وقاتل قتالا شديدا الى جانب المسلمين « فقتل رجالا جندل أبطالا »(٥٨) حتى

(٥٢) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأعمالها ، ص ٨٣ .
(٥٣) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٧ .
(٥٤) المصــدر نفسه ، جـ ١ ص ٢١٤ .
(٥٥) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأعمالها ، ص ٨٩ .
المقريزى الخطط ، جـ ١ص ٢٢٦ .
(٥٦) الخطط ، جـ ١ ص ٢١٤ .
(٥٧) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأعمالها ، ص ٨٩ .
الواقــدى : فتوح مصر والاسكندرية ، ص ١٤١ .
(٥٨) ابن اسحق الأموى فتوح مصر ، ص ٨٩ — الواقــدى : فتوح مصر ، ص ١٤٥ : ١٤٦ .

استشهد فى تلك المعركة ، فى ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احـدى وعشرين للهجرة(٥٩) وانجلت المعركة عن هزيمة « أبى ثور » وقتل معظم جيشه ، بفضل شجاعة « شطا » الى جانب الامدادات التى أتت الى المسلمين من عمرو بن العاص بقيادة هلال بن أوس فاستطاعوا أسر « أبا ثور » فولى جيشه الفرار وتبعهم المسلمون بالقتل ولم يكن لهم حصن ولا بلد ، فيفرق بينهم وبين تنيس البحر ، فقتل من قتل وأسر من أسر(٦٠) وبذلك تم للمسلمين الاستيلاء على مدينة تنيس ، كما خضعت لهم بقية جزر البحيرة(٦١) •

وبفتح العرب دمياط وتنيس ، تمت لهم السيطرة على كل بلاد مصر السفلى بما فيها الموانى الشمالية ، وكان عمرو بن العاص قـد سيطر على بلدان الصعيد قبل أن تضع الحرب أوزارها فى مصر السفلى بزمن طويل ، اذ أرسل سرية بقيادة خارجه بن حـذافة استطاعت اخراج الروم من بلاد الصعيد التى أذعنت للعرب تماما بدون قتال فى ٢٠ هـ (٦٤١ م)(٦٢) ، الا أن ابن حوقل(٦٣) يذكر أن فتـح أسوان قـد تم فى سنة ٣١ هـ على يد عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، مما يوضح لنا أن أسوان ظلت طول تلك الفترة عرضة لغارات النوبيين المتكررة(٦٤) ، ولم تذعن للعرب تماما الا بعـد غزوة عبد الله بن سعد فى تلك السنة •

---

(٥٩) المريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٢٦ .
يقال أن شطا قـد دفن فى مكان استشهاده حيث سميت قرية شطا المجـاورة لدمياط باسمه ، ولا زالت هـذه المقبرة قائمة الى الآن فى تلك القرية ، ويجتمع اليهـا الناس كل عام من النواحى المجاورة فى النصف من شعبان لاحياء ذكرى ذلك البطل .
جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٢ .
(٦٠) ابن اسحق الأموى : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٩٢ .
(٦١) المصـدر نفسه ، ص ٩٣ ، الواقـدى : فتـوح مصر والاسـكندرية ، ص ١٤٨ .
(٦٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٣ .
(٦٣) ابن حوقل . صورة الأرض ، ص ٥١ .
(٦٤)
Trimigham : Islam in the Sudan, P. 60.
Wiet : Histoire de la nation Egyptienne, vol. IV, P. 30.

وبسيطرة العرب على موانى مصر فى الساحل الشمالى أولا ، ثم ثغر آسوان ثانيا ، الى جانب استيلائهم على جميع أنحاء البلاد المصرية دخلت مصر عهــدا جــديدا فأصبحت احــدى الولايات التابعة للخلافة الاسلامية وأسند الخليفة عمر بن الخطاب ولايتها لعمرو بن العاص(٦٥) .

---

(٦٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١١ .

الثغور المصرية وتأثرها بالأحداث السياسية التى واجهت مصر حتى نهاية العصر الأخشيدى

(أ) موقف الثغور من الحركات المناهضة للخلافة فى مصر :

تأثرت الموانى والثغور المصرية بالأحداث السياسية التى واجهت مصر فى تلك الفترة ، وكانت بحكم موقعها ملجأ لبعض المعارضين للخلافة ولوالى الفسطاط ، ومن ثم أضحت مسرحا لكثير من الفتن والثورات ، ففى العصر الأموى كانت الاسكندرية تشارك فى الحركات التى تطالب بالاصلاح ، أو ذات الميول والاتجاهات الخاصة ، ووجد الخوارج فيها ملجأ ومكانا مناسبا لهم ، اذ أنها كانت محطة الأمان بالنسبة للخوارج الفارين أمام قوات الخلافة من المشرق نحو المغرب(٦٦) ففى الوقت الذى خرج اليها والى مصر قرة بن شريك فى عام ٩١ هـ (٧٠٩ م) تآمر فيها جماعة من الخوارج بلغ عددهم مائة شخص ، على الفتك به ، وبايعوا واحدا منهم هو المهاجر بن أبى المثنى التحيبيى رئيسا لهم ، ووصلت أخبار تلك المؤامرة الى الوالى عن طريق رجل يدعى أبو سليمان كان قريبا منهم ، فاستطاع قرة بن شريك مفاجئتهم قبل أن يتفرقوا وقبض عليهم وحبسهم فى الحجرات التى تتخلل المنارة ، ثم قتلهم على حين انتقم أحد الخوارج من أبى سليمان فقتله(٦٧) .

كما تأثرت الموانى بما حدث من صراع بين الأمويين والعباسيين فى أخريات الدولة الأموية ، فما كاد مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ينهزم أمام العباسيين فى موقعة الزاب ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) حتى أخذ والى مصر من قبل الأمويين عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير يستعد لمقاومة العباسيين(٦٨) ،

---

(٦٦) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ، ص ٢٦١ .
(٦٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٦٤ .
(٦٨) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٢ .

فى الوقت الذى اندلعت فيه ثورة كبرى للقبط فى ثغر رشيد(٦٩) ومنطقة البشمور(٧٠) • وامتنعوا عن دفع الخراج ، فحاربهم عبد الملك ولكنهم استطاعوا هزيمته وساعدهم على ذلك صعوبة الوصول اليهم لاحاطة المستنقعات بمنطقتهم(٧١) • وفى ذلك الوقت لجأ مروان بن محمد الى مصر بعد هزيمته فى ٢٢ شوال ١٣٢ هـ (٧٤٩ م)(٧٢) فوجد أن الدعوة العباسية قد انتشرت فى الاسكندرية وسود بها الأسود بن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى ، وأصبح من أنصار العباسيين وكذلك يحيى ابن مسلم بن الأشج مولى بنى زهرة سود بأسوان(٧٣) •

نجح مروان بن محمد فى استعادة الاسكندرية واخضاع أنصار العباسيين بها بعد أن أرسل جيشا اليها بقيادة الكوثر بن الأسود الغنوى وعثمان بن أبى نسعه الخثعمى ، واستطاع الجيش الأموى هزيمة أنصار العباسيين عند الكريون(٧٤) ودخول الاسكندرية ، ثم سار عثمان بن أبى نسعة الى رشيد واستطاع هزيمة القبط فيها ، فى الوقت الذى أخضع زبان بن عبد العزيز الصعيد وأعادها لسيطرة الأمويين(٧٥) ، الا أن مروان بن محمد لم يجن ثمار نصره ، فقد استطاع الجيش العباسى الذى تبعه الى مصر القضاء على قواته وقتله فى بوصير

---

(٦٩) الكندى : الولاة والقضاة ص ٩٦ ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٣٠٤ •

(٧٠) أطلق على المنطقة التى اندلعت فيها ثورة القبط منطقة البشمور أو البشرود وهى المنطقة الرملية الواقعة على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد والتى عرفت قديما باسم بيكولى Bucolies والتى حدثت فيها حرب الزراع فى عهد الامبراطور الرومانى ماركوس أورنيوس •
Wiet : Hist. de la Nation Egypt. V. P. 37.

(٧١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٤ : ١٤٥ •

(٧٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٥ ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٣٠٤ •

(٧٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٥ •

(٧٤) الكريون موضع قرب الاسكندرية ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٥٨ • سعد زغلول : الاسكندرية ، ص ٢٦٠ •

(٧٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٦ ، المقريزى الخطط ، ج ١ ص ٣٠٤ •

يوم الجمعة ٢٣ من ذى الحجة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) مما ترتب عليه دخول مصر فى حــوزة العباســيين(٧٦) .

تأثرت ثغور مصر كسائر بلادها بما حــدث من نزاع بين الأمين والمــأمون بسبب نظام ولاية العهد ، فلمـا خلع الأمين أخاه المــأمون من ولاية العهد ، وولى بدلا منه ابنه موسى ، قامت الحرب بين الأمين والمــأمون فى عام ١٩٥ هـ وانتهت بقتل الأمين ١٩٨ هـ(٧٧) ، وكانت فترة الخلاف بينهما فترة اضطراب فى مصر ظلت آثارها لعــدة سنين طويلة بعــد ذلك وتأثرت الثغور بتلك الأحداث ، فظلت ميدانا للحرب والقتال لمدة طويلة بين أنصار كلا الفريقين .

لمـا علم عرب مصر بخلع الأمين للمــأمون من ولاية العهد فكر فريق من الجند فى الدعوة لخلع الأمين غضبا للمــأمون ، وتزعم هــذه الحركة السرى بن الحكم بن يوسف(٧٨) ، وعبد العزيز بن الوزير الجروى (٧٩) واستطاع هــؤلاء اخراج والى مصر من قبل الأمين فى جمادى الأخرة ١٩٦ هـ (٨١١ م)(٨٠) .

وعندما انتصر المــأمون على أخيه وآلت اليه الخلافة أسند الى المطلب بن عبد الله الخزاعى ولاية مصر ، ثم عاد وعزله فى سنة ١٩٨ هـ ، الا أن المطلب لم

---

(٧٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٦ : ٩٧ .

(٧٧) الطبرى : تاريخه ، جـ ١٠ ص ١٣٨ : ١٥٦ .

(٧٨) دخــل السرى بن الحكم الى مصر فى جند الليث بن فضل أيام الرشــيد ، وكان خامل الذكر ولم يرتفع أمره الا بعــد دعوته لخلع الأمين .
الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٤٨ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٨ .

(٧٩) فى عهد العباسيين اقامت جموع كبيرة من قبيلتى لخم وجزام فى الحوف الشرقى ، وكانت لهم الزعامة به ثم انطلقت جموع كبيرة منها الى الدلتــا واتجهت غربا الى الاسكندرية تاركين أقربائهم فى الحوف الشرقى حتى أصبحت لخم أقــوى القبائل العربية فى الاسكندرية ، وصار لجزام زعامة قوية تمثلت فى شخص عبد العزيز ابن الوزير الجروى (نسبة الى بنى جرى فرع من جزام) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٠٣ .

(٨٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٤٨ : ١٤٩ .

يخرج من مصر لاجماع الجند على مبايعته ، فتولى الحكم فيها مرة أخرى فى ١٩٩ هـ (٨١٤ م)(٨١) ٠

انتهز عبد العزيز بن الوزير الجروى تلك الفوضى واستولى على تنيس ، ونشر نفوذه على شرقى الدلتا كلها مستندا فى ذلك لمساعدة عصبيته من قبيلتى لخم وجزام(٨٢) ٠ وكان اختيار عبد العزيز الجروى لثغر تنيس وجعلها قاعدة لحكمة اختيارا موفقا لما تتمتع به تنيس من موقع يتميز بالحصانة الطبيعية ، وسهولة الدفاع عنها ٠

أرسل المطلب جيشا بقيادة السرى بن الحكم لمقاتلة عبد العزيز الجروى ، واستعادة تنيس منه ، فاستطاع الجروى ، هزيمة السرى وأسره وسجنه بتنيس فى جمادى الأول ١٩٩ هـ(٨٣) ، وامتدت تلك الفوضى الى ثغر الاسكندرية ، فأسند ولايتها الى محمد بن هبيره الذى استخلف عليها بدوره عمر بن عبد العزيز الذى يقال له عمر بن هلال(٨٤) ، ولعل هـذا الأخير لم يحسن حكم المدينة ، ولم يستطع التغلب على القبائل الضاربة فى أطرافها ، التى كانت تشن عليها الغارة تلو الغارة للنهب ، وتلقى الذعر فى قلوب أهلها(٨٥) ، فعزله وعهد لأخيه الفضل بولايتها(٨٦) ، انتهز الجروى فرصة أحداث الاسكندرية ، وأرسل الى عمر بن هلال يحرضه على الخروج على طاعة والى الاسكندرية الجديد ، والدعوة له(٨٧) ، ولما أراد عمر بن هلال تنفيذ ذلك لم يجد استجابة لدعوته عند

---

(٨١) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ : ١٥٣ ٠
(٨٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٨ ، عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٠٣ ٠
(٨٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٥٦ : ١٥٧ ٠
(٨٤) يسميه المقريزى عمر بن ملاك : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٨ ٠
(٨٥) صديق شيبوب : « أندلسية بالاسكندرية » ، مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ ، ص ٢٣٢ ٠
(٨٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٧ : ١٥٨ ٠
(٨٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٩ ٠

أهـل الاسكندرية الذين تغاضوا عن دعوته واستكانوا لحكم الفضل(٨٨) ، فولى عمر بن هلال وجهه شطر جماعة من أهـل الأندلس(٨٩) رسوا بمراكبهم فى ميناء الاسكندرية وطلب معـونتهم فى اخراج الفضل من هـذه المدينة ، وكان هؤلاء قـد شاهدوا الفوضى التى حلت بالاسكندرية ، فساعدوه فى ذلك ويبدو أن أهـل الاسكندرية كانوا يريدون أن تنعم مدينتهم بالهـدوء والاستقرار فوثبوا عليهم وقتلوا بعضهم وأخرجوهم من المدينة وأعادوا الفضل لولاية الاسكندرية(٩٠) .

لم يرض المطلب عن خروج الجروى عليه واستئثاره بحكم تنيس ، فجهز جيشا لمحاربته للمرة الثانية ، فلما علم بذلك الجروى أخرج السرى من السـجن واتفق معه على مناهضة المطلب والعمل على خلعه من ولاية مصر ، وتوليتهـا

---

(٨٨) صديق شيبوب : « جمهورية اندلسية بالاسكندرية » ، مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ ، ص ٢٣٢ .

(٨٩) قامت فى الأندلس فى عهد الحكم الأول ١٨٠ — ٢١٦ هـ (٧٨٦ : ٨٢٢ م) ثورة أشعلها الفقهاء المقيمون فى حى الربض وهو ضاحية من ضواحى قرطبة ، وقـد أخـذ هؤلاء على الحكم انصرافه عن شئون الرعية ، وتناوله الخمر ، واتخاذه حرسا من الآجانب ، واستطاع جند الحكم هزيمة أهـل الربض ، فأباح الحكم الحى لجنده فأقاموا به مذبحة كبرى دامت ثلاثة أيام ، ثم أصـدر أمره بهـدم الربض ، واجلاء جميع سكانه عن الأندلس ، وصلب زعمائه الثلاثمائة ، وسمى الحكم لذلك بالحكم الربضى ، واخـذ سكان الربض فى الرحيـل فى اعـداد كبيرة ، فاستمر بعضهم فى مراكش وأبحر عـدد كبير منهم بلغ نحـو خمسة عشر الفا الى مصر ، ورسـوا بمراكبهم عند ميناء الاسكندرية فى ١٩٩ هـ (٨١٤ م) . ولم يسمح لهم أهـل الاسكندرية فى أول الأمر بمغادرة مراكبهم ، ودخـول الاسكندرية ، الا أن الفتن والثورات الأهلية التى اجتاحت الاسكندرية فى ذلك الحين هيأت لهم الجو للاستيلاء عليها وحكموها ما يقرب من عشرة سنوات حتى أجلاهم عنها القائد العباسى عبد الله ابن طاهر ، فاتجهوا الى جزيرة اقريطش (كريت) واستولوا عليها من البيزنطيين وأقامو بها امارة أندلسية عاشت حتى منتصف القرن الرابع الهجرى انظر :ابن الأبار الحلة السيراء ، جـ ١ ص ٤٤ : ٤٥ .

ابن عـذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ، جـ ٢ ص ٧٨ : ٧٩ .

المراكشى : المعجب فىتلخيص اخبار المغرب ، ص ٩١ ، ابراهيم أحمد العدوى : « اقريطش بن البيزنطيين والمسلمين » المجلة التاريخية ، المجلد الثالث ، العـدد الثانى أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، ص ٥٣ ، صديق شيبوب : « جمهورية أندلسية بالاسكندرية » مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ ، ص ٢٣٢ .

(٩٠) الكندرى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٩ .

للسرى[٩١] ، واظهار كتاب من الخليفة بذلك لاضفاء الشرعية على ولاية السرى فسار السرى بجيش أعـده لـه الجروى الى الفسطاط لتحقيق هـذا الاتفـاق وتمكن من هزيمة المطلب وجنده ، مما اضطره الى طلب الأمان والخروج من مصر ، وبذلك استطاع السرى أن يتولى حكم مصر فى عام ٢٠٠ هـ (٨١٥ م)[٩٢] .

ازدادت الحالة سوءا فى لاسكندرية فى الفترة الأخيرة من حـكم المطلب فعزل أخاه الفضل عن ولايتها وولى عليها اسحق بن أبرهة ، ثم عزله وولى عليها أبا ذكر المعافرى[٩٣] ، فعمت الفوضى من جراء ذلك ، وضج الناس من كثرة الضرائب التى فرضت عليهم من قبيلتى لخم وجزام[٩٤] .

انتهز عمر بن هـلال تلك الفوضى ، واستطاع أن يتقلد حـكم الاسكندرية بمعاونة الأندلسيين الذين ما كادوا يدخلون المدينة حتى عاثوا فيها فسـادا ، فأمرهم عمر بن هلال بالعودة الى مراكبهم ، فأبوا ذلك وثاروا عليه ، واعتصموا بالمدينة ، وشرعوا يعملون على الاستيلاء عليها[٩٥] .

رجحت كفـة الأندلسيين باتحادهم مـع قبيلة لخم العربية وجماعـة الصوفية[٩٦] ضد عمر بن هلال ، وما لبثوا أن سيطروا على المدينة بعـد مقتله ثم

---

(٩١) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV P. 68.

(٩٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٩ : ١٦١ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٨ .

(٩٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٨ .

(٩٤) Wiet, Histoire de la Natione Egyptienne, Vol. IV P. 68.

(٩٥) صديق شيبوب : « جمهورية أندلسية بالاسكندرية » ، مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ ، ص ٢٣٣ .

(٩٦) الصوفية جمـاعة ظهرت فى الاسكندرية يأمرون بالمعروف ويعارضـون السلطان فى حكمه ، وكان يتزعمهم رجل اسمه أبو عبد الرحمن الصوفى ، قيل أنه خوصم الى عمر بن هلال فى امرأة فحكم عليه عمر فأحفظه ذلك عليه فسعى الى الربضيين واتحـد معهم ومع اللخميين ضد عمر بن هلال وقتلوه هـو واهله .
الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦١ .
صديق شيبوب : « جمهورية أندلسية بالاسكندرية » ، مجـلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ ، ص ٢٣٣ .

فسد ما بين قبيلة لخم والأندلسيين ، وتقاتلوا ، فهزم الأندلسيون قبيلة لخم وأخرجوها من الاسكندرية ، واستقلوا بحكم المدينة ، وولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفى الذى عم الفساد فى عهده ، وكثر القتل والنهب ، ولكنهم سرعان ما عزلوه وولـــوا عليهـــا رجـــلا منهم يسمى الكنانى ، ثم حاربوا بنى مدلج أخرجوهم من الاســـكندرية(٩٧) .

ثار أهل الاسكندرية أكثر من مرة على الفساد الذى استشرى فى مدينتهم ، فناهضهم الأندلسيون ، وحرقوا أحياء المدينة(٩٨) ، واضطر بطريق الأقبـــاط مرقس الثانى الى الهرب منها ، ولجـــأ الى شرق الدلتا حيث يكثر الأقبـــاط ، واتصـــل بعبد العزيز الجروى وشـــكا لـــه ما هم فيـــه ، فسار الجروى الى الاسكندرية فى سنة ٢٠١ هـ (٨١٦ م) على رأس جيش مكون من خمسين ألـــف مقاتل(٩٩) ، وحاصرها حصارا شديدا وكاد يتم له الاستيلاء عليها ، الا أن السرى أرسل جيشا الى تنيس للاستيلاء عليها فى غيبة الجروى الذى ما كاد يعلم بذلك حتى رفع الحصار عن الاسكندرية ، وعاد مسرعا الى تنيس للدفاع عن قاعـــدة حكمـــه(١٠٠) .

بدأ منذ ذلك الحين صراع مرير بين كل من السرى والجروى ، وارتبط ذلك الصراع بموقف الأندلسيين بالاسكندرية الذين استغلوا ذلك الصراع لصالحهم ، مما سهل عليهم السيطرة على المدينة ، وعانت الموانى الشمالية من ذلك الصراع معاناة شديدة ، فقـــد أعاد الجروى حصار الاسكندرية مرات متعـــددة ، ويذكر الكندى(١٠١) أنه حاصرها أربع مرات ، وفى المرة الأخيرة أقام المنجنيقات أمام أسوارها سبعة أشهر من مستهل شعبان ٢٠٤ هـ الى صفر ٢٠٥ هـ وفى آخر صفر

---

(٩٧) الكندى ، الولاة والقضاة ص ١٦٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٨ .
(٩٨) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne. Vol. IV. P. 69.
(٩٩) صديق شيبوب : جمهورية اندلسية بالاسكندرية ، مجلة الكتاب فبراير سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٣٤ .
(١٠٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦٤ : ١٦٥ .
(١٠١) المصـــدر نفسه ، ص ١٧٢ .

٢٠٥ هـ (١٤ أغسطس ٨٢٠ م) أصابته فلقه من حجر تلك المنجنيقات أثناء رميها الأسوار فمات ، كما توفى السرى بن الحكم بالفسطاط بعــده بثلاثة أشـــهر فى جمادى الأولى ٢٠٥ هـ(١٠٢) .

لم تستقر الأمور فى البلاد المصرية بوفاة كل من السرى والجروى فخلف السرى فى الولاية ابنه أبو نصر محمد ، وخلف الجروى فى حكم تنيس ابنه على ابن عبد العزيز ، وظلت الحرب سجالا بينهما(١٠٣) ، مما اضطر الخلافة العباسية الى الاعتراف بالأمر الواقع فأرسل المـــأمون الى مصر بولاية السرى على ما فى يده وهـــو فسطاط مصر وصعيدها ، وبولاية ابن الجروى على تنيس والحوف الشرقى وضمنه خراج تلك المنطقة(١٠٤) ، فى حين ظل الأندلسيون مسيطرين على الاسكندرية(١٠٥) . ولكن الصراع تفاقم بين أبى نصر السرى وعلى بن عبد العزيز الجروى وامتد فشمل دمياط والفرما الى جانب تنيس ، وأصبحت تلك الموانى الثلاث مسرحا للعمليات الحربية بين الخصمين ، فتتابع دخول جيش كل منهمـــا ، وخروجهما مرات متتالية ، فى كل من الموانى الثلاث ممـــا أدى الى انتشار الخراب والدمار ، وعمت الفوضى تلك الموانى(١٠٦) ولمـــا استفحل أمر تلك الحروب عمدت الخـــلافة الى ارسال جيش بقيادة عبد الله بن طاهر لاستعادة سيطرتها على مصر والقضاء على أسباب الفوضى بها(١٠٧) .

سار عبد الله بن طاهر فى قواته بطريق البر ، فى حين أقبلت بعــده سفن الشام ، وكانت الأوضاع فى مصر تتطلب وجود أسطول لاقرار السلام فى الاقاليم

---

(١٠٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٧٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٩ .
(١٠٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٧٢ : ١٧٣ .
(١٠٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٩ .
(١٠٥) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٧٤ .
(١٠٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٩ .
(١٠٧) ابراهيم أحمد العدوى : « أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين » ، المجلة التاريخية المجلد الثالث ، العــدد الثانى ، أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، ص ٥٤ .

البحرية(١٠٨) ، وكان ابن الجروى سباقا الى استقبال ابن طاهر ومظاهرته ، فعينه ابن طاهر على الأسطول لمعرفته بالحروب البحرية ويقول المقريزى(١٠٩) : « قدم عبد الله ابن طاهر ، فتلقاه ابن الجروى بالأموال والانزال ، وانضم اليه ونزل معه بلبيس » أما ابن السرى والى الفسطاط فحاول الاحتفاظ بولايته وعارض عبد الله بن طاهر بعض الوقت لكنه ترك مصر فى آخر الأمر وسار الى بغــداد فى جمادى الأولى سنة ٢١١ هـ(١١٠) وكان من الطبيعى أن يوجه عبد الله مجهوداته بعــد ذلك نحو الاسكندرية ، فسار اليها فى صفر سنة ٢١٢ هـ (مايو ٨٢٧ م) وضرب الحصار عليها ، وكان الأندلسيون قــد ولوا عليها واحــدا منهم يدعى أبا حفص ولم يدم الحصار طويلا اذ اضطر الأندلسيون الى طلب الآمان(١١١) وتم الصلح بينهم وبين عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) على أن يخرجوا من الاسكندرية وألا ينزلوا بلدا خاضعا للخلافة ، واشترط عليهم الا يصحبوا معهم أحــدا من المصريين ، ولا من العبيد الهاربين وبالرغم من أنهم أخلوا بهذا الشرط فان عبــد الله لم يعــاقبهم وتركهم يبحرون فاتجهــوا الى جــزيرة أقريطش (كريت)(١١٢) .

لم تنته الثورات التى قامت فى الثغور الشمالية ضــد الخلافة برحيــل الأندلسيين عن الاسكندرية ، فظلت تشتعل من حين لآخر ثورات اشترك فيهــا العرب والقبط على السواء(١١٣) ، بسبب سوء معاملة العمال وقسوتهم فى جمع الخراج(١١٤) ، مما اضطر المــأمون الى ارسال قائده الأفشين الى مصر فى جمادى

---

(١٠٨) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٧٥ .
(١٠٩) الخطط جـ ١ ص ١٧٩ .
(١١٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٨١ : ١٨٢ .
(١١١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٤٧ .
Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV, PP. 71-72..
(١١٢) الطبرى تاريخه جـ ٨ ص ٦١٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٤٧ .
(١١٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٠ .
(١١٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٠ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاســلام ، ص ٢٣٧ .

الأولى ٢١٦ هـ (٨٣١ م) للقضاء على تلك الثورات فعهد الأفشين الى عبد الله الشيباني بالمسير الى الاسكندرية لاخضاعها ، فحصره بنى مدلج فى حصنها(١١٥) ، فسار الأفشين بنفسه الى الاسكندرية ، وأوقع الهزيمة بكل من اعترض طريقه اليها ، ثم دخلها دون قتال فى ١٩ من ذى الحجة ٢١٦ هـ (٢٨ يناير ٨٣٢ م) وسار الأفشين بعد ذلك لاخضاع ثورة أهل البشرود ، فامتنعوا عليه مما حمل المأمون على القدوم الى مصر بنفسه وأقام بها خمسين يوما ، حيث وجه اهتمامه الى قمع ثورة أهل البشرود ، وعزل والى مصر عيسى بن منصور بسبب قسوته فى جمع الضرائب .

حدث تطور جديد فى مصر فى خلافة المعتصم العباسى (٢١٨ : ٢٢٧ هـ) كان له أثره فى نظامها السياسى وأحوالها الداخلية ، فقد حرم المعتصم العرب من أعطياتهم كجند وأسقطهم من الديوان ، وتم ذلك على يد والى مصر كيدر ابن نصر بن عبد الله فى سنة ٢١٩ هـ (٨٣٤ م)(١١٦) ، فثار لذلك يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجزام بتنيس وقال : « هذا أمر لا نقوم فى أفضل منه لأنه منعنا حقنا وفيئنا » ، واجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ، وفى تلك الأثناء توفى كيدر فى ربيع الآخر سنة ٢١٩ هـ فتولى مصر ابنه مظفر بن كيدر الذى خرج الى يحيى بن الوزير وقاتله فى بحيرة تنيس ، وأسره فتفرق عنه أصحابه(١١٧) .

ولما خلع المستعين من الخلافة فى عام ٢٥٢ هـ وبويع المعتز اضطربت الأمور بمصر فثار فى الاسكندرية جابر بن الوليد المدلجى(١١٨) ، الذى تزعم بنى مدلج من قبيلة لخم التى سكنت الاسكندرية وأعلنوا الثورة على العباسيين الذين

---

(١١٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٠ : ١٩٢ .
(١١٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣١١ .
(١١٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٤ .
(١١٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣١١ .

أصطنعوا العناصر التركية منذ عهد المعتصم[119] ، واستطاع جابر بن الوليد أن يبسط سلطانه على كثير من بلاد الوجــه البحرى وجبى منها الخراج ، وانضمت اليه أعــداد كبيرة من الناس أطلق الكندى[120] عليهم « أهل الشدة والنجدة » واستطاع هزيمة جيوش الوالى التى أرسلها لمحاربته ، فأرسلت الخلافة جيشا من العراق بقيادة مزاحم بن خاقان ، أوقع الهزيمة بجابر بن الوليد وقضى على ثورته[121] •

وفى عام ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) نجح أحمد بن طولون الذى قــدم الى مصر نائبا عن واليها باكباك فى تأسيس دولة مستقلة بمصر عرفت بالدولة الطولونية ، ووجــه اهتمامه الى العمل على استتباب الأمن فى الثغور[122] • ونجح بن طــولون فى القضاء على بقايا ثورة جابر بن الوليد المدلجى ، فقــد خرج ابن عم له انضم الى عبد الله بن طباطبا الذى ادعى لنفسه نسبا علويا ، وخرج على سلطان ابن طــولون فى موضع قرب الاسكندرية يقال له الكنائس فيما بين برقــه والاسكندرية فى عام ٢٥٥ هـ فأرسل اليه ابن طولون جيشا هزمه وقضى عليه[123]•

لم يخل قطر اسلامى فى ذلك العهد من صعوبات داخلية ، تتخذ مظهرا دينيا علويا ، أحيانا وغير علوى أحيانا أخرى[124] ، وفى عهد ابن طولون ازدادت هجرة العلويين الى مصر ، وآوى ابن طولون جماعات منهم الا أنه لم يكن يتهاون فى قتال الثائرين من أمثال ابن طباطبا[125] •

---

(١١٩) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٠٥ .
(١٢٠) الولاة والقضاة ، ص ٢٠٥ .
(١٢١) المصــدر نفسه ، ص ٢٠٩ : ٢١٠ .
(١٢٢) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٨١ .
(١٢٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٢ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٦ .
(١٢٤) حسن محمود : حضارة مصر فى العهد الطولوني ، ص ٣٨ .
(١٢٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وداى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٢٠ .

وقــد تمكن ابن طولون من التغلب على ثورة علوية أخرى بثغر أسوان حيث خرج عليه ابن الصوف العلوى بصعيد مصر ويدعى ابراهيم ابن محمد بن يحيى ابن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام فى سنة ٢٥٣ هـ ، وأوقــع الهزيمة بالجيش الذى أرسله ابن طولون اليــه فى سنة ٢٥٦(١٢٦) ، فجرد بن طولون اليه جيشا ثانيا بقيادة بهم بن الحسين وضم اليه ابن عجيف ، واستطاع هــذا الجيش هزيمة ابن الصوف الذى لجأ الى الواحات ومنها عاد مرة أخرى الى أسوان(١٢٧) ، وهناك اشتبك فى قتال مع أحــد الخارجين على سلطان بن طولون بأسوان ويسمى أبو عبد الله العمرى وينتسب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهزم العمرى ابن الصوف ، وقضى على الكثير من قواته ، مما اضطره الى دخول أسوان حيث عاث فيها فسادا ، ويروى أنه قطع لأهلها ثلاثمائة ألف نخلة مما حمل ابن طولون على ارسال جيش آخر الى أسوان ، فهرب ابن الصوف الى عيذاب ومنها ركب البحر الى مكة(١٢٨) .

أما أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى فظهر فى أســوان عام ٢٥٥ هـ وتزعم القبائل العربية الضاربة هناك من ربيعة وجهينة ، وخرج بهم يدفــع عادية النوبة والبجة(١٢٩) ، وانتصر عليهم وتوغل فى بلادهم وجبى الجزية من البجة ، غير أن ابن طولون أدرك خطورة قــوة العمرى المتزايدة فأرسل لــه جيشا ، ولكن هــذا الجيش ما لبث أن هزم على يد العمرى ولم تلبث القبــائل العربية التى صحبت العمرى أن انقسمت وخرج بعضها عليه(١٣٠) ، وقتله بعض غلمانه ، وبذلك انتهت حركته(١٣١) .

---

(١٢٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٦ .
(١٢٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ : ٢١٤ ، البلوى سيرة احمد بن طــولون ، ص ٦٢ .
(١٢٨) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٩٣ .
(١٢٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٦ .
(١٣٠) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٢٠ .
(١٣١) ابن الداية : المكافأة ، ص ١١٧ ، البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٧ .

وليس أدل على اهتمام ابن طولون بالثغور من أنه عندما علم وهــو بالشام بخروج ابنه العباس عليه فى الاسكندرية ، عاد مسرعا وسار الى الاسكندرية فى جيش كبير ، قيل أنه بلغ مائة ألف مقاتل وقــد حالف النصر ابن طولون فتمكن من احباط تلك المؤامرة والقبض على ابنه ومن ساعدوه(١٣٢) .

(ب) العــدوان الخارجى على ثغور الساحل الشمالى :

قامت الدولة البيزنطية بعــد استيلاء العرب على مصر بعــدة محــاولات لاستعادة سلطانها على تلك البلاد عن طريق غزو الموانى الشمالية وقــد عانت هــذه الموانى معاناة كبيرة فى أول الأمر من هــذه الغزوات لان العرب حتى ذلك الحين لم يكونوا قــد ركبوا البحر فى حين كانت الدولة البيزنطية ذات تاريخ عريق فى ركوب البحر وحروبه(١٣٣) وكانت أولى تلك المحاولات فى أوائل السنة الخامسة والعشرين للهجرة ، حيث تغيرت الظروف فى كل من مصر والدولة البيزنطية ، فقد ولى الخلافة الاسلامية عثمان بن عفان فى سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر ، وولاها لعبد الله بن سعد بن أبى سرح(١٣٤) ، على حين تولى الحكم فى الدولة البيزنطية الامبراطور قنسطانز (٦٤١ م) ، الذى عزم على استعادة الاسكندرية ، واتخــاذها قاعــدة لاسترداد مصر(١٣٥) ، ويصــف بن الأثير(١٣٦) مشاعر الروم تجاه الأسكندرية واهتمامهم بها فيقول : « أن الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية ، وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم » .

---

(١٣٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٢٠ : ٢٢٤ .

(١٣٣) ابن خلدون المقــدمة ، ص ٢٣٩ ، قــدامه بن جعفر : نبذة من كتــاب الخراج ، ص ٢٥٢ .

(١٣٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠ .

(١٣٥) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٤ .

(١٣٦) أسد رستم : الروم جـ ١ ص ٢٥٣ .

(١٣٧) الكامل جـ ١ ص ٣٣ .

كان اشتداد عبد الله بن سعد فى جمع الضرائب[١٣٨] ، مما دفع أهـــل الاسكندرية الى مكاتبة قنسطانز والاستنجاد به[١٣٩] ، ومما شجع قنسطانز على اجابة طلب أهل الاسكندرية فى استعادتها ما وصل الى علمه من أن حامية المدينة التى تركها العرب بها قليلة فلم تكن تتعـــدى الألف رجل[١٤٠] ، ولعل السبب فى ذلك انه كان من شروط صلح الاسكندرية شرط ينص على عـــدم عودة القـــوات الرومانية للمدينة[١٤١] ، والظاهر أن المسلمين قـــد أطمأنوا لذلك الشرط ، فوزعوا معظم القوات على أرجاء البلاد ، ولم يتركوا بالاسكندرية الا عـــددا قليلا من الجنـــد[١٤٢] .

أرسل قنسطانز قـــوة كبيرة من الجند تحملها ثلاثمائة سفينة بقيادة منويل أعظم قـــواده الى الاسكندرية فى سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ م)[١٤٣] ، كما أرسل فى الوقت ذاته حملة الى الشام لشغل المسلمين هناك ، ولكن معاوية بن أبى سفيان والى الشام تصدى لهـــا وهزمها[١٤٤] .

استطاع الجيش البيزنطى النزول الى الاسكندرية ، والقضاء على حاميتها

---

(١٣٨) نقل البلاذرى فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٥٣ عن يزيد بن أبى حبيب قال : جبى عمرو خراج مصر وجزيها ألفى ألفى ، وجباها عبد الله بن سعد أربعة آلاف ، فقال عثمان لعمرو ان اللقـــاخ بمصر قـــد درت ألبانهـــا ، قال : وذلك لانكم اعجفتم أولادهـــا .

(١٣٩) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ .

(١٤٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٦١ .

(١٤١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤ .

(١٤٢) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٤٥ .

(١٤٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٦ .

(١٤٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضـــــارتها فى العصر الاســـلامى ، ص ٤٢ : ٤٣ .

الاسلامية ، والاستيلاء عليها(١٤٥) ، وانضم اليهم من كان بالمدينة من الروم(١٤٦) ، فى حين امتنع القبط عن مساعدتهم ، ووقفوا الى جانب العرب(١٤٧) .

أعاد الخليفة عثمان بن عفان عمرو بن العاص واليا على مصر للدفاع عنها ومحاربة الروم(١٤٨) ، فى الوقت الذى بدأ فيه منويل يتوغل بقواته فى الدلتا مع من انضم اليه من أهل القرى المجاورة للاسكندرية(١٤٩) للاستيلاء على مدن وقرى مصر السفلى ، وكان كلما استولى على قرية أو مدينة أساء معاملة أهلها(١٥٠) ، ولما وصلت جيوش منويل الى نقيوس(١٥١) ، قابلتهم جيوش العرب فى معركة حامية كاد ينهزم فيها العرب فى أول الأمر(١٥٢) ، ولكنهم استطاعوا الصمود واعادة الكرة حتى استطاعوا هزيمة الروم الذين فروا أمامهم الى الاسكندرية وتحصنوا بها(١٥٣) ، وتبعهم العرب وحاصروا الاسكندرية للمرة الثانية ، وأبدى عمرو بن العاص أسفه لانه لم يهدم أسوارها عندما دخلها أول مرة وأقسم لئن أظفره الله بها ليهدمن أسوارها(١٥٤) .

طال حصار العرب للاسكندرية ، ولم يستطيعوا دخولها الا عن طريق أحد حراس الأبواب ، ويدعى « ابن بسامه » فقد مكن عمرو بن العاص من دخول

---

(١٤٥) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ .
(١٤٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ٣٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٧ .
(١٤٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٩ .
(١٤٨) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١١ .
(١٤٩) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٥٦ ، أسد رستم : الروم جـ ١ ص ٢٥٣ .
(١٥٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ٣٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٢٧ .
(١٥١) نقيوس على ضفة النيل غير بعيدة عن منوف . سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ، ص ٢٤٨ .
(١٥٢) Wiet : Hsitoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV, P. 28.
(١٥٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ .
(١٥٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٨ .

الاسكندرية ، بعــد أن أمنه على نفسه وبيته وأهله(١٥٥) ، وأعمل العرب القتل فى الروم ، فقتلوا عــددا كبيرا منهم ، وقتل منويل القائد ضمن من قتل ، ولم يستطع الفرار منهم الا عــدد قليل(١٥٦) .

عمدت الدولة الاسلامية بعــد تلك الموقعة الى تغيير سياستها البحرية ورأت ضرورة انشاء قــوة بحرية اسلامية تصــد بها عدوان الدولة البيزنطية عــن سواحلها(١٥٧) ، وحققت القوة البحرية الاسلامية الناشئة انتصارا عظيما على الروم فى معركة ذات الصوارى فى عام ٣٤ هـ (٦٥٥ م) مما كان له أثره فى ازدياد هيبتها ونمو قوتها(١٥٨) .

اتجهت الغارات البيزنطية على السواحل المصرية بعــد ذلك الى الموانى الواقعة على الركن الشمالى الشرقى ، فتوالت الغارات على دمياط ، وتنيس ، والفرما ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع الى أن تلك الموانى الثلاث هى أقرب الموانى المصرية فى الموقع الى الدولة البيزنطية ، ففى سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) نزل الروم دمياط ، فأسروا خالد بن كيسان وكان أمير البحر بدمياط ، وسيروه الى ملك الروم الذى أفرج عنه وأرسله بدوره الى الخليفة الأموى الوليــــد بن عبد الملك لوجود هــدنة بينه وبين الروم(١٥٩) ، كما نزل الروم فى ولاية بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبــــل يزيد بن عبد الملك على تنيس سنة ١٠١ هـ

---

(١٥٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦١ .
يختلف البلاذرى عن ابن عبد الحكمفيذكر أن العرب دخلوا الاسكندرية عنوة بعــد ضرب أسوارها ، ولكن بتلر يرجح ما ورد عند ابن عبد الحكم لمــا هو معروف عن قــوة أسوار الاسكندرية . البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ — بتلر : فتوح العرب لمصر ، ص ٣٤٨ .

(١٥٦) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV, P. 28.

(١٥٧) ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوســـط ، ص ٥ : ٧ .

(١٥٨) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. I P. 29.

(١٥٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ ، على مبارك : الخطط الجــديدة جـ ١١ ص ٣٦ .

(٧١٩ م) وقتل فى تلك الواقعة مزاحم بن مسلمة المرادى أميرها(١٦٠) ، كما تعرضت دمياط سنة ١٢١ هـ (٧٢٩ م) لهجوم البيزنطيين الذين قدموا اليها فى ثلاثمائة وستين مركبا فقتلوا وسبوا كثير من أهلها(١٦١) .

كانت فترة الخلاف بين الأمين والمأمون (١٩٥ — ١٩٨ هـ) على ولاية العهد فترة اضطراب فى مصر(١٦٢) ، فاجتاحت ثغورها الفتن والاضطرابات واتخذ البيزنطيون من تلك الفوضى التى سادت مصر فرصة لمعاودة اغارتهم على دمياط(١٦٣) ، ولم يمض على ذلك غير قليل حتى تمكن القائد العباسى عبد الله بن طاهر من اعادة سيطرة الخلافة على مصر ، واخراج الأندلسيين من الاسكندرية ، فرحلوا الى جزيرة أقريطش ، وأقاموا بها أمارة أندلسية(١٦٤) ، ونشط أسطولهم ضد البيزنطيين مما ترتب عليه محاولات متكررة من جانب البيزنطيين للحد من نشاطه(١٦٥) ، ولما كانت موانى مصر الشمالية يقع عليها عبء اعداد وتزويد ذلك الأسطول(١٦٦) ، لذلك قام الروم بغارة مفاجئة على مدينة دمياط فى عام ٢٣٨ هـ (٨٥٣ م) فى عهد الخليفة العباسى المتوكل ، وولاية عنبسة بن اسحق على مصر(١٦٧) ، وبلغ عدد مراكب الروم التى هاجمت دمياط ثلاثمائة مركب ، على كل مائة منها أمير ، وكانت المراكب من نوع الشلنديات تحمل كل منها ما بين الخمسين الى المائة رجل(١٦٨) . وقد فزع أهل دمياط من قسوة تلك الغارة المفاجئة ، فحاول الكثيرون منهم الفرار فغرق منهم اعداد كبيرة أثناء تلك

---

(١٦٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٧٠ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .

(١٦١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ ، على مبارك : الخطط الجديدة جـ ١١ ص ٣٦ .

(١٦٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٥٩ .

(١٦٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤ ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٨٩ .

(١٦٤) الطبرى : تاريخه جـ ٨ ص ٦١٣ ، ابن الابار : الحلة السيراء جـ ١ ص ٤٤ .

(١٦٥) ابراهيم أحمد العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، ص ١٠٥ .

(١٦٦) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٨٩ .

(١٦٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠١ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٩ .

(١٦٨) الطبرى تاريخه جـ ٩ ص ١٩٣ : ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٤ .

المحاولة فى بحيرة تنيس ويذكر الطبرى(١٦٩) ان عـــدد من غرق من النســـاء والأطفال أكثر مما سباه الروم ، فى حين أعمل الروم فى أهـل دمياط القتـل والأسر ، وسبوا الكثير من النساء(١٧٠) ، واشعلوا النيران فى المدينة فحرقـوا منازلها ، وجامعها ، وكنائسها ، كما أحرقوا خزانة القلوع (الاشرعة) ، وحملوا الامتعة والمنسوجات التى كانت معــدة لارسالها الى العراق ، كما استولوا على المؤن والذخيرة التى كانت معــدة للشحن الى جزيرة أقريطش(١٧١) ٠

قضى الروم فى نهبهم وسلبهم لدمياط يومين ، ثم اتجهوا بعــد ذلك محملين بالغنائم والاسرى الى تنيس ، ولكنهم لم يستطيعوا دخول مينائها فعــدلوا عنها الى اشتوم تنيس(١٧٢) ، ويذكر الطبرى(١٧٣) ذلك فيقول : « ثم ساروا الى تنيس فلم يحمل المــاء سفنهم اليها فخشوا أن توحل ، فلما لم يحملهم المــاء صاروا الى اشتومها ، وهى مرسى بينه وبين تنيس أربعة فراسخ وأقل ولـــه سور وباب حـديد كان المعتصم أمر بعمله » ، وفعل الروم فى اشتوم تنيس ما فعلوه من قبل فى دمياط فاشعلوا فيه النيران وخربوا واستولوا على ما كان فيه من سلاح(١٧٤) ٠

وفى ربيع الأول من سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) نزل الروم على الفرما ، فعلم بذلك والى مصر يزيد بن عبد الله الذى كان فى طريق عودته من دمياط الى الفسطاط فعاد بجيشه الى الفرما ولكنه لم يلق الروم(١٧٥) ٠

ولمــا قامت الدولة الطولونية فى مصر ، لقيت الموانى والثغور كثيرا من عناية ابن طولون وخلفائه من بعــده(١٧٦) ، كما اهتم ابن طولون باعــداد قوة بحرية ،

---

(١٦٩) تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ ٠
(١٧٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ ٠
(١٧١) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ ٠
(١٧٢) فازيليف : الروم والعرب ، ص ١٩١ ٠
(١٧٣) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ ٠
(١٧٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٤ ٠
(١٧٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠٣ ٠
(١٧٦) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٨١ ٠

وبناء أسطول للدفاع عن دولته(١٧٧) ، ولهــذا لم تتعرض مصر لاعتداء الروم على موانيها فى العهد الطولونى .

اقتدى الاخشيديون بالطولونيين فى الاهتمام بالأسطول(١٧٨) ، ولم يجرؤ الروم على مهاجمة الثغور المصرية فى عهدهم الا عندما أحسوا باضطراب الأحوال فى مصر فى أواخر العهد الاخشيدى(١٧٩) ، ففى عام ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م) نزل الروم على الفرما ، فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ، ثم نزلوا عليها مرة أخرى فى عام ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) فخرج المسلمون اليهم وأخــذوا منهم مركبا ، وقتلوا من فيه وأسروا منهم عشرة(١٨٠) ، وفى عام ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) هاجم الروم دمياط فى بضع وعشرين مركبا ، فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من أهلها(١٨١) .

(جـ) عــدوان النوبة والبجة ثغر أسوان :

كان ثغر أسوان بحكم موقعة الجغرافى فى نهــاية الحــدود الجنــوبية لمصر(١٨٢) يمثل خط الدفاع الأمامى ضــد أى عــدوان يأتى من النوبة والبجة على مصــــر .

ولمــا فتح عمرو بن العاص مصر لم يغفل عن أهمية تأمين ثغر أسوان وحدود مصر الجنوبية ، فمــا كاد يستولى على الصعيد ويخرج منه الروم سنة ٢٠ هـ(١٨٣) حتى أرسل سرية بقيادة نافع بن عبد القيسى الفهرى الى النوبة ، ولكنها هزمت

(١٧٧) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٨٧ ، حسن محمود : حضــارة مصر فى العصر الطولونى ، ص ٤٦ .
(١٧٨) صــابر دياب : سياسة الـدولة الاســلامية فى حــوض البحــــر المتوســط ، ص ٥٧ .
(١٧٩) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٩٦ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٤ .
(١٨٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١١ .
(١٨١) المصــدر نفسه ، ص ٢١٤ .
(١٨٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٧ .
(١٨٣) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٣ .

على أيدى النوبيين(١٨٤) ، فأعقب ذلك بارسال سرية أخرى بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح لغزو النوبة سنة ٢٠/٢١ هـ ، الا أنها عادت دون تحقيق أى نصر على النوبيين(١٨٥) ، ويبدو أن المسلمين قد عادوا من غزواتهم فى النوبة مصابين بجراح شديدة(١٨٦) ، فكان لهذه الانتصارات المتوالية التى حققها النوبيون على المسلمين أثرها فى استمرار شن غاراتهم التى توالت على أسوان بعد ذلك(١٨٧) ، مما الحق بها أضرار جسيمة ، فعمد عبد الله بن سعد بن أبى سرح الى وضع حد لتلك الغارات بعد توليه حكم مصر(١٨٨) ، فسار بنفسه على رأس جيش كبير الى أسوان ، ومنها تقدم جنوبا متغلبا على النوبيين ، حتى وصل الى عاصمتهم دنقلة ، وحاصرها حصارا شديدا مما أجبر ملكها على دللب الصلح ، ووقف القتال ، فاستجاب له عبد الله ، وعقد منه معاهدة فى رمضان سنة ٣١ هـ (أبريل ٦٥٢ م)(١٨٩) عرفت باسم البقط(١٩٠) ، وكانت تلك المعاهدة أشبه ما تكون بمعاهدة أمن وسلام ، تضمن للمسلمين الاطمئنان على حدود

---

(١٨٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ص ٢٨٠ .
Trimingham : Islam in the Sudan, P. 60.

(١٨٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٠ .

(١٨٦) الطبرى : تاريخه جـ ٤ ص ١١١ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٣٩ .

(١٨٧) Trimingham : Islam in the Sudan, P. 60.

(١٨٨) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV, PP. 30-31.

(١٨٩) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٠ .

(١٩٠) يرى البعض أن كلمة بقط عربية من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب ، وقد ظهرت تلك الكلمة فى المصادر العربية اصطلاحا على الجزية التى تدفعها النوبة المسيحية الى عامل مصر من قبل الخلافة بمقتضى الصلح الذى عقد فى رمضان ٣١ هـ (أبريل ٦٥٢ م) ، وكانت عبارة عن ٣٦٠ عبدا وقيل اربعمائة ولكنها لا تعد جزية ، لان المسلمين كانوا يدفعون للنوبة فى مقابلها ألف أردب من القمح ومنها من الشعير والبقول وكانت قرية القصر التى تبعد عن أسوان خمسة أميال الى الجنوب هى المكان الذى يتم فيه التبادل وظل البقط يدفع بانتظام حتى زمن الفاطميين ، ثم انقطع دفعه .

انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٢٨ .
الطبرى : تاريخه جـ ٤ ص ١١١ .
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ : ٢٠٠ دائرة المعارف الاسلامية مادة (بقط) .

مصر الجنوبية ، وثغر أسوان ، وأقر الخليفة عثمان بن عفان تلك المعاهدة[١٩١] التى ظلت سارية المفعول حتى عهد الدولة الفاطمية ، على أنها لم تمنع النوبيين من معاودة الاغارة على أسوان والاشتباك مع المسلمين[١٩٢] ، الا أن هذا العدوان لم يستأنف الا بعد فترة طويلة من عقد تلك الاتفاقية ، فطالما كانت الحكومة المركزية فى مصر قوية استطاعت دفع الغزاة الذين طرقوا أبوابها من ناحية الجنوب ، أما فى حالة ضعفها فان العدو كان يهاجم أسوان ومنها الى داخل البلاد ، ولذلك لم تشر المصادر الى وقوع عدوان فى عهد الدولة الأموية ولعل هذا يرجع الى اهتمامهم بهذا الثغر ، هذا فضلا عن أن كثيرا من القبائل العربية التى هاجرت الى مصر اتخذت من أسوان مقرا لاقامتها[١٩٣] ، وقد أفادت تلك القبائل العربية فى تعزيزة قوة الدفاع الموجودة فى أسوان ، فلم يعاود النوبيون اغارتهم عليها الا فى العهد الطولونى ويبدو أن غارات النوبة كانت شديدة ، فيتحدث المقريزى[١٩٤] عن خروج أبى عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحميد العمرى بجموع من عرب ربيعة وجهينه لغزو النوبة واحرازه النصر عليهم .

كان ملوك النوبة قبل قيامهم بالهجوم على مصر يتابعون الأحوال بها ، فاذا ما وجدوا الظروف فى صالحهم أقدموا على مهاجمتها وامتنعوا عن دفع البقط فلما بلغهم ما ساد مصر من اضطراب بسبب النزاع بين أنوجور بن الاخشيد وكافور على الحكم فى عهد الدولة الاخشيدية[١٩٥] ، أغار ملك النوبة على أسوان فى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٦ م) فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن من قبل أنوجور بن الاخشيد على رأس حملة ، والتقى مع النوبيين فى معركة عنيفة على أرض أسوان وتمكن من هزيمة قواتهم ، وأرسل الخازن بعض أسرى النوبيين الى مصر حيث

---

(١٩١) الطبرى : تاريخه جـ ٤ ص ١١١ .
(١٩٢) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV, P. 31.
(١٩٣) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٠٥ : ١٠٦ .
(١٩٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٦ .
(١٩٥) الكندى :الولاة والقضاة ، ص ٢٩٦ .

ضربت أعناقهم ، ولم يكتف بذلك بل طارد فلولهم الى بلاد النوبة حتى وصل الى أبريم وسبى أهلها(١٩٦) •

وبعـــد وفاة أبى القاسم أنوجور ، خلفه أخوه أبو الحسن على بن الاخشيد ٣٤٩ هـ(١٩٧) ، وفى عهده اضطربت أحوال البلاد بسبب غارات الفاطميين المتكررة على الاسكندرية ، وهجوم القرامطة على الشام فضلا عن انخفاض ماء النيـــل ، وتزايد الغلاء(١٩٨) ، فانتهز النوبيون الفرصة ، وعاودوا الاغارة على أسوان فى ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) واستطاعوا اقتحامها ، وقتل وسبى الكثير من أهلها ، وحرق ونهب قراها ، حتى وصـــلت جيـــوشهم الى أخميم(١٩٩) ، الأمر الذى أدى الى انتشار الفوضى فى الصعيد(٢٠٠) •

لم يهتم ولاة مصر منذ الفتح بارسال حملات ضـــد بلاد البجة ، مثلمـــا فعلوا مع بلاد النوبة ، فيذكر ابن عبد الحكم(٢٠١) ان عبد الله بن سعد بن أبى سرح عند عودته من غزوته فى بلاد النوبة سنة ٣١ هـ رأى لأول مرة البجة قـــد تجمعوا له عند شاطىء النيل « فسأل عنهم فأخبر بمكانهم ، فهان عليه أمرهم فنفـــذ وتركهم » •

شن البجاة أول غاراتهم على أسوان فى عام ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) ، واستطاع المسلمون صـــد تلك الغارة التى انتهت بعقـــــد صلح بينهم وبين عبد الله بن الحبحاب ، وكتب لهم عهدا تقرر فيه أن يرسل البجة لولاة مصر ثلاثمائة من الابل الصغيرة مقابل نزولهم الريف تجارا غير مقيمين على ألا يقتلوا مسلما ، ولا ذميا

---

(١٩٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٨ •
(١٩٧) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٥٧ •
(١٩٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٢٩ •
(١٩٩) أخميم بلد بالصعيد على شاطىء النيل ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ١٥٣ •
(٢٠٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٣٠ •
(٢٠١) فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٢٩ •

فان قتلوه فلا عهد لهم ، والايؤووا عبيد المسلمين ، وان يردوا أباقهم ، ويقيم وكيلهم بالريف رهينة بيد المسلمين(٢٠٢) •

كانت هـذه الاتفاقية أيضا ضمانا لأمن حـدود مصر الجنوبية ، وثغر أسوان من عـدوان البجة ، الا أنه لم يكد يمض قرن من الزمان على عقـدها حتى عاود البجة شن غاراتهم المتتالية على ثغر أسوان(٢٠٣) ، الأمر الذى حمل والى أسوان على ابلاغ الخليفة العباسى المـأمون ، فأرسل اليهم حملة بقيـادة عبد الله بن الجهم ، فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم ، وكتب بينه وبين رئيسهم « كنون » عهدا فى ربيع الأول سنة ٢١٦ هـ أورده المقريزى(٢٠٤) ، يتعهد فيـه عبد الله بن الجهم بتأمين البجة فى بلادهم على أن يدفعوا للمسلمين كل عام مائة من الابل أو ثلاثمائة دينار ، وعليهم تأمين المسلمين اذا دخل أحـدهم بلاد البجة تاجرا أو مقيما أو مجتازا أو حاجا ، وألا يؤووا أباق المسلمين ، وعليهم ردها ، والا يهـدموا المسـاجد التى يبنيها المسلمون فى بلادهم ، وان يقيم كبيرهم « كنون » فى الريف بصعيد مصر كرهينة وعليه أن يضمن دخول عمال أمير المؤمنين الى بلاده لقبض صدقات من أسلم من البجة ، وشهد على هـذا العهد جماعة من أهل أسوان ، ويضيف الطبرى(٢٠٥) أنهم تعهدوا بترك العرب يعملون فى المناجم ، على أن يقاسمونهم ، شرط أن يؤدوا الى عامل مصر عن معادنهم فى كل عـام أربعمائة مثقـال تبر •

لم يحترم البجة تلك المعاهـدة طويلا كعادتهم ، فعادوا الى شن غاراتهم وامتنعوا عن دفع الجزية ، وقتلوا رجال المناجم ، وسبوا النساء حتى انهم وصلوا فى غاراتهم الى ادفوا واسنا ونهبوها(٢٠٦) • كتب عامل البريد فى مصر بهذا الأمر

---

(٢٠٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٩ : ١٣٠ .
(٢٠٣) مصطفى محمد مسعد : « البجة والعرب فى العصور الوسطى » ، مجلة آداب القاهرة مجلد ٢١ ، الجزء الثانى ، ديسمبر سنة ١٩٥٩ ، ص ٢٣ .
(٢٠٤) الخطط جـ ١ ص ١٩٥ : ١٩٦ .
(٢٠٥) تاريخـه جـ ٩ ص ٢٠٤ .
(٢٠٦) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٤ ، ارشسبالد لويس : القوى البحرية والتجـارية ، ص ٢٥٦ .

الى الخليفة العباسى المتوكل سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) ، وذكر له أن المسلمين الذين كانوا يعملون بأرض المعادن(٢٠٧) انصرفوا عنها خـوفا على أنفسهم وأولادهم من عـدوان البجة ، فانقطع بذلك ما كان يؤخـذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والجوهر ، فأرسل المتوكل القائد محمد بن عبد الله المعروف « بالقمى » لحربهم ، وولاة على قفط ، والأقصر ، واسنا ، وأرمنت ، وأسوان ، وكتب الى عنبسة بن اسحق عاملة على مصر باعطائه جميع ما يحتاجه من الجند(٢٠٨) .

خرج القمى الى أرض البجة ، ويذكر المقريزى(٢٠٩) أن عـدد جيشه لم يكن حينئذ كبيرا ، الا أنه اختار رجاله ، وفى طريقه انضمت اليه أعـداد كبيرة ممن كانوا يعملون فى المعادن الى جانب المتطوعين حتى أن جيشه بلغ عشرين ألف مقاتل ، فى الوقت الذى شحنت فيه المراكب بالمؤن التى تلزم الجيش من ميناء القلزم الى ساحل عيذاب(٢١٠) ، لان من يدخل بلاد البجة يلزمه أن يتزود لجميع المدة التى يظل فيها هناك(٢١١) .

سار « القمى » بقواته جنوبا متجاوزا أرض المعادن حتى وصل الى حصون البجة وقلاعهم ، وبدأت الحرب بينهم بمناوشات بسيطة ، وكانت خطة ملك البجة أن يراوغ جيش المسـلمين لاطالة مدة القتال ، حتى تنفـذ المؤن من المسـلمين فيستطيع القضاء عليهم لكن خاب ظنه ، فقد وصل الى المسلمين سفن محملة بالزاد فوجـد ألا مفر من لقائهم(٢١٢) .

---

(٢٠٧) تناثرت معادن التبر والزمرد على مراحل فى شرقى النيل من صعيد مصر ومن بلاد البجة وفى شرقى السودان ، وكانت كل منطقة معدنية بمثابة مركز للعرب والاجراء الذين يعملون فى المعادن .
عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مـع البيـان والاعراب للمقريزى ، ص ١٦٢ : ١٦٣ .
(٢٠٨) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٤ .
(٢٠٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٦ .
(٤١٠) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٨٢ .
(٤١١) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٤ .
(٢١٢) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٨٢ .

التقى الفريقان فى معركة ضاربة ، استعمل فيها القمى الحيلة حتى هزم البجة وقتل ملكهم فى تلك المعركة ، وخلفه ابن أخته الذى طلب الصلح ، فأجيب الى طلبه شرط أن يطأ بساط أمير المؤمنين اظهارا لطاعته(٢١٣) ، وأن لا يمنع المسلمين من العمل فى أرض المعدن ، وأن يدفع الخراج المتأخر عليه(٢١٤) .

وفى عام ٢٥٥ هـ عاود البجة غاراتهم على أسوان ، وجنوب مصر ، فنهبوا المساكن وأفزعوا المصلين أثناء صلاتهم العيد(٢١٥) فخرج اليهم أبو عبد الله العمرى فى جمع من عرب ربيعة وجهينة وغيرهم ، وزحف جنوبا الى بلاد النوبة ، ثم اتجه الى بلاد البجة ، وهزمهم (٢١٦) ، وأجبرهم على دفع الجزية له(٢١٧) ، واستقر فى أرض البجة كثير من العرب ، يقول المقريزى(٢١٨) : « فكثرت بهم العمارة فى البجة ، حتى صارت الرواحل التى تحمل المسيرة اليهم من أسوان ستين ألف راحلة ، غير الجلاب التى تحمل من القلزم الى عيذاب » .

---

(٢١٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٢١٤) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٥ : ٢٠٦ .

(٢١٥) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٤ .
عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٢٠ .

(٢١٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٥ .

(٢١٧) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٢٠ .

(٢١٨) الخطط جـ ١ ص ١٩٥ .

٣ — الثغور المصرية وتعرضها للأخطار الخارجية فى العصر الفاطمى

(أ) سياسة الفاطميين لحماية ثغر أسوان من عدوان النوبة والبجة :

استطاع الفاطميون تأمين وحماية الحـدود الجنوبية لمصر وثغر أسـوان بوضع خطة تنم عن الوعى والفهم الكامل لمشـكلة العـدوان المتكرر من جانب النوبة والبجة على أسوان وجنوب مصر ، فوجهوا اهتمامهم فى بادىء الأمر الى تحصين ثغر أسوان ، وتنظيم وسائل الدفاع عنه ، فضلا عن وضع جيش دائم به لصـد أى محاولة للهجوم عليه(٢١٩) ، ثم اتبعوا سياسة تتسم بالمسالمـة ، وتنطوى على مراعاة حسن الجوار مع النوبة ، حتى أصبحت العلاقة بين مصر وبلاد النوبة فى عهدهم ودية الى حـد كبير ، فكان ملوك النوبة يرسلون الهدايا الى الخلفاء الفاطميين ويعقدون معهم المعاهدات(٢٢٠) ، كما عمل الفاطميون على تقوية قبيلة ربيعة العربية التى اتخـذت من أسوان مقرا حتى يتسنى لهـا تعزيز قـوة الدفاع عن أسوان(٢٢١) ، واستطاعت قبيلة ربيعة أن ترتبط مـع النوبيين من ناحية أخرى بروابط الود والصداقة خلال العصر الفاطمى ، وليس أدل على ذلك من أن زعيمها أبا المكارم هبة الله بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن على ويعرف بالأهـوج المطاع استطاع بمعاونة ملك النوبة الظفر بالثائر أبى ركوه الذى خرج على الخليفة القاضى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) وفر الى أرض النوبة سنة (٣٩٦ هـ) فكافأ الحاكم زعيم ربيعـة بلقب « كنز الدولة » وتوارث زعماؤها هـذا اللقب من بعـده حتى صـارت ربيعـة تعرف ببنى الـكنز(٢٢٢) .

---

(٢١٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٨ .
(٢٢٠) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧١ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦١٤ .
(٢٢١) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٢٤ .
(٢٢٢) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤٦ .

وكانت قبيلة ربيعة من القبائل العربية التى هاجرت الى مصر فى أواخر عهد الخليفة العباسى المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) واستقرت فى أسوان ، وتحالفت مع قبائل البجة ، وتزوجت منهم ، ونشرت نفوذها على منطقة العلاقى وعلى القبائل العربية الضاربة بها(٢٢٣) وكثرت أموال ربيعة وتحسنت أحوالهم بسبب استيلائهم على المعادن بالعلاقى ومصاهرتهم للبجة ، فصارت لهم الأملاك والمرافق ببلاد البجة واختطوا بها قرية تعرف بالنمامس وحفروا بها الآبار(٢٢٤) ، وبذلك نجحت ربيعة فى درء خطر البجة عن ثغر أسوان(٢٢٥) ، ولعل هـذا يفسر لنا أيضا عدم تعرض ثغر عيذاب لعـدوان البجة ، وهـو الثغر المتاخم لحـدودهم وكان موقعه كفيلا بتعرضه لكثير من عـدوانهم ، فقـد أتت سياسة الفاطميين الحكيمة ثمارها فى تأمين الحـدود الجنوبية من أسوان الى عيذاب .

(ب) تعرض الثغور المصرية لعـدوان القرامطة :

بدأ النزاع بين قرامطة بلاد البحرين والفاطمين عندما استولى الجيش الفاطمى على دمشق سنة ٣٥٩ هـ بقيادة جعفر بن فلاح وطالبه أمير القرامطـة الحسن بن أحمد بن أبى سعيد بالأتاوة التى كان يدفعها له الأخشيديون ، ولكن جعفر بن فلاح رفض أداء هـذه الأتاوة ، ممـا تسبب عنه اشتباك القرامطـة مع الفاطميين فى حروب انتهت بهزيمة الفاطميين وقتل القائد الفاطمى جعفر بن فلاح ، ثم زحف القرامطة الى مصر فى أواخر سنة ٣٦٠ هـ(٢٢٦) ، فاستعد جوهر الصقلى لحربهم بحفر خندق حول القاهرة ، وأعـد لملاقاتهم جيشا من المغاربة والمصريين وزوده بالسلاح(٢٢٧) ، وهاجمت جيوش القرامطة ثغر القلزم ،وتمكنت

---

(٢٢٣) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤٤ .
Macmicheal : History of Arabs in the Sudan, Vol. I. PP. 148:149.

(٢٢٤) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤٤ .
(٢٢٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٧ .
(٢٢٦) ابو الفدا : تاريخه جـ ٢ ص ١١١ : ١١٣ .
جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٣ : ١٢٦ .
(٢٢٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٣٧ .

من دخوله ، وأسر واليه الأخشيدى عبد العزيز بن يوسف ، واستولت على ما كان له من خيل وابل(٢٢٨) ، وتابع القرامطة زحفهم بعد ذلك الى داخل البلاد فى أوائل عام ٣٦١ هـ واستولوا على عين شمس ، وتقدموا بعد ذلك الى القاهرة الا أن الجيش الذى أعده جوهر من المصريين والمغاربة تمكن من هزيمة القرامطة هزيمة منكرة ، فتقهقر الحسن بن أحمد بجيشه الى القلزم ورحل عن مصر(٢٢٩) .

لم يلبث الحسن بن أحمد أن أعد المراكب ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرها الى تنيس فى البحر « فكانت بينهم وبين أهل تنيس حرب انهزم فيها أصحاب القرامطة وأخذ منهم عدة مراكب ، وأسر طائفة منهم »(٢٣٠) . ولما قدم المعز لدين الله الفاطمى من المغرب الى مصر سنة ٣٦٢ هـ ، واتخذ القاهرة حاضرة لخلافته وجه سياسته لمناهضة القرامطة ، فقد عظم عليه خوف الناس من القرامطة وانتشار الرعب بينهم فيقول المقريزى(٢٣١) : « فعظم ذلك على المعز ، واشتد خوف الناس فى المقابر ، حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها ويمضى بها الحفارون ، فأنكر ذلك المعز وأمن الناس » ، ورأى المعز أن يرسل الى الحسن بن أحمد بكتاب قبل أن يشتبك معه فى الحرب لعله ينجح لحمله على العدول عن موقفه العدائى من الفاطميين ، الا أن خطابه لم يثنى الحسن بن أحمد عن موقفه وزحفت جيوشه الى مصر عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) وتوغلت فى الأراضى المصرية(٢٣٢) ، فى حين هاجم أسطولهم تنيس وغيرها من سواحل مصر(٢٣٣) ، وعمد المعز الى تفريق كلمتهم وتمكن بذلك من هزيمتهم فارتدوا الى الشام بعد أن أسر الفاطميون منهم عددا كبيرا ، فى حين انهزم أسطولهم فى تنيس ، وفى ذلك يقول المقريزى(٢٣٤) : « قدم من تنيس مائة وثلاثة

---

(٢٢٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨١ .
(٢٢٩) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٣٨ .
(٢٣٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٤ .
(٢٣١) نفس المصدر والصفحة .
(٢٣٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥١ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٨ : ١٣٢ .
(٢٣٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٥ ، ٢٥٠ .
(٢٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

وسبعون رجلا أسارى ، وعـــدة رؤس ومعهم أعلام القرامطة منكوسة وبســلاح لهم ، فشهر ذلك فى البلـــد » •

(جـ) العـــدوان النرمندى على الثغور الشمالية :

لـــا انتقل المعز لدين الله الفاطمى الى مصر ، واتخـــذها مقرا لدولته فى عام ٣٦٢ هـ ، كانت جزيرة صقلية تخضع وقتذاك لحكم الفاطميين ويلى أمورها وال مستقل من قبل الخليفـــة الفاطمى(٢٣٥) ، وفى أواخر القرن الرابع الهجرى أخـــذ النفوذ الفاطمى فى هـــذه الجزيرة فى الضعف بسبب الانقسام الذى حـــل بالمسلمين من سكانها(٢٣٦) الأمر الذى شجع الامبراطور البيزنطى ميخائيل الرابع (١٠٣٤ — ١٠٤١ م) على التدخل فى شئون صقلية فأنفـــذ اليها حملتين فى سنة ٤٢٩ : ٤٣٠ هـ (١٠٣٧ : ١٠٣٨ م) ، باءت الأولى منها بالفشل ، واستطاع المسلمون استرداد ، ما ستولت عليه الحملة الثانية من مدن(٢٣٧) • على أن الاضطرابات ما لبثت أن سادت الجزيرة من جراء النز اع بين أمرائها المسلمين والحروب الداخلية ، فمهد ذلك أمام النرمانديين لغزوها فتمكن روجر بن تنكرد النرماندى من الاستيلاء على جميع أرجائها سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)(٢٣٨) وكان وجـــــود النرمانديين فى جزيرة صقلية يمثل خطرا كبيرا على موانى مصر فى الساحل الشمالى ومن ثم صاروا يرجـــون مواصلة الحرب ضـــد المسلمين فى الشرق اتماما لحربهم ضـــد المسلمين فى صقلية(٢٣٩) •

ففى سنة ٥٤٣ هـ قـــدم روجر بن تنكرد النرمندى ملك صقلية على رأس

---

(٢٣٥) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٣٥ •

(٢٣٦) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٠٩ •
لوبون : حضارة العرب ، ص ٣٢٩ •

(٢٣٧) Cambridge Mediaval History, Vol. IV. P. 150.

(٢٣٨) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٣٦ •

(٢٣٩) Longnon : les Francais d'Outremer au Moyen Age. PP. 26-28.

حملة بحرية قاصـــدا مدينة الاسكندرية فهاجمها ونهبها ثم أقلع منها ، واضطربت الأحوال بمصر نتيجة لهـــذا الهجوم(٢٤٠) ، وفى عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) غزت مراكب صقلية تنيس ونهتبها ثم رحلت عنها(٢٤١) وعاود النرمان هجومهم على موانى مصر الشمالية فى جمادى الآخرة سنة ٥٥٠ هـ فجاؤا فى نحو ستين مركبا فى عهد الخليفة الفاطمى الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك(٢٤٢) ، ونزلوا على دمياط ونهبوها وعاثوا فيها فسادا(٢٤٣) ، ثم اتجه أسطولهم بعـــد ذلك الى تنيس فلقى أهلها كثيرا من الضر من عـــدوان الأسطول النرمندى ، الذى تابع ســيره الى رشيد وهاجمها ثم اتجه الى الاسكندرية ونهبها واعتدى عليها ، ولكن هـــذه القوات سرعان ما ولت الأدبار عند ظهور الأسطول المصرى(٢٤٤) .

(د) تعرض الثغور الشمالية للعـــدوان الصليبى :

فى أواخر القرن الخامس الهجرى ظهر خطر عظيم هـــدد العالم الاسلامى بأسره وتمثل هـــذا الخطر فى توجيه الصليبيين حملاتهم الى الشام ، ونجاحهم فى تأسيس امارتى انطاكية وبيت المقـــدس(٢٤٥) ، ثم امتدت أنظـــارهم لتشمل مصر ، فاستولى بلدوين الأول ملك بيت المقـــدس الصليبى على وادى عربة جنوبى البحر الميت وشيد به حصن الشوبك عام ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) ، ثم استولى على أيله على ساحل خليج العقبة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) وأقام بها قلعة حصينة ليعزل مصر عن العالم الاسلامى ويقطع الطريق البرى بينها وبين الشـــــام والعراق

---

(٢٤٠) صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حـــــوض البحر المتوسط ، ص ٢٧٥ .

(٢٤١) نقـــولا يوسف : تاريخ دمياط ، ص ١٢٠ .

(٢٤٢) امارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ .

(٢٤٣) أمارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ ، جمـــال الشيال : مجمـــل تاريخ دميـــاط ، ص ١٥ .

(٢٤٤) سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ص ١٤٨ ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٩٩ .

(٢٤٥) جوزيف نسيم : العـــدوان الصليبى على مصر ، ص ٢١ .

والحجاز(٢٤٦) ، وكانت مصر فى تلك الفترة تعانى من الضعف والتفكك بسبب استئثار الوزراء الفاطميين بالسلطة دون الخلفاء ، وعندما أحس بلدوين بضعف الفاطميين أراد أن يشعرهم بقوته فقام بمهاجمتهم(٢٤٧) ، اذ خرج فى حملة استكشافية لاستطلاع امكانية غزو مصر فوصل الى ميناء الفرما وهاجمها ونهبها وأحرق مساجدها(٢٤٨) ، ثم واصل زحفه بعد ذلك حتى وصل الى ميناء تنيس واعتدى عليها أيضا ولم يلبث أن مرض وتوفى بالعريش فى طريق عودته الى بيت المقدس(٢٤٩) .

ثم عاود الصليبيون الاغارة على الفرما فى عام ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) فأشعلوا فيها النار ، ونهبوها واعتدوا على أهلها(٢٥٠) ، فى الوقت الذى ازدادت حالة البلاد سوءا ، فقد تفاقم التنافس على الوزارة فى مصر فى العصر الفاطمى الأخير الى الحد الذى جعل بعض الطامعين فيها يستعينون بأمراء الدول المجاورة مما ترتب عليه تطلع هؤلاء الأمراء الى بسط سلطانهم على مصر(٢٥١) ، ولذلك استطاع شاور أن يتقلد الوزارة فى عام ٥٥٨ هـ ، الا أن ضرغام ما لبث أن ثار عليه ، ففر شاور الى الشام ، واستنجد بنور الدين محمود صاحب دمشق وطلب منه امداده بقوة يستطيع أن يستعيد بها نفوذه فى مصر(٢٥٢) ، وفى تلك الأثناء انتهز آمورى الأول ملك بيت المقدس الفرصة وهاجم مصر حتى وصل الى بلبيس وحاصرها ، ولكن ضرغام استغل فرصة فيضان النيل وامتلاء الأراضى بالمياه ، وأجبر آمورى

---

(٢٤٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٢٤٧) Grousset : Hist des Croisade et du Royaume France de Jerusalem, Vol. I, P. 283.

(٢٤٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٢ .

(٢٤٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٠٥ .

(٢٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٢ .

(٢٥١) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٧ .

(٢٥٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٥٨ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٧ .

الأول على الانسحاب الى فلسطين(٢٥٣) ، على أن آمورى قـــد استفاد من تلك الحملة باطلاعه على أحـــوال مصر التى بدت سهلة المنال نتيجة لانحلال الخلافة الفاطمية ، واختلال الأحوال الداخلية بمصر(٢٥٤) .

أرسل نور الدين محمود حملته الأولى لمصر بقيادة أســد الدين شيركوه فوصلت الى القاهرة ، وتمكن شاور بمعاونته من استعادة مركزه وتولى الوزارة فى رجب سنة ٥٥٩ هـ(٢٥٥) ، على أن شاور لم يف بتعهده لنور الدين الذى تضمن اعطاءه ثلث خراج مصر ، بل طلب من شيركوه الخروج من مصر(٢٥٦) ، لــكن شيركوه رد على موقف شاور باحتلال بلبيس والشرقية ، مما جعل شاور يستنجد بالصليبيين ، وأرسل الى آمورى يخــوفه من امتلاك نور الدين لمصر ، فاتجـــه آمورى الى مصر على رأس حملة شاركت شاور فى حصار شيركوه فى بلبيس ، حتى تم الاتفاق بينهما على أن يغادر كل من شيركوه وآمورى مصر(٢٥٧) ، وقـــد رحب آمورى بتلك الاتفاقية حيث أن نور الدين قـــد هاجم الصليبيين فى غيـــابه فتطلب الأمر عودته سريعا الى الشام(٢٥٨) .

وكان لسياسة شاور هـــذه أثرها فى توجيه أنظار كل من نور الدين صاحب دمشق ، والفرنجة ببيت المقـــدس الى غزو مصر وأشد ما كان يخافه الفرنجة أن ينجح نور الدين فى ضم مصر الى بلاد الشام فيصبح مركزهم فى بيت المقدس مهـــددا بالأخطـــار(٢٥٩) .

---

(٢٥٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .
Schlambeger : Campagnes du Rois Amaury de Jerusalem en Egypt. PP. 38-48.
(٢٥٤) Ibid, P. 19.
(٢٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ ١ ص ١٣٧ : ١٣٩ .
(٢٥٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٣٧ ، جمـــال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٧ .
(٢٥٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .
(٢٥٨) Grousset : Hist des Groisade et du Royaume France de Jerusalem, Vol. II, P. 548.
(٢٥٩) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٨ .

وفى ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) أرسل نور الدين محمود حملته الثانية لغزو مصر بقيادة شيركوه وبصحبته ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب وبعض الأمراء(٢٦٠) ، ويذكر أبو المحاسن(٢٦١) أن سبب هـذه الحملة أنه كان « فى قلب نور الدين من شاور حزازة لكونه غـدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالفرنج » ، واستنجد شاور بآمورى الذى أسرع بارسال حملة انضمت الى المصريين ، ودارت بين الجيشين حروب انتهت بانتصار شيركوه عليهم فى معركة البابين (بالقرب من المنيا) ثم زحف بعـد ذلك الى الاسكندرية فدخلها من غير مقـاومة(٢٦٢) .

لم يقم شيركوه بالاسكندرية مدة طويلة ، بل عاد بمعظم جيشه الى الصعيد واستخلف عليها صلاح الدين(٢٦٣) ، عند ذلك زحفت قوات الفرنجة والمصريين وحاصروا الثغر برا(٢٦٤) فى حين حاصرها أسطولهم وأسطول بيزا بحرا(٢٦٥) ، واشتد الحصار على صلاح الدين ، فعانى الناس من قلة الطعام ، الا أن أهـل الاسكندرية وقفوا بجانب صلاح الدين بالرغم من محاولات شاور استمالتهم ووعوده التى بذلها لهم بأن يضع عنهم المكوس ، ويعطيهم الخمس على أن يسلموه صـلاح الدين فأبوا ذلك(٢٦٦) . وفى ذلك يقـول ابن الأثير(٢٦٧) وسـاروا الى الاسكندرية ، فحصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار ، وقل الطعام على من

---

(٢٦٠) ابن واصل : مفرج الكروب : جـ ١ ص ١٤٨ : ١٤٩ .
(٢٦١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٤٨ .
(٢٦٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٣٢ .
(٢٦٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٤٣ .
(٢٦٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٣٢ .
(٢٦٥) Stanley Lane Poole : Ahistory of Egypt in the Middle Ages. P. 182.
ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٠٦ .
(٢٦٦) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صـلاح الدين ص ١٢ .
(٢٦٧) الكامل جـ ١١ ص ١٣٢ .

بهذا قصير أهلها على ذلك ويذكر أبو شامة(٢٦٨) أن الحصار استمر « أربعة أشـــــهر » .

أسرع شيركوه الى الاسكندرية لنجدة صلاح الدين ، ولم يلبث المصريون والفرنجة أن أرسلوا اليه يطلبون الصلح ، فأجاب طلبهم ، واشترط الا يقيم الفرنجة فى البلاد المصرية ، ثم عاد الى دمشق(٢٦٩) .

على أن قوات الصليبيين لم تغادر مصر تنفيذا لهــذا الصلح ، بل عقدت مع شاور معاهدة ، كان من أهم شروطها أن يكون لهم بالقاهرة شحنة صليبية ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين عن انفاذ عسكره اليهم ، كما اتفق الطرفان أن يكون للصليبيين مائة ألف دينار سنويا من دخل مصر(٢٧٠) .

أدى دخول الفرنجة الى البلاد المصرية الى اطلاعهم على ما وصلت اليــه حالتها من الضعف والاضطراب ، مما جعلهم يطمعون فى الاستيلاء عليها ذلك أنهم تحكموا فى شئون أهلها دون أن يقف فى وجههم أحــد ، وبعثوا الى آمورى يهونون عليه أمر امتلاك هــذه البلاد ، كما أن فئة من أعيان المصريين ممن كانوا يعادون شاور كاتبوا هــذا الملك يحببون اليه القــدوم الى مصر — وكان قــد وصل اليه من بعض أعوانه أسماء قراها ومقــدار خراج كل منها — وبذلك تمهد السبيل لقوات الفرنجة لغزو البلاد المصرية(٢٧١) ، فخرج آمورى على رأس حملة فى أوائل سنة ٥٦٤ هـ واستولى على مدينة بلبيس وزحف الى القاهرة فاضــطر شاور الى اخلاء الفسطاط من السكان واشعال النار بها فى حين شدد الصليبيون الحصار على القاهرة(٢٧٢) ، ونزلت جيوشهم على تنيس وأشموم ومنية غمــر

---

(٢٦٨) الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ١ ص ١٣٤ .
(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٣٢ .
(٢٧٠) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .
(٢٧١) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٩ .
(٢٧٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .

فى الوقت الذى هاجم أسطولهم المكون من عشرين شونه السواحل وأعمل فى أهلها القتل والأسر والسبى(٢٧٣) .

رأى شاور بعد أن ايقن من عجزه عن مقاومة الصليبيين أن يعمد الى أعمال الحيلة ، فتودد الى آمورى وطلب منه الصلح وأبدى له خوفه من نور الدين وأبدى له استعداده أن يدفع له ألف دينار فرحب آمورى بعرض شاور واستقر الرأى بينهما أن يعجل بدفع مائة ألف دينار ويؤخر الباقى خشية أن يسارع نور الدين الى الاستيلاء على البلاد المصرية(٢٧٤) .

ولم يلبث شاور أن بعث الى نور الدين يطلب النجدة ، كما أرسل اليه العاضد يستنجد به ويحثه على انقاذ المسلمين من الفرنج(٢٧٥) على أن ينزل له عن ثلث البلاد المصرية ويأذن لأسد الدين شيركوه بالاقامة عنده مع جنده ويكون اقطاع هؤلاء الجند خارجا عن ثلث البلاد الذى أفرده لنور الدين محمود(٢٧٦) .

سارع نور الدين بعد وصول هذه الرسائل اليه الى ارسال جيش الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ، واضطر آمورى بعد أن اتضح له موقف المصريين منه ، الى الرحيل بقواته ، ثم دخل أسد الدين شيركوه القاهرة فى ربيع الآخر ٥٦٤ هـ ، فرحب به أهلها ، واستقبله الخليفة العاضد(٢٧٧) ، مما جعل شاور يوجس خيفة من شيركوه ، وحملة على تدبير المؤامرات ضده ، غير أن شيركوه ما لبث أن اتفق مع أصحابه على التخلص منه ، فقبضوا عليه وقتلوه(٢٧٨) .

---

(٢٧٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤ ، أمارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ .
(٢٧٤) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٩ : ١٣٠ .
(٢٧٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .
(٢٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٥٨ .
(٢٧٧) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣١ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٨ .
(٢٧٨) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣١ : ٣٢ .

أصبح أسد الدين شيركوه صاحب السلطان الفعلى فى البلاد المصرية بعـد أن انتهى عهد شاور ، فاتخـذه العاضد وزيرا له ، واستطاع فى الفترة القصيرة التى ولى فيها الوزارة أن يقبض على زمام الأمور فى البلاد ، ثم خلفه فى الوزارة بعـد وفاته ابن أخيه صلاح الدين(٢٧٩) .

شرع صلاح الدين ــ بعـد أن ولى وزارة العاضد الفاطمى ــ فى العمل على تقوية مركزه واضعاف سلطة العاضد ، ولمـا ثقلت وطـأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمى وتجلى استبداده بأمور الدولة ، واضعافه جانب الخلافة حنـق عليه رجل القصر ودبروا المـكائد للتخلص منه(٢٨٠) ، وكان يتزعمهم جـوهر مؤتمن الخلافة واتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم الى مصر فاذا ما خرج صلاح الدين الى لقائهم قبضوا على من بقى من أصحابه بالقاهرة ، وانضموا الى الفرنجة فى محاربته والقضاء عليه ، على أن صلاح الدين ما لبث أن وقف على ما دبره له أعـداؤه فشدد الرقابة على مؤتمن الخلافة ، وأرسل اليه جماعة من أصحابه تمكنوا من اغتياله فى أواخر سنة ٥٦٤ هـ(٢٨١) ، مما تسبب فى ثورة جند الخليفة وأكثرهم من السودانيين ، غير أن صلاح الدين سرعان ما قضى عليهم كما قضى على حرس الخليفة الأرمن(٢٨٢) .

لم تكن الصعاب التى واجهت صلاح الدين فى الفترة التى قضاها وزيرا للعاضد مقصورة على الفتن التى أثارها رجال القصر الفاطمى وأتباعهم من الجند ، بل أن الفرنجة فى بيت المقـدس كانوا يرقبون ازدياد نفوذ نور الدين المتواصل فى مصر ويرون فيه خطرا يهـدد كيانهم ، ويظهر ذلك من قول ابن الأثير(٢٨٣)

---

(٢٧٩) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٣١ : ١٣٢ .
(٢٨٠) المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .
(٢٨١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٠٢ ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، ص ١٢ .
(٢٨٢) ابن واصل :مفرج الكروب جـ ١ ص ١٧٦ : ١٧٧ ، سـعيد عاشـور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٣٠٩ .
(٢٨٣) الكامل جـ ١١ ص ١٥٢ .

عن مدى خـوف الصليبيين : « كان افرنج الساحل لما ملك أسد الدين شيركوه مصر قـد خافوا ، وأيقنوا بالهلاك ، وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية ، والأندلس وغيرها يستمدونهم ويعرفون ما تجـدد عن ملك الأتراك مصر ، وأنهم خائفون على بيت المقـدس » ، كما أيقن آمورى أن سيطرة صلاح الدين على القواعد البحرية فى شمال مصر كالاسكندرية ، ودمياط ، وغيرها من الموانى الشمالية من شأنها أن تسلب الصليبيين سيادتهم البحرية وتجعلها للمسلمين فى الجزء الشرقى من البحر المتوسـط(٢٨٤) .

كل تلك العوامل دفعت آمورى الى القيام بعمل حاسم ضـد صلاح الدين فى مصر ، فأرسل يستنجد بملوك أوربا(٢٨٥) ، ولكن الأوضاع السياسية فى غرب أوربا والنزاع بين البابوية والامبراطورية حالت دون تحقيق رغبة آمورى فى مساعدتهم لـه ، فلم ير بدا من الاتجـاه الى الامبراطـور البيزنطى مانويل كـومنين(٢٨٦) .

لم يكن مانويل كومنين أقـل انزعاجا من آمورى فقد كان يطمع فى استرداد مصر ، وادخالها ضمن دائرة نفوذه فرحب فورا فى مـد يد المعـونة للصليبيين لغـزو مصر(٢٨٧) .

أعد منويل أسطولا ضخما وزوده بالجند والسلاح والعتاد ، وأقلع الأسطول الى جزيرة قبرص أولا ، وأسر فى طريقه اليها سفينتين مصريتين(٢٨٨) ، فى الوقت

---

(٢٨٤) Grousset : Hist des Groisade et du Royaume France de Jerusalem, Vol., II, P. 539.

(٢٨٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ .
(٢٨٦) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٧ .
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧١١ .
(٢٨٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧١١ .
(٢٨٨) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٢٢ : ٦٢٣ .

الذى عمل فيه آمورى على اغراء الجند الاستبارية[٢٨٩] على مساندته فى حملته على مصر فأصـــدر مرسوما بتاريخ ٥٦٣ هـ (١١٦٨ م) يقضى بمنح الاسبتارية جزءا كبيرا من ايراد أهم المدن المصرية كالفسطاط وبلبيس ودمياط والمحـــلة والاسكندرية وقوص وأطفيح وأسوان والفيوم ، ما يدل على ثقـــة آمورى فى الاستيلاء على مصر[٢٩٠] .

ولم يلبث الأسطول البيزنطى أن أقلع من قبرص الى عكا حيث اشترك مع الصليبيين هناك فى وضع خطة غزو مصر[٢٩١] ، ثم أقلع بعـــد ذلك الى دمياط فى حين زحفت قوات الصليبيين برا من عسقلان الى الفرما فى سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) تصحب معهـــا المنجنيقات ، والدبابات ، وآلات الحصـــار[٢٩٢] ، وعندما علم صلاح الدين بمجىء الحملة عمد الى تحصين كل من بلبيس والقاهرة والاسكندرية ظنا منه أنها ستنزل على احدى تلك المدن[٢٩٣] ، الا أن الصليبيين واصلوا زحفهم على امتداد الساحل ، وأسرعوا فى سيرهم الى دمياط[٢٩٤] ، للاستيلاء عليهـــا ، واتخاذها قاعـــدة لهم[٢٩٥] ، ولعل اتجاه الحملة الصليبية الى مدينة دمياط يبين أن المحرك لتلك الحملة كان البيزنطيون لاعتمادهم على قـــوة أسطولهم الذى كان من السهل عليه مهاجمة ثغر دمياط والوصول منه الى داخل البلاد عن طريق

---

(٢٨٩) كلمة معناها فرسان المستشفى Hospitallers وحرفت بالعربية الى اسبتارية وهى من الجماعات الصليبية التى تشكلت بهـــدف العنـــاية بمرضى الصليبيين ورعايتهم ولكن هـــذا الهـــدف ما لبث أن تحـــور بعـــد قليـــل فاتخـــذت تلك الجماعات طابعا حربيا وصار عليها أن تدافع عن ممتلكات الصليبيين بالشـــام وتحمى أماكنهم المقـــدسة .
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٠٠ : ٥٠١ .

(٢٩٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧١١ .

(٢٩١) Schlumberger : Gampagnes du Rois Amaury de Jerusalem au Egypt, P. 260.

(٢٩٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .
(٢٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧١٢ .
(٢٩٤) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٢٤ .
(٢٩٥) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٨٠ .

سير السفن فى فرع النيل الذى تقع عليه ، ويعبر عن ذلك ابن شداد(٢٩٦) بقوله « ورأوا قصد دمياط لتمكن القاصد لهامن البر والبحر ، ولعلمهم أنها أن حصلت لهم حصل لهم مغرس قــدم » .

عند ذلك أحس صلاح الدين بحرج موقفه لعــدم قيامه بتحصين ثغر دمياط وخــوفه من قيام ثورة داخلية ضــده اذا اتجه الى دمياط للدفاع عنها ، فأرسل الى نور الدين محمود يستنجد به ، ويصف له حرج موقفه ، وما هــو عليه من خوف وقلق ، وأنه أن تخلف عن دمياط ملكها الفرنجة ، وان سار اليها دبر لــه أعــداؤه المكائد فى الداخل وبذلك يصبح الفرنجة أمامه والمصريون خلفــه(٢٩٧) ، فسير نور الدين العساكر اليه « ارسالا يتلو بعضها بعضا »(٢٩٨) كلما تجهــزت طائفــة أرسلها اليــه »(٢٩٩) .

أرسل صلاح الدين كل ما يستطيعه من جند وسلاح وعتاد الى دمياط ، وعهد الى خاله شهاب الدين ، وابن أخيه تقى الدين عمر بمسئولية الدفاع عن المدينة ، ووعــدهم بارسال المزيد من الجند والسلاح(٣٠٠) ، وأعان الخليفة العاضــــد الفاطمى صلاح الدين بالمــال طوال حصار الفرنجة لدمياط(٣٠١) .

لم يستطع الأسطول البيزنطى المكون من ألف ومائتى مركب كما يقــول المقريزى(٣٠٢) دخول ميناء دمياط بسبب « المــآصر » وهى سلاسل حــديدية

---

(٢٩٦) سيرة صلاح الدين ، ص ٣٣ .
(٢٩٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ ، ابن واصــل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٨١ .
(٢٩٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ .
(٢٩٩) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٨٠ .
(٣٠٠) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣٤ ، أبو المحاسن : النجــوم الزاهرة جـ ١ ص ٧ .
(٣٠١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ ، أبو المحاسن : النجــوم الزاهرة جـ ٦ ص ٧ .
(٣٠٢) الخطط جـ ١ ص ٢١٤ .

تمتد بعرض النيل فى المـــاء لتحول دون دخول السفن اليه ، ومن ثم رست سفن الأسطول بعيدا عن الميناء(٣٠٣) ، فى حـــين عسكر الصليبيون على البر على مقربة من أسوار دمياط(٣٠٤) .

استمر حصـــار الصليبيين للمدينة خمسة وخمسين يوما ، « واشتد الأمر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج(٣٠٥) »، وحاول الصليبيون أثنـــاء الحصار اقتحام الأسوار باستعمال الأبراج وآلات الحرب التى معهم ، غـــير أنهم فشلوا فى ذلك(٣٠٦) .

ولم تلبث القوات البيزنطية أن أحست بوطـــأة القتال ، بعـــد أن نفـــذ تموينها ، مما حمل القائد البيزنطى على الشروع فى القيـــام بهجـــوم كبير على دمياط(٣٠٧) ، الا أن آمورى ملك بيت المقـــدس عارضه فى ذلك ، خوفا من الفشل بعـــد أن أحس بتزايد قوات صلاح الدين فى دمياط(٣٠٨) ، ثم وجـــد الصليبيون أن حصارهم لدمياط قـــد طال فى الوقت الذى أصابهم فيه الفزع بسبب ما تواتر اليهم من هجوم نور الدين على ممتلكاتهم فى الشام(٣٠٩) ، فقرروا رفع الحصار عن المدينة ، والعـــودة الى بلادهم فى الشام وقامـــوا بحـــرق معظم آلات الحرب والحصار التى كانت معهم ، حتى لا تقع فى أيدى المسلمين(٣١٠) ، وبذلك فشلوا فى حصار دمياط والاستيلاء عليها ورحلوا عنها فى سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) خائبين(٣١١) وصدق قول ابن الأثير(٣١٢) فى وصفه لهم حين قال : « خرجت النعامة تطلب قرنين ، فرجعت بلا أذنين » .

---

(٣٠٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٢٥ .
(٣٠٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ .
(٣٠٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .
(٣٠٦) نظير سعداوى : التاريخ الحربى لمصر فى عهد صلاح الدين ، ص ٧ .
(٣٠٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧١٣ .
(٣٠٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ .
(٣٠٩) ابن الأثير : الـكامل جـ ١١ ص ١٤٢ ، أبو شـــامة : الروضـــتين جـ ١ ص ١٨٠ .
(٣١٠) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٢٦ .
(٣١١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣٤ .
(٣١٢) الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ .

الباب الثانى

التنظيمات الإدارية والاقتصادية فى الثغور

١ ـ التنظيمات الادارية ٠

٢ ـ الادارة المـــالية ٠

٣ ـ دور الثغور المصرية فى التقـــدم الصناعى والنشاط التجارى ٠

الباب الثانى

التنظيمات الادارية والاقتصادية فى الثغور

١ — التنظيمات الادارية

(أ) التقسيم الادارى للثغور :

لم يغير العرب عند فتحهم مصر من التقسيم الادارى الموجود بها منذ العهد البيزنطى(١) ، على أن عدم تغيير التقسيم الادارى لم يستمر طويلا فقد طرأت عليه عدة تغييرات خاصة بحدود الأقسام الادارية وعددها ، ويهمنا فى هذا المجال معرفة التقسيم الادارى لمصر ، وما طرأ عليه من تغيير ، لما لذلك من أثر كبير فى معرفة تطور التقسيم الادارى للمواتىء والثغور .

كانت مصر تنقسم الى قسمين كبيرين هما : الوجه القبلى ، والوجه البحرى(٢) ، وأطلق العرب على القسم الأول مصر العليا أو الصعيد(٣) ، وعلى القسم الثانى مصر السفلى(٤) ، على أن هذا التقسيم لم يكن الا تقسيما جغرافيا فقط ، أما من الناحية الادارية فقد قسمت مصر الى أقسام صغيرة ،

---

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٠ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٢ .

(٣) سمى صعيدا لان أرضه كلما ولجت الى الجنوب أخذت فى الصعود والارتفاع .
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٨٠ .

(٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٠ .

ليسهل حكمها وادارتها(٥) ، وكانت هـذه الأقسام الصغيرة تسمى « الكور »(٦) التى بلغ عـددها عند الفتح ثمانين كورة(٧) ، وتتكون الكورة من مدينة كبيرة تكون قصبة(٨) لهـا ويتبعها عـدد من القرى(٩) .

قسم القضاعى كور مصر الى ثلاثة أحياز (أقسام) الحيز الأول ويضم كور الصعيد(١٠) ، والحيز الثانى ويضم كور أسفل الأرض(١١) والحيز الثالث ويشمل كور القبلة(١٢) (الناحية الشرقية) .

دخلت الموانىء والثغور المصرية فى التقسيم الادارى لمصر ككور ، ولمـا كانت هـذه الموانى والثغور من مدن مصر الهامة ، فقـد كانت فى معظمها قصبات لكوراتها يتبعها عـدد من المدن والقرى ، الا أن بعضها كان عبارة عن مدن قائمة بذاتهـا(١٣) .

دخلت أسوان ثغر مصر الجنوبى ضمن كور الحيز الأول ، فكانت آخر كورة

---

(٥) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العـدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ٧٥ .

(٦) كلمة كورة أطلقها العرب عند فتحهم لمصر على « النوم » و « النوم » كلمة يونانية Nome تعنى وحـدة ادارية وسياسية وليس للكورة من مشابة فى عصرنا الحاضر لانها تدل على وحـدة ادارية أصغر من المحافظة واكبر من المركز وتنقسم الكورة الى عـدة قرى تكبر وتصغر بحسب ظروف الزمان والمكان .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٨ — ٢٩ .

(٧) ابن زولاق : « فضائل مصر واخبارها وخواصها » ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٥٩١ تاريخ ، ص ٥٢ .

(٨) القصبات : هى عواصم الاقاليم ، والمدن : هى ما يلى القصبة فى الاقاليم والقرى وهى ملحقة بالمدن . آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٩٥ .

(٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧٢ : ٧٣ .
(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٨٠ .
(١١) المصـدر نفسه ج ٢ ص ٣٨٥ .
(١٢) المصـدر نفسه ج ٣ ص ٣٩١ .
(١٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧٢ : ٧٣ .

من كور اقليم الصعيد(١٤) ، الذى ضم عشرين كورة(١٥) ، ولم تكن أسوان قصبة لكورتها فقط بل وصفت بأنها قصبة الصعيد كله وأكبر مدنه(١٦) ، وضمت كورة أسوان سبع قرى تابعة لهـا(١٧) وظلت أسوان تحتفظ بهـذا التقسيم الادارى منذ الفتح العربى حتى بداية العصر الفاطمى(١٨) .

أما ثغور مصر الواقعة على بحر الروم فدخلت ضمن كور الحيز الثانى الذى كان يضم كور أسفل الأرض(١٩) ، وهـذا التقسيم طرأت عليه عـدة تغييرات بعـد الفتح العربى ، فعند دخول العرب مصر كان الوجـه البحرى ينقسم الى قسمين كبيرين ، أطلق العرب على أحـدهما الحوف(٢٠) بدلا من الاسم البيزنطى (أوجوستا منيك) وعلى الثانى اسم الريف(٢١) بدلا من اسم اقليم مصر(٢٢) ، هـذا الى جانب اقليم الاسكندرية الذى ضم ثغر الاسكندرية ، وامتد شرقا ليشمل منطقة رشيد(٢٣) .

وفى بداية القرن الثالث الهجرى أدخل العرب تعـديلا فى حـدود الأقسام السابقة ، فصارت ثلاثة أقسام ، الأول منها وسمى بالحوف الشرقى وشمل

---

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٨ .
(١٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٨٠ .
(١٦) المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(١٧) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧٣ .
(١٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١٠٨ .
(١٩) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٨٥ .
(٢٠) الحوف : الناحية أو الجانب ، وتحوف الشىء أخـذ من حافته ، وحافتا الوادى وغيره من كل شىء حافتاه ، ومن هنا أطلق العرب تسمية الحوف الشرقى والحوف الغربى على جانبى الدلتا شرقا وغربا — ابن منظور : لسان العرب ج ١٠ ص ٥٠٤ .
(٢١) الريف : أصلها فى لغة العرب موضع الزرع والشجر الا انه غلب فى الديار المصرية على أسفل الأرض منها . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٨٦ .
(٢٢) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ص ٥ .
(٢٣) عبد الفتاح وهيبة : دراسات فى جغرافيا مصر التاريخية ، ص ١٢٤ .

الأراضى الواقعة شرقى فرع دمياط(٢٤) ، والقسم الثانى وسمى بالحوف الغربى وشمل الأراضى الواقعة غربى فرع رشيد(٢٥) والقسم الثالث وسمى بطن الريف وشمل الأراضى الواقعة بين فرعى دمياط ورشيد(٢٦) .

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى حـــدث تعـــديل آخر ، فقسم اقليم بطن الريف الى اقليمين : الشرقى منه وظل محتفظا باسم بطن الريف والغربى سمى باقليم الجزيرة(٢٧) ، ودخلت ثغور الساحل الشمالى ضمن هـــذه التقسيمات الادارية ، فكانت الفرما كورة من كور الحوف ، ثم من كور الحوف الشرقى(٢٨) وكانت أحيانا تقرن بمدينة العريش فتسمى كورة الفرما والعريش(٢٩) ويذكر المقـــدسى(٣٠) ، أن الفرما قصبة الجفار(٣١) ، وكان يتبعها عـــدد من المدن ، وذكر منها البقارة والواردة والعريش ، وكانت تنيس ودمياط ضمن كور اقليم الريف ، ثم دخلتا ضمن اقليم بطن الريف(٣٢) ، وعندما انقسم اقليم بطن الريف

---

(٢٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .
(٢٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٨٩ : ٣٩٠ .
(٢٦) المصـــدر نفسه جـ ٣ ص ٣٨٧ .
(٢٧) عبد الفتاح وهيبة : دراسات فى جغرافية مصر التاريخية ، ص ١٢٤ : ١٢٥ .
(٢٨) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ص ٣٨٦ .
(٢٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .
العريش مدينة قـــديمة فيما بين أرض فلسطين وارض مصر ، قامت على أنقـــاض مدينة قديمة تسمى « رينو كلودا » وهى تبعـــد عن البحر بنحو ½ كم ، وهى محطة تجارية على الطريق ، والعرب هم الذين اسموها العريش .
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٠ .
سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب جامعة القـــاهرة ، مجلد ٢١ ، العـــدد الاول ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٨٧ .
(٣٠) المقـــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٣ .
(٣١) الجفار اسم لخمس مدائن هى الفرما ، والبقارة ، والواردة والعريش ، ورفح (رفح) والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب من كثرة رمله ، وبعـــد مراحله ، والجفار تجفر فيه الابل ، فاتخـــذ منه الاسم .
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٩ .
(٣٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٨٧ .

الى اقليمى بطـــن الريف والجزيرة ظلت تنيس ودمياط من كـــور اقليم بطـــن الريف(٣٣) .

وكانت دمياط قصبة لكورتها ، يتبعها من القرى ثلاث عشرة قرية سوى المنى (القرى الصغيرة)(٣٤) ، وهـــذا دليل على أن كورة دمياط كانت من الكور الكبيرة ، التى يتبعها ظهير زراعى كبير ، ولم تحـــدد المصادر عـــدد القرى التابعة لكورة تنيس الا أنها تصفها كجزيرة كبيرة من جزر بحيرة تنيس تتناثر حولها الجزر الصغيرة المتابعة لهـــا ، وذكرت من هـــذه الجزر شطا ، ودبيق ، ودميرة ، وتونة ، وسمناى ، وبورة ، وأبوان ، وحصن المـــاء ، ونبلوهة(٣٥) .

وضم اقليم الحوف الغربى كورة رشيد(٣٦) ، ويذكر المقريزى(٣٧) أن عـــدد القرى المتابعة لرشيد سبع عشرة قرية ، وهى القرى المحيطة بمصب فرع رشيد .

وكانت الاسكندرية فى العهد البيزنطى اقليما اداريا مستقلا عن بقية مدن مصر(٣٨) ، وظلت كذلك بعـــد الفتح العربى حتى ولى أحمد بن طولون حكم مصر فى أول الأمر دون الأعمال الخارجية ، ثم وصل اليه بعـــد ذلك تقليد بولاية مصر وضم اليها الاسكندرية(٣٩) ، فأصبحت كورة من كور اقليم الحوف الغربى(٤٠) .

---

(٣٣) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعـــة القاهرة ، مجلة ٢١ العـــدد الأول مايو ١٩٥٩ ، ص ١٥٩ .

(٣٤) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢٣١ .

(٣٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٢ ، الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٣٣٨ .

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٠ .

(٣٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .

(٣٨) Maspero & Wiet : Materieux. Pour Servir à la géographie de l'Egypte, P. 8.

(٣٩) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٥٩ .

(٤٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .

دخلت القلزم ضمن كور الحيز الثالث(٤١) ، الذى يشمل كـور القبـلة (الناحية الشرقية) ، وهى فى مجموعها الكور الواقعة على شمال بحر القلزم ، وبالقرب منه(٤٢) ، وكانت مدينة القلزم كورة قائمة بذاتها ، لايتبعها قرى أو مدن أخرى(٤٣) .

وفى أوائل العصر الفاطمى حـدث تعـديل فى الأقسام الادارية الكبرى لمصر فقسمت أربع ولايات أو أقاليم كبرى على رأس كـل منها حاكم يعرف « بالوالى » أوردها القلقشندى(٤٤) ، الولاية الأولى كانت ولاية قوص ، وكانت أعظم الولايات الأربع وواليها يحكم جميع بلاد الصعيد ، وتبع هـذه الولاية من الثغور كورة أسوان(٤٥) ، كما تبعها أيضا ثغر عيذاب(٤٦) ، ومن المرجح أن القصـير كانت تتبع ولاية قـوص اداريا لقربها منها والولاية الثانيـة ولاية الشرقية ، واشتملت على الأراضى الواقعة شرقى فرع دمياط ، والولاية الثالثة ولاية الغربية ، وتشمل جميع البلاد الواقعة بين فرعى رشيد ودمياط ، والولاية الرابعة هى ولاية الاسكندرية التى أضيفت اليها البحيرة(٤٧) .

لا يمـدنا هـذا التقسيم الادارى الـذى أورده القلقشندى للـولايات الثلاث الواقعة فى الوجـه البحرى بالمعلومات التى نقف منها على الوضع الادارى للثغور الشمالية فيما عـدا الاسكندرية التى كانت قاعـدة للولاية التابعة لهـا الا أن القلقشندى يعود ويشير الى أن الولايات الأربع السابقة كان يدخل تحت

---

(٤١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٢ .

(٤٢) ذكر المقريزى نقـلا عن القضاعى أن كور القبـله تسمى كور الحجاز ، ومنها كورة الطـور وفارن ، وراية ، والقلزم ، ومدين ، والعويند ، والحوراء ، وبدا ، وشغب ومعظمها قـد اندثر .
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .

(٤٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٣ .

(٤٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٩٧ : ٤٩٨ .

(٤٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١٠٨ .

(٤٦) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٩٥ .

(٤٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٩٧ : ٤٩٨ .

حكمها ولايات صغار وأنه رأى سجلات عـديدة لولاة فى الوجهين القبـلى والبحرى(٤٨) ، وفى موضع آخر من كتابه يورد سجلا بتولية أحـد ولاة الفرما فى العصر الفاطمى(٤٩) فاذا طبقنا هـذه المعلومات مع ما هو معروف عن الفاطميين من اهتمامهم بالثغور ، وافرادهم لهـا ديوانا خاصا بها(٥٠) استنتجنا أن الثغور الشمالية فى العصر الفاطمى كانت ولايات هامة يحكمها ولاة من قبل الخلفاء .

(ب) الادارة فى الثغـور :

اهتم العرب بتنظيم الادارة فى ثغور مصر وموانيها ، لمـا لهـذه المدن من أهمية خاصة ، من الناحية الحربية والاقتصادية واقتضت ادارة الثغور وجـود عـدد من العمال والمستخدمين للاضطلاع بها كالوالى .

فيتضح لنا من التقسيمات الادارية لمصر الاسلامية ، أن الثغور دخلت ضمن هـذه التقسيمات ككور(٥١) ، وكان لكل كورة من كور مصر حاكم يتولى شئونها ، أطلق عليه العرب اسم « صاحب الكورة » فى أول العهد الاسلامى(٥٢) ، وتغيرت هـذه التسمية فيما بعـد ، فنجـد المصادر تذكر مسميات مختلفة لحكام الثغور كالوالى ، والحاكم والعامل(٥٣) .

لم يشغل العرب هـذا المنصب فى أول العهد الاسلامى ، اذ انهم اكتفـوا

---

(٤٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٨ .
(٤٩) المصـدر نفسه ج ١١ ص ٦١ : ٦٢ .
(٥٠) المصـدر نفسه ج ٣ ص ٤٩٥ .
(٥١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧٢ : ٧٣ .
(٥٢) صاحب الكورة ترجمة مضبوطة للكلمة اليونانية Pagarque بجاركوش التى كانت تطلق على حاكم الكورة فى العهد البيزنطى .
Cheira : le pagarque au l'Siecle P.h. d'apres les papyrus d'Aphrohito, PP. 105-106.
(٥٣) Maspero & Wiet : Materieux Pour servir à La géographie de l'Egypte, P. 60.

بشغل المناصب الرئيسية للاشراف على الادارة ، ليتفرغوا للشئون الحربية والدينية ، وتركوا حكم الكور لرجال الادارة القديمة من القبط والروم(٥٤) ، وتذكر أوراق البردى التى اكتشفت فى كوم أشقاو فى عهد الوالى قرة بن شريك ٩٠ هـ (٧٠٨ م) أسماء لحكام الكور ، وهى أسماء غير عربية(٥٥) ، وكان العرب يعملون من جانبهم على تشجيع رجال الادارة هؤلاء على تعلم العربية ، خاصة بعد أن بدأ تعريب الادارة فى مصر فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) أثناء ولاية عبد الله بن عبد الملك على مصر(٥٦) .

أدرك العرب منذ بداية الفتح الاسلامى أهمية الثغور المصرية فى الدفاع عن مصر سواء ضد النوبة المسيحية على الحدود الجنوبية(٥٧) أو ضد الدولة البيزنطية ، التى لم تأل جهدا فى مهاجمة الثغور الشمالية المرة تلو المرة ، راغبة فى استعادة مصر مرة أخرى ، ولذلك وضعوا فى هذه الناحية سياسة حكيمة ، استطاعوا عن طريقها الجمع بين الحكم العربى ، ورجال الادارة القديمة ، لضمان تأمين الثغور وحمايتها . فيذكر جاستون فيت(٥٩) : أن العرب أقاموا على الاسكندرية حاكمين ، أحدهما عربى مسلم يتولى الاشراف على الناحية العسكرية ، والثانى من أهل البلاد يتولى الادارة المدنية ويدلل على ذلك بتطابق تواريخ فترات الحكم بين حكام الاسكندرية المسلمين ، وحكامها من أهل البلاد ، فكان يتولى حكم الاسكندرية الى جانب وردان مولى عمرو بن العاص حاكم آخر يسمى Jean au menas وفى الفترة التى كان فيها عبد الرحمن بن معاوية حاكما للمدينة ، كان هناك حاكم آخر يسمى « ثيودور » .

---

(٥٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٠ .

(٥٥) ابراهيم العدوى : « ولاية قرة بن شريك فى ضوء أوراق البردى » ، مجلة كلية آداب القاهرة ، مجلد ١١ ، ص ٥٥ : ٥٧ .

(٥٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥٨ .

(٥٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٣ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٣٨ .

(٥٨) قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ، ص ٢٥٢ : ٢٥٣ .

(٥٩) Maspero & Wiet : Matérieux pour servir à La géographie de l'Egypte. P. 11.

ويبدو أن ما نفــذه العرب فى ثغر الاسكندرية قــد طبقوه على بقيـــة الثغور ، فحوادث الفتح العربى تثبت أن العرب قــد وضعوا فى الثغور حكاما منهم ، فقــد ولى على دمياط المقــداد بن الأسود ، بعــد أن تم له فتحها(٦٠) • كما أقام هلال بن أوس بثغر تنيس بعد أن تم للعرب فتحها(٦١) ، وأقام عبد الله بن سعد عقب الفتح مباشرة فى الصعيد الى أن استدعاه عمرو بن العاص منها(٦٢) ، ثم ولاه الخليفة عمر بن الخطاب على كل منطقة الصعيد طوال ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر(٦٣) ، ويبدو أن اقامته كانت فى أسوان لأهميتها •

لم تذكر المصادر ما يوضح كيفية تعيين ولاة الثغور المصرية فى العصر الأموى ، الا أنه من المرجح أنهم كانوا يعينون من قبل ولاة الفسطاط لمــا اتسمت به الادارة فى ذلك العهد بالمركزية الشديدة ، اذ لم يكن يسمح لحاكم الكورة بالتصرف دون الرجوع الى والى الفسطاط(٦٤) •

وفى العصر العباسى كان الخلفاء يعينون ولاة الثغور المصرية من قبــلهم مباشرة ويتجلى فى ذلك مدى اهتمام الخلفاء بهــذه الثغور ، فكان الخليفة يعين حاكم الاسكندرية من قبله مباشرة منذ بداية العصر العباسى حتى قــدوم أحمد بن طولون الى مصر فى سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) فيذكر المقريزى(٦٥) أن أحمد بن طولون تقلد فى أول الأمر حكم مصر دون الأعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ، ثم وصل اليه بعــد ذلك تقليد بولاية مصر وضمت اليه الاسكندرية ، ويذكر ساويرس(٦٦) ، أن هــذا الأمر بخلاف ما جرت به العادة ، فانه لم يكن بين والى الاسكندرية ، ووالى مصر معاملة ولا خطابات ، بل كانوا يتهادون الهدايا بينهم ،

(٦٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤ .
(٦١) الواقــدى : فتوح مصر والاسكندرية ، ص ١٤٧ : ١٤٨ .
(٦٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٦٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠ .
(٦٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٠ .
(٦٥) الخطط جـ ١ ص ٣١٤ .
(٦٦) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٥٩ .

وكانوا خاضعين لسلطان واحد ، كما ولى أسوان فى العصر العباسى ولاة من قبل الخلفاء مباشرة ويشير المقريزى(٦٧) الى ذلك بقوله : « كان ولاة أسوان من العراق » وقد كانوا يكاتبون الخلفاء مباشرة عند حدوث عدوان من جانب البجه على ثغر أسوان • ويذكر أبو المحاسن(٦٨) • أنه فى ولاية عيسى النوشرى على مصر ٢٩٣ هـ (٩٠٥ م) ولى الخليفة العباسى من قبله عليا بن حسان على أعمال الاسكندرية ومهاجر بن طليق على ثغر تنيس ودمياط ، ومحمد بن ربيعة على الصعيد وأسوان •

ولما أصبحت مصر مقرا للخلافة الفاطمية ، قسمت الى أربع ولايات هى ولاية قوص ، وولاية الشرقية ، وولاية الغربية ، وولاية الاسكندرية(٦٩) ، ومنح الفاطميون ولاة هذه الولايات الكبرى الحرية فى تعيين العمال على المدن والنواحى والقرى ، وأن تقوم كل ولاية بالأعمال التى تهمها دون الرجوع الى السلطة المركزية(٧٠) الا أن الفاطميين حرصوا على اسناد ولاية الثغور الى ولاة من قبلهم مباشرة ، وكانت السجلات تصدر لهم بذلك ، فكان والى الفرما يعين من قبل الخليفة(٧١) مباشرة وكذلك والى دمياط ووالى تنيس(٧٢) ، كما حرص الخلفاء على تولية أسوان ولاة من قبلهم(٧٣) ، وكان والى أسوان يعد بمثابة النائب لوالى قوص(٧٤) ، أما والى الاسكندرية فيعد من بين كبار الولاة وكان هؤلاء الولاة الكبار « يخلع عليهم من خزانة الكسوة بالبدنة ، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج »(٧٥) •

---

(٦٧) الخطط جـ ١ ص ١٩٥ .
(٦٨) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥ .
(٦٩) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٤٤ .
(٧٠) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : المعز لدين الله ، ص ١٦١ .
(٧١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١١ ص ٦١ .
(٧٢) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٣ .
(٧٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٥ .
Maspero & Wiet : Matériaux pour servir à la geographie de l'Egypte, P. 16.
(٧٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٠٠ .
(٧٥) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٩٨ .

وفيما يتعلق بعيذاب اختلف وضعها الادارى عن بقية الثغور ، اذ أنهـا كانت تخضع لادارة ثنائية فكان يليها وال من قبل الخليفة ، ووال آخر من قبل ملك البجة ، ويشترك الاثنان فى ادارة شئونها(٧٦) .

ولمـا ضعفت سلطة الخلفاء الفاطميين أصبح تعيين الولاة من قبل الوزراء ، فيذكر المقريزى(٧٧) : « أن الوزير طلائع بن رزيك كان يبيع ولايات الأعمال بأسعار مقررة ، وجعل مدة كل متول ستة أشهر فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البـلاد » .

وكان ضعف الخلفاء فى العصر الفاطمى الثانى سببا فى تزايد سلطة الولاة ، فكان الأوحـد بن تميم واليا على دمياط وتنيس ، فلما سمع بمقتل الخليفـة الفاطمى الظافر قصد القاهرة للثأر لدم الظافر ، ولكن طلائع بن رزيك سـبقه اليها ، ورده الى ولايته بدمياط ، وأضاف اليه الدقهلية(٧٨) .

أما القرى التابعة لبعض الثغور ، فكان حاكمها يسمى « المـازوت » فى أول العهد الاسلامية(٧٩) ، ثم عرف فى العهد الطولونى باسم العميد وهـو العمدة الحالى ، ومن المرجح أنه كان يختار من بين أهل القرية(٨٠) .

ولمـا كانت الثغور من المدن الهامة ، لذلك صار حكامها يختارون من ذوى الصفات الحسنة ، ويدلل الحسن بن عبد الله(٨١) على أهمية ذلك فيقول : « ولاية المدينة هى الرتبة الأولى من السياسة العظمى ، فيجب على والى المدينة أو صاحبها

---

(٧٦) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٣٤ : ١٣٥ ، ابن جبير : رحلتـه ص ٤٥ .
(٧٧) الخطط ج ٢ ص ٢٩٤ .
(٧٨) نقـولا يوسف : تاريخ دمياط ، ص ١٢٠ .
(٧٩) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٩ .
(٨٠) سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٧٩ : ١٨٠ .
(٨١) آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٣ .

أن يكون فيه من السياسة والحفظ والضبط وحسن التدبير ما هـو مذكور فى الآداب الملوكية » .

ويورد القلقشندى(٨٢) وصفا لمـا يجب أن يتصف به حاكم ثغر الاسكندرية فيقول : وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له الا كل كامل الأوصاف كافل بما تستدعيه مصلحة أهله من انصاف ، ذو عزم بمضى السهام مستودعة فى الكنائن ، ويقضى بالعـدل المزيل للشوائب والشوائن ، ومن له حزم يسد ثغر المعايب دون كل ملاحظ ومعاين وله سياسة تحفظ بمثلها الثغور ، وتصان الأمور ، وله بشاشة لا تستجلب النفور وتوفق ما بين الألسنة من أولى الود والصدور » ، ثم يورد القلقشندى(٨٣) سجلا بتعيين والى الفرما يتضح فيه ما يجب أن يتصف به واليها من الصفات ، ومن أهمها التقوى واتباع العـدل والحق والمساواة فى معـاملة الناس « وسسهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة ولسنة الجور مبدلة ، وماثل فى الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية فى الواجب لشريفهم على مشروفهم وانتصب للظلوم من المتعدى » ويطالب الوالى كذلك بمعاملة المستخدمين معـه معاملة حسنة ، واستشارتهم فى الأمور الهامة . وعندما كان يصـدر أمر الخليفة بتولية أحـد الأفراد ولاية ثغر من الثغور كان يكتب له تقليدا بالولاية من ديوان الانشاء يتضمن ذكر الصفات التى من أجلها اختير للولاية ، والى جانب عـدد من الأوامر التى تساق فى صورة نصائح يجب اتباعها وتنفيذها(٨٤) .

لم تتحـدث المصادر عن اختصاصات ولاة الثغور بصورة واضحة الا أنه من المرجح أنها كانت فى أول الفتح الاسلامى هى نفسها اختصاصات صاحب الكورة ، التى كانت تتمثل قبل كل شىء فى النيابة عن السلطة المركزية فى تقـدير الضرائب ، والعمل على جمعها وارسالها الى بيت المـال ، واقرار الأمن والنظام

---

(٨٢) صبح الاعشى جـ ١١ ص ٤٠٦ .

(٨٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١١ ص ٦٢ .

(٨٤) المصـدر نفسه جـ ١١ ص ٦٣ .

بالكورة(٨٥) ، ولما كانت الثغور ذات أهمية تميزها عن بقية مدن مصر فقد زادت اختصاصات ولاة الثغور عن الاختصاصات السابقة وكان أهم هذه الاختصاصات قيادة الجيوش القائمة بالثغور لصد عدوان المعتدين ، ولذلك كان ولاة الثغور فى معظمهم من القواد ورجال الحرب طوال العهد الاسلامى ، فكان المقداد بن الأسود قائد سرية فتح دمياط واليا عليها بعد فتحها(٨٦) ، واستخلف عمرو بن العاص عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى على الاسكندرية بعد الفتح الأول للمدينة(٨٧) ، ثم استخلف عليها بعد الفتح الثانى مولاه وردان(٨٨) ، وكان وردان من القواد الشجعان استشهد سنة ٥٣ هـ وهو يدافع عن منطقة البرلس ضد عدوان الروم(٨٩) ، وكانت ولاية الاسكندرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان للقائد علقمة بن يزيد الغطيفى(٩٠) ، وهو من أبطال معركة ذات الصوارى وينسب اليه انقاذ عبد الله بن سعد بن أبى سرح خلال تلك المعركة(٩١) ، ومن القوائد الذين تولوا الاسكندرية كثير بن أبى كثير فى ولاية عبد العزيز بن مروان لمصر فى عام ٥ هـ (٦٨٤ م)(٩٢) ، وكذلك وليها عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج فى ولاية عبد الله بن عبد الملك عام ٨٦ هـ (٧٠٥ م)(٩٣) وشغل بنو معاوية بن حديج ولاية ثغر الاسكندرية فترات طويلة خلال العصر الأموى والعباسى ، وهم من القوائد الشجعان(٩٤) .

---

(٨٥) Cheira : le Pagarque au l'siecle P.H. de' aprés les Papyras d'Aphrodito, P. 109-113.
مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مايو ١٩٤٣ .

(٨٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٤ .

(٨٧) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٨٨) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٦٢ .

(٨٩) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٨ .

(٩٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٩١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٠ .

(٩٢) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٠٧ .

(٩٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥٨ .

(٩٤) Maspero & Wiet : Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, P. 11.

ومن القواد الذين تولوا تنيس مزاحم بن مسلمة المرادى الذى استشهد وهـو يدافع عنها فى عام ١٠١ هـ (٧١٩ م)(٩٥) ، ولمـا اشتد عـدوان البجة على حـدود مصر الجنوبية وثغر أسوان ولى الخليفة العباسى المتوكل القائد محمد بن عبد الله القمى عـددا من بلدان الصعيد وثغر أسوان ، لمحاربة البجة ، وصـد عـدوانهم(٩٦) .

وعندما استعاد القائد عبد الله بن طاهر الاسكندرية للدولة العباسية من الأندلسيين عهد بولايتها لأحد قواده وهو الياس بن أسد بن سليمان(٩٧) .

ولمـا استعاد القائد محمد بن سليمان الكاتب مصر للخلافة العباسية ورد كتاب الخليفة العباسى المكتفى بتولية عـدد من القواد الثغور فقلد على بن حسان أعمال الاسكندرية ، ومهاجر بن طليق ثغر تنيس ودمياط ، ومحمد بن ربيعـة الصعيد وأسوان(٩٨) .

وكانت الدولة الفاطمية فى أول أمرها تختار ولاة الثغور من العناصر الموالية لهـا بهـدف تقوية السلطة المركزية بالثغور(٩٩) ، ويبدو أن معظم الولاة كانوا من المغـاربة فيذكر المقريزى(١٠٠) ، أن المغاربة وضعوا فى ولاية الولايات فى أول الأمر أما فى عصر نفوذ الوزراء فيبدو أن ولاة الثغور كانوا يعملون على تقـوية نفوذ هؤلاء الوزراء فيذكر المقريزى(١٠١) : أن والى الفرما كان أخا للوزير ضرغام ، وقـد خربها شاور بعـد خروج ملهم أخـو ضرغام منها .

---

(٩٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٧٠ .
(٩٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٧ .
(٩٧) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٧٥ .
(٩٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٥ .
(٩٩) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١١ ص ٦١ .
(١٠٠) اتعاظ الحنفا ، ص ٨٧ .
(١٠١) الخطط جـ ١ ص ص ٢١٢ .

وفى عيذاب كانت مهمة الدفاع من اختصاص الوالى المعين من قبل ملك البجة أما الوالى المعين من قبل السلطة المصرية فكان عليه القيام بجلب الأرزاق والمؤن الى عيذاب(١٠٢) .

لم يكن من اختصاص ولاة الثغور قيادة الأساطيل الموجودة بثغورهم ، فكان لكل أسطول قائد يدير أمر سلاحه وحربه ومقاتليه(١٠٣) .

ومن أهم الاختصاصات التى كان يعهد بها لولاة الثغور العمل على حفظ الأمن والنظام فى ثغورهم ، وخاصة أن الموانى كان يفـد اليها أعـداد كبيرة من الناس من خارج البلاد منهم الحجاج ، ومنهم التجار من مختلف الجنسيات ، فكان عليه أن يضرب بيـد من حـديد على كل من يجـده معتـديا ، فيذكر القلقشندى(١٠٤) ، ان والى الفرما كان من اختصاصة « الانتصاب لحفظ الطرقات ، وصون الصادرين والواردين فى جميع الأوقات ، والتنكيل بمن يظفر به من المعتدين ، وان يجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين » ؛ ولهـذا كان لكل حاكم شرطة يتخـذها لمعاونته فى القيام بعمله(١٠٥) .

وغالبا ما كان حكام الثغور يقيمون فى دور خاصة بهم سميت بدار الامارة ، فكان بالاسكندرية دار للامارة مقرها فى الحصن(١٠٦) ، كما يتضح من وصـف ابن بسام(١٠٧) مدينة تنيس بوجود دار للامارة بها حيث يقول : « بالربض الدائم بسور المدينة مما يلى الغرب ، الصناعة ودار الامارة » ، وفى حـديث

---

(١٠٢) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٣٤ : ١٤٥ .
(١٠٣) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ٢٣ : ٢٤ .
(١٠٤) صبح الأعشى ج ١١ ص ٦٢ .
(١٠٥) سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٠٣ .
(١٠٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٥ .
(١٠٧) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .

المقريزى(١٠٨) عن ثغر القلزم يتضح لنا أنه كان به دار لاقامة الحاكم ، وفى عيذاب كان واليها من قبل البجة يقيم فى الجبال حيث يقيمون ، أما والى السلطة المصرية فكان مقره بمدينة عيذاب(١٠٩) .

ولم تذكر المصادر معلومات كافية عن المرتبات التى كانت تعطى لولاة الثغور أو كيفية حصولهم عليها الا أن المقريزى(١١٠) يذكر أن الدولة الاسلامية من عهد عمر بن الخطاب وحتى الدولة الفاطمية تجبى أموال الخراج ثم توزع العطاء من الديوان على الأمراء أو العمال والأجناد بحسب مقاديرهم ، ومن المحتمل أن حكام الكورات كانوا يحصلون على رواتبهم من الأموال المقررة من الضرائب التى تجمع من الكورات وأن الأمر بالثغور كان يجرى على هذا المنوال(١١١) ، ويبدو أن حكام الثغور كانوا يحصلون على مرتبات مجزية فى العصر الفاطمى ، اذ ان الموظفين فى ذلك العهد كانوا يتقاضون الرواتب الكبيرة ، ويمنحون الهدايا الثمينة فى المواسم والأعياد وأصبحوا بفضل هذه الرواتب والمنح : فى رغد من العيش مما سهل عليهم القيام بواجباتهم على أحسن وجه ، فلم يألوا جهدا فى العمل على تقدم مرافق البلاد الاقتصادية ، ودفع غارات الأعداء عنها(١١٢) .

والى جانب الوالى كان بالثغور عدد من رجال الادارة ، يقومون بمعاونته نخص بالذكر منهم المحتسب وكان يعين من قبل محتسب العاصمة ، وهو بمثابة نائب له ، ويقوم بعمله ووظيفته ، وكانت الحسبة لا تسند الا لوجهاء المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية(١١٣) ، وكانت أعمال المحتسب متعددة ، فعليه أن يحافظ على الصحة العامة ، ويأمر البائعين بنظافة المأكولات ، والسقائين

---

(١٠٨) الخطط جـ ١ ص ٢١٣ .
(١٠٩) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٣٤ : ١٣٥ ، ابن جبير : رحلته ص ٤٥ .
(١١٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٥ .
(١١١) سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٨٠ .
(١١٢) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٦٤٥ .
(١١٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٦٣ .

بنغطية قرب المـــاء حتى لا تتلوث ، فضلا عن الاشراف على دار العيار والنظر فى المكاييل والموازين(١١٤) ومن أهم الاختصاصات التى كان يقوم بهـــا المحتسب فى الثغور مراقبة صناعة السفن « فيجب أن تكون ذات نسب صحيحة حتى تؤمن عند قوة الرياح والعواصف من الانقلاب والاضطراب »(١١٥) ، كما كان عليـــــه أن ينظر فى أمر السفن الراحلة فيذكر المقريزى(١١٦) أنه « يلزم رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة » ويبدو أن الغرض من ذلك المحافظة على أرواح الناس من غرق المراكب .

كما كان من حقه أن يمنع ربان السفينة من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها واذا كانت المراكب محملة بالنساء والرجال معا فمن حقـــه أن يحجب بينهمـــــا(١١٧) .

وكانت أحكام المحتسب نافـــذة ، ويلقى التأييد من جانب الولاة فى كل ما يحكم به(١١٨) وتعرف العقوبات التى يصـــدرها « بالتعزير » ، وهى تختلف على قـــدر الذنب وتشمل الردع والجلـــد ، والتشهير ، والتوبيخ ، والنفى ، والضرب(١١٩) .

كذلك اهتم الولاة فى مصر بوجود صاحب البريد فى كل اقليم أو عمـــــل لاخبارهم عن أحوال العمال بهـــا(١٢٠) ، وفى العصر الطولونى كان لعامل البريد فى العاصمة مساعدون يمثلونه فى مختلف كور مصر ، وكانت مهمة صاحب البريد

---

(١١٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٦٣ : ٤٦٤ .
(١١٥) ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ١٥٧ .
(١١٦) الخطط ج ١ ص ٤٦٣ .
(١١٧) ابن الاخوة : « معالم القربة فى أحكام الحسبة الباب الرابع والخمسون » ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ٦٧٩٠ ف .
(١١٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ ، المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٦٤ .
(١١٩) ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٢١٢ .
(١٢٠) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٠ .

أن يدرس عن كثب أحوال الاقاليم ثم يقـدم التقارير عن كل ما يجرى بها(١٢١) ، فيذكر الحسن بن عبد الله(١٢٢) أنه « ينبغى أن يكون صاحب الخبر له توصـل وتلطف من النساء والصبيان والغلمان والحراس وأصحاب الحرف والصنائع » .

واهتم الفاطميون بالبريد اهتماما كبيرا ، وصار أصحابه يعرفون فى أيامهم بأصحاب الأخبار ، وكانوا يوافونهم بكل ما يصل اليهم من الأحـداث ، وبذلك لم يعـد يخفى عليهم شىء من أمور دولتهم(١٢٣) .

ولـما كان الأعـداء يكثرون من التعـدى والاغارة على الثغور المصرية خلال العصر الاسلامى ، فقـد أصبح من الضرورى وجـود صاحب للبريد بكل ثغر لمعرفة « طرق الأعـداء وانسلال الجواسيس فى البر والبحر ، واليه ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الأطراف وهو يوصلها فى أسرع ما يمكن من اختصار الطريق واختيار المراكب والراكب »(١٢٤) ، ويذكر ابن الأثير(١٢٥) أن عامل البريد بمصر كتب للخليفة المتوكل عن عـدوان البجة على أسوان والعاملين بأرض المعدن كما يذكر المقريزى(١٢٦) أن النجابين(١٢٧) قـد وصلوا للعاصمة ليخبروا الوالي عن عـدوان تلدوين ملك بيت المقـدس الصليبى على الفرما .

وكان البريد ينقل من الثغور بطريقتين أولاهما باستعمال المراكب فيقـول الحسن بن عبد الله(١٢٨) : « واذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر

---

(١٢١) على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٩٨ .
(١٢٢) الحسن بن عبد الله : اثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ٨٩ .
(١٢٣) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٤٦ .
(١٢٤) الحسن بن عبد الله : اثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ٨٥ .
(١٢٥) الكامل جـ ٧ ص ٢١٢ .
(١٢٦) الخطط جـ ١ ص ٢١٢ .
(١٢٧) النجابون هم الذين يركبون النجب ، والنجب من الجمال وهى أسرع من الخيل واصبر على السير .
الحسن بن عبد الله : اثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ٨٨ .
(١٢٨) اثار الأول ، ص ٨٩ .

مراكب خفيفة سريعة » ، أو ينقل بالطرق البرية التى كانت تصل بين الثغور وغيرها من البلاد[١٢٩] ، وكان يضاف لاختصاصات صاحب البريد حفظ الطريق ، وصيانتها ، والاهتمام بمنازل للبريد فى الطريق[١٣٠] .

كذلك وجـد بالثغور عامل الجوازات ، ويقوم بفحص جوازات السفر التى يحملها المسافرون ، سواء منهم الخارجين من البلاد أو الواردين اليها ، بهـدف منع دخول الجواسيس ، أو تسرب أخبار البلاد الى الخارج للأعـداء[١٣١] .

وقـد عرفت مصر جـوازات السفر فى أوائل العهد الاسلامى ، اذ لم يكن مسموحا لأى شخص بالانتقال من مكان الى آخر بغير جـواز سفر ، واذا ضبط أحـد الأشخاص نازلا أو صاعدا الى مركب بدون جواز سفر اتخذت الاحتياطات السريعة لتفتيش المركب كما صـدرت الأوامر عام ١٠٠ هـ (٧٢٠ م) بالقبض على من ينتقل من مكان الى آخر بدون جـواز للسفر[١٣٢] .

اهتم الطولونيون بذلك النظام اهتماما كبيرا ، ويتضح ذلك مما حـدث عندما غضب موسى بن طولون من أخيه أحمد ، فذهب اليه حانقا وطلب منه جوازا للسفر حتى يترك الديار المصرية[١٣٣] ، كما أن الفاطميين كانوا يحرصون على تفتيش القادمين الى مصر عن طريق الثغور ، ويتجلى لنا ذلك مما تعرض له ابن جبير[١٣٤] ، وكان عمال الجوازات يقفون عند أبواب الثغور ولا يسمحون لأى شخص بالدخول أو بالخروج من الباب الا بعـد اظهار جواز سفره فيذكر ابن

---

(١٢٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٦ : ٥٩٧ .

(١٣٠) الحسن بن عبد الله : اثار الأول ، ص ٨٥ .

(١٣١) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢١٨ ، ابن جبير : رحلتـه ، ص ٣١ .

(١٣٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣١٢ .

(١٣٣) سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٢٠٨ .

(١٣٤) ابن جبير : رحلته ، ص ٧ : ٨ .

بسام(١٣٥) أن تنيس كان لهـــا ميناءان لكل ميناء باب مصفح بالحـــديد يمنـــع من يريد أن يدخل أو يخرج منه بغير اذن كما يذكر ابن بطوطة(١٣٦) عن دمياط انها « اذا دخلها أحـــد لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بطابع الوالى » •

ويتضح مما ذكره البلوى(١٣٧) عن جـــوازات السفر فى عهد الطولونيين ان الجـــواز كان يتضمن صفة الشخص ، وهيئته ، لئلا يشتبه به أو يتخـــذ لغير أهله ، كما يجب على صاحب الجـــواز ان يذكر من يصحبهم معه حتى ولو كانوا خـــدما لـــه ، فيذكر أن تاجرا اشترى من أحـــد اتباع ابن طولون غلاما ، وخرج به الى الشام ، لبيعه ، ولم يذكره فى جـــواز سفره فلمـــا وصل الى العريش ، لم يسمح موظف الجـــوازات بخروج الغلام فرجع التاجر والغلام الى ابن طولون الذى تحقق من مصـــدر الغلام ، فأمر للتاجر بجـــواز سفر يحل به الخادم ليسمح له بالخروج من مصر •

---

(١٣٥) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .
(١٣٦) رحلتـــه ، ص ١٧ .
(١٣٧) سيرة ابن طـــولون ، ص ٢١٦ : ٢١٨ .

٢ ــ الادارة المــالية

(أ) الموارد المــالية فى الثغــور :

عنى ولاة مصر بتنمية موارد بيت المــال ، وتنظيم مصارفه ، وكانت هــذه الموارد تأتى من الجزية ، والخراج ، وضرائب أخرى ، وقــد أسهمت ثغــور مصر وموانيها بنصيب كبير فى تنمية تلك الموارد ، وبخاصة المورد الأخير منها .

الجزية (الجــوالى) :

هى مبلغ معين من المــال ، يدفعه أهــل الذمة كما يدفع المسلمون الزكاة حتى يتعادل الفريقان فى المسئولية ، وهما رعية لدولة واحــدة ، كما تعادلا فى التمتع بالحقوق ، وتساويا فى الانتفاع بالمرافق العامة للدولة(١٣٨) ، ويقــول المــاوردى(١٣٩) : « فيجب على أولى الأمر أن يضعوا الجزية على رقاب من دخل الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها فى دار السلام ، ويلتزم لهم ببذلها حقا : أحدهما الكف عنهم ، والثانى الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين » .

فرضت الجزية على الذميين من أهل مصر بعــد الفتح العربى ، ولم يعف منها غير النساء والأطفال والرهبان والعبيد وذوى العاهات وكانت تدفع نقــدا ، ولم تكن تجبى بالتساوى ، فكانت تتناسب مع ثروة الشخص ، وجرت العادة فى جبايتها فى أول المحرم من كل عام(١٤٠) .

اقتصرت المصادر على ذكر القيمة الاجمالية التى كانت تجبى من مصر كلها لهــذه الضريبة ، وما جاء بها عن الثغور فى هــذه الناحية نادر جــدا ، حتى

---

(١٣٨) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٠٨ .
(١٣٩) الأحكام السلطانية ، ص ١٣٧ .
(١٤٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٠٥ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ .

أنه لا يمدنا بمعلومات نستطيع عن طريقها تقدير ما كان يجبى من الثغور لهذه الضريبة ، فيذكر المقريزى(١٤١) : أن عمرو بن العاص جبى من الاسكندرية جزية ستمائة ألف دينار ، لانه وجد فيها عند الفتح ثلاثمائة ألف من أهل الذمة ، على أننا نستطيع القول بأن الثغور الشمالية أسهمت بنصيب وافر فى هذه الضريبة ، ذلك أن القبط ظلوا يمثلون نسبة كبيرة من السكان فيها على الأقل خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الفتح(١٤٢) ، فمن الواضح أن العرب لم يجدوا فى تلك البلاد ما يرغبهم فى الهجرة اليها والاستقرار بها فى جموع كبيرة فى أول العهد الاسلامى ، ولعل ذلك راجع الى اشتغال معظم أهلها بالملاحة والصناعة ، وهى حرف تركها العرب لاربابها ، وبالتالى لم يجدوا ما يجذبهم للمعيشة فيها(١٤٣) ، على أننا نستطيع القول أن ثغر أسوان لم يسهم فى هذه الضريبة بنصيب كبير ، بسبب ما حدث من هجرة العرب الى أسوان فى أعداد كبيرة منذ بداية العهد الاسلامى ، واستقرارهم بها(١٤٤) ، مما نتج عنه انتشار الاسلام بها(١٤٥) .

الخراج :

مقدار معين من المال والمحصول يفرض على الأراضى التى فتحها المسلمون عنوة ، وأبقاها الخليفة فى أيدى أصحابها ووقفها على مصالح المسلمين ،

---

(١٤١) الخطط جـ ١ ص ٨١ .

(١٤٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ ، ياقوت معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٧ .

Maspero & Wiet : Materieux pour servir à la géographie de l'Egypte, P. 99.

(١٤٣) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٥٨ .

(١٤٤) دائرة المعارف الاسلامية : مادة أسوان .

(١٤٥) عثر فى أسوان على شاهد قبر يرجع الى سنة ٣١ هـ كما عثر على شواهد قبور أخرى مكتوب عليها الاسم وبعده كلمة الانصارى ، ومعنى ذلك أن أسوان سكنها قوم من العرب منذ القرن الأول الهجرى ممن عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم .

سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٩ ، ص ٨١ : ٨٢ .

كما يؤخـذ أيضا على الأراضى التى فتحها المسلمون صلحا ، وتركها فى أيدى أهلها(١٤٦) ويعرف المقريزى(١٤٧) الخراج فيقول : هــو ما يؤخـذ من الأراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة ، وما يؤخـذ من الفلاحين هـدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف » .

فرضت هـذه الضريبة على الأرض الزراعية فى مصر بقـدر ما يملك الفرد من الأرض والزرع(١٤٨) ، وروعى فيها فيضان النيل لارتباطـه بالزراعـة فى مصر(١٤٩) ، كما كان يراعى فى تقـدير الخراج كمية المحصول ، ومساحة الأرض ، وجودتها وأنواع الزروع ، وقربها من الأسواق ، أو بعـدها عنه لتأثير ذلك فى أسـعار المحصـول(١٥٠) .

لم تسهم ثغور مصر وموانيها الواقعة على ساحل بحر القلزم فى جباية هذا المورد ذلك لانها كانت مدنا قائمة بذاتها فى صحراء لا نبات فيها ولا ماء(١٥١) ؛ وانضمت تنيس لهـذه الموانى ، لكونها مدينة تقع على جزيرة فى وسط المـاء وليس بها أرض زراعية(١٥٢) ، على أن اسهام الثغور فى ذلك المورد أتى من أسوان ، ودمياط ، ورشيد والاسكندرية ، بسبب تبعية عـدد من القرى لكل ثغـر منهـا(١٥٣) .

وكما كان الحال بالنسبة لقيمة الجزية ، فهو كذلك بالنسبة لقيمة الخراج فالمصادر لا تمـدنا بمقـدارها بسبب خلطها بين الجزية والخراج على أن

---

(١٤٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١١٠ .
(١٤٧) الخطط جـ ١ ص ١٠٣ .
(١٤٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٣ .
(١٤٩) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٤٩ .
(١٥٠) المـاوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .
(١٥١) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩٦ ، ابن جبير : رحلته ، ص ٤٢ .
(١٥٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٧ : ٣٩ .
(١٥٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٢ : ٧٣ .

المقريزى(١٥٤) يذكر أن خراج الصعيد يستخرج عينا من الحبوب وبخاصة من الغلال ، وينطبق هـذا على ثغر أسوان ، أما أسفل الأرض فان الخراج كان يستخرج بفرض ثلاثة دنانير ونصف لكل فـدان ، وينطبق هـذا على الثغور الشمالية خلال العصر الفاطمى .

لم تختلف الثغور فى موقفها من الجزية والخراج عن بقية مدن مصر منذ أول العهد الاسلامى الا فى ثغر الاسكندرية فيقول ابن عبد الحكم(١٥٥) كانت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين ، دينارين على كل رجل لا يزاد على أحـد منهم جزية فى رأسه أكثر من دينارين ، الا أنه يلزم بقـدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع الا الاسكندرية ، فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قـدر ما يرى وليهم ، لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقـد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة ، والمقصود بالفتح عنوة فتح الاسكندرية الثانى الذى حـدث بعـد استعادة الرومان لهـا عام ٢٥ هـ(١٥٦) .

الضرائب الأخرى :

من الموارد الهامة لبيت المـال ، واطلقت عليها تسميات مختلفة فعرفت باسم الهلالى(١٥٧) ، لانها كانت تستأدى وفق الشهور الهلالية ، بعكس الخراج الذى كان يجبى وفق السنة الشمسية أو السنة القبطية ، كما عرفت أيضا باسم « المرافق والمعاون »(١٥٨) ، ثم عرفت فى العصر الفاطمى بكلمة « مكس » وجمعها « مكـوس »(١٥٩) .

---

(١٥٤) الخطط جـ ١ ص ١٠١ .
(١٥٥) فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٤ .
(١٥٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١١ .
(١٥٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٣ .
(١٥٨) المصـدر نفسه جـ ١ ص ١٠٣ .
(١٥٩) كلمة مكس كلمة قديمة مشتقة من اللفظ السريانى « ماكسو Makso » وهى تفيد معنيين ، الأول عندما اطلقت على الضرائب التى تجبى على التجـارة والصناعة وهـذه الكلمـة كانت معروفة للعرب منذ القـدم ، فكانت تطلق على الدراهم التى تؤخـذ من بائعى السلع فى الأسواق ، والمعنى الثانى تطلق فيـه =

أسهمت ثغور مصر وموانيها جميعا بالنصيب الأكبر فى هـذا المورد الذى كان يعـد من أهم الموارد لبيت المـال ، فكان يجبى بالثغور مكوس على التجارة الداخلية وعلى الصادرات والواردات فى التجارة الخارجية فضلا عما كان يجبى من مكوس على الصناعة ، ومصائد الأسماك والحجاج ويذكر المقريزى[١٦٠] هـذه المكوس فيقول « أول من أحـدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن محمد بن مدبر ، لمـا ولى خراج مصر بعـد سنة ٢٥٠ هـ » غير أنه يتضح مما ذكره ابن عبد الحكم[١٦١] أن المكوس عرفت فى مصر منذ أول العهد الاسلامى فيقـول : « دعا عمرو خالد بن ثابت الفهمى ليجعله على المكس فاستعفاه منه ، فكان شرحبيل بن حسنة على المكس » .

فرضت المكوس على التجارة الداخلية بالثغور ، وتثبت أوراق البردى وجود هـذه المكوس منذ أول الفتح الاسلامى[١٦٢] ، ويذكر المقـدسى[١٦٣] أن الحكومة كانت تعين المسئولين لجمع هـذه الضريبة فى المراكز التجارية الهامة كتنيس ودمياط والاسكندرية وغيرها من مدن الصعيد وكانت هـذه المكوس تفرض على البضائع المنقولة من ناحية الى أخرى برا ونهرا ، وقـد انشئت لجبايتها دور للمكوس فى أماكن مختلفة وخاصة على ضفاف الأنهار ، وكان يمد حبـل بين ضفتى النهر لمنع مرور السفن قبل أن تجبى منها الضريبة المقررة[١٦٤] .

كما فرضت المكوس على التجارة الخارجية التى تمر بالموانى والثغور المصرية

= الكلمة على الجهة التى تجبى فيها المكوس ، ومن امثلتها ذلك الموضع الذى عرف باسم المكس أو المقس وكانت فى الأصل قرية أم دنين وموضعها حـديقة الأزبكية الان ذلك انها كانت مكان صاحب المكس .
المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢١ - ١٢٣ .
سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام حاشية رقم ٣ ، ص ١٥٥ .

(١٦٠) الخطط جـ ١ ص ١٠٣ .
(١٦١) فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٥٢ .
(١٦٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٥٦ .
(١٦٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .
(١٦٤) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٥ .

سواء كانت هـذه التجارة صادرة منها أم واردة اليها(١٦٥) واختلفت القيمة التى كانت تجبى لهـذه المكوس من تاجر لآخر لاعتبارات دينية واقتصادية وسياسية كانت تراها الدولة فما كان يجبى من التاجر المسلم يختلف فى القيمة عما كان يجبى من التاجر الذمى ، وما كان يجبى من التاجر القادم من دار الحرب يختلف عما يجبى من التاجر القادم من دار الاسلام ، وما كان يجبى على السلع التى تحتاجها الدولة يختلف عما كان يجبى على السلع الأقل أهمية(١٦٦) ولذلك تعددت قيمة هـذه المكوس واختلفت وجبيت بنسب مختلفـة ، فكان منهـا العشر ، والخمس ، والمتجر •

كان العشر(١٦٧) يستأدى من قيمة التجارة التى يأتى بها التجار القادمون من دار الحرب الى دار الاسلام(١٦٨) ويرجع هـذا النظام الى عهد عمر بن الخطاب فقـد « كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر بن الخطاب ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخـذون منهم العشر ، فكتب اليه عمر رضى الله عنه فخـذ أنت منهم كما يأخـذون من تجار المسلمين ، وخـذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المـائتين شىء ، فـاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فمـا زاد فبحسابه »(١٦٩) •

---

(١٦٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٥٦ : ٥٧ .

(١٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٣ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢٢ .

(١٦٧) سمى القائم عليها بالعشار ، اى قابض العشر . المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢٢ .

(١٦٨) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٣ .

(١٦٩) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢٢ .

وكان الخمس « يستأدى من تجار الروم[١٧٠] الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه »[١٧١] ، ويذكر المقريزى[١٧٢] أن عمر بن عبد العزيز كتب لصاحب مكس مصر يأمره أن يأخـــذ من تجار أهل الذمة عن كل تجارة قيمتها عشرون دينارا ، دينارا واحـــد ، ومن تجار المسلمين عن كل تجارة قيمتها أربعون دينارا يأخـــذ دينارا •

وكان الخمس يجبى من التاجر مرة واحـــدة فى السنة حتى لو تكرر قـــدوم التاجر بعـــد رجـــوعه الى بلده عـــدة مرات خلال العام[١٧٣] ، ولعل السبب فى ذلك هـــو أن فقهاء المسلمين كانوا لا ينظرون الى هـــذه الضريبة بعين الرضا ، ومن هنا جاءت جبايتها مرة واحـــدة فى السنة ، ليقربوها الى الزكاة فتكون بذلك أكثر شرعية •

أما فيما يتعلق بالمتجر فقـــد اعتاد الفاطميون أن يبتاعوا بعض الســـلع الواردة مع التجار الأجانب الى مصر ، تكون الدولة فى حاجة اليها ، وكانت قيمة هـــذه البضائع تخصم من قيمة الرسوم المقررة على التاجر ، فان زادت قيمتها على الضريبة المطلوبة منه ، دفعت له الدولة الثلث ذهبا ، وباعته سلعا بحق الثلثين وغالبا ما كانت تعطيه الشب بحق الثلثين[١٧٤] ، وذلك لرغبة التجار

---

(١٧٠) استخدم العرب كلمة الروم بغير دقـــة ، اذ أنهم اطلقوها على التجـــار الأوربيين بوجـــه عام ، ففى أول العصر الاسلامى كانت تطلق على البيزنطيين وتجار البلاد التابعة لهم فى جنوب ايطاليا وظلت هـــذه الكلمة اصطلاحا متداولا حتى العصر الفاطمى فنجـــد أسماء أخرى للتجار مثل البيازنه والجنوية والأمالفيين وكذلك الفرنجة الذى أصبح أسمهم متداولا فى مصر وسوريا بسبب الحروب الصليبية •

Cahen : Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Egypte médiévale d'apres leminhadj dàl Makhzumi in Journal of the Economic and social History of the orient, Vol. VII, 1960, PP. 223-224.

(١٧١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٦ •

(١٧٢) الخطط جـ ٢ ص ١٢٢ •

(١٧٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٣ •

(١٧٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٧ •

الأجانب فى شراء الشب لأهميتها فى صناعة الصباغة ، وكانت الدولة الفاطمية تحتكر شراءها وبيعها ولا تسمح للأفراد بذلك(١٧٥) .

وأطلق على حساب الرسوم على التجارة بهـذه الطريقة اسم المتجر وهـو نظام مالى ابتداعه الفاطميون ، ولم يكن له شبيه فى بقية الدول الاسلامية الا ما وجـد فى اليمن فى عصر متأخر عن الفاطميين(١٧٦) ، استطاعت الدولة الفاطمية عن طريق هـذا النظام توفير سلع كانت الدولة فى أشـد الحاجة اليها للانشاءات الحربية والبحرية ، مثل الحـديد والخشب والقطران(١٧٧) .

كانت الدولة الفاطمية تجبى على السلع الداخلة فى نظام المتجر العشر أى ١٠٪ من ثمن تلك السلع ، واذا كان هناك فائض عن حاجة الدولة من هـذه السلع ، تسمح ببيعه فى التجارة الحرة أى للتجـار ، وفى هـذه الحالة كانت الرسوم التى تحصل عليها تبلغ ٣٠٪ من ثمن السلع(١٧٨) .

لم تقتصر المكوس المجباة على التجارة الخارجية على العشر والخمس والمتجر بل وجـدت كذلك أنواع عـديدة من الرسوم الاضافية التى كان التاجر يدفعها مقابل استخدام السماسرة والمترجمين ، والحمالين ، وفى عمليات شحن وتفريغ السفن وعمليات وزن البضاعة ، وحـق الرسو بالموانى(١٧٩) ، وكانت تلك الرسوم الاضافية من الكثرة لدرجة أنه كان يصعب التفريق بينها ولذلك كان التاجر يدفعها

---

(١٧٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨ : ٣٢٩ .

(١٧٦) Cahen : Dounes et commerce dans les ports Méditerranéens de l'Egypte medievale le Minhàdj d'al-Makhzumi "in Journal of the Economic and social History of the orient vol. VII. 1964, P. 261.

(١٧٧) Ibid : P. 258.

(١٧٨) Ibid : P. 261.

(١٧٩) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٦٩ .

مجموعة مجموعة ، أو يدفعها جملة(١٨٠) ، وأطلقت على هـذه الضرائب التى تدفع مقابل الخـدمات السابقة مسميات مختلفـة فكانت منها ضريبـة تعرف « بالسراح »(١٨١) ، وضريبة تعرف « بالطرح »(١٨٢) وكان التاجر لا يدفع هـذه الرسوم الا بعـد اتمام البيع والشراء لبضاعته(١٨٣) •

وكان من بين الضرائب التى تجبى فى الثغور فى أول العهد الاسلامى وأخذ العرب نظامها عن البيزنطيين ضريبة الطعام وضريبة الضيافة(١٨٤) • وتسمى ضريبة الطعام « بالطعمة » وأحيانا « بالأرزاق » ، وكانت ترسل الى الفسطاط حيث توضع بالمخازن الخاصة بها لصرف أرزاق جند المسلمين منها(١٨٥) ، وكان مقـدارها ثلاثة أرادب حنطة وقسطى زيت وقسطى عسل وقسطى خـل وكسوة(١٨٦) ، أما ضريبة الضيافة فكانت عبارة عن الزام أهل الذمة بضيافة من ينزل عليهم من جند المسلمين لمدة ثلاث ليال(١٨٧) •

---

(١٨٠) Gahen : Douanes et commerce dans les Ports Méditerranéens "in Journal of the Economic and social History of orient, vol. VII., 1964, PP. 242-250".

(١٨١) كانت السراح تؤخـذ لصالح السلطة العسكرية فى الثغر ، ولهـا تسميات أخرى مثل الولاية والضيافة ، والطعمه وكانت تبـلغ ١٪ دينـار للسفينة الصـغيرة . Ibid : P. 247-262.

(١٨٢) تؤخـذ ضريبة الطرح مقابل تنظيم « حلقة » "Galega" البيع للسلع ، وكانت دينارا للسفينة الكبيرة و ½ دينار للسفينة الصغيرة ، وكان المتحصل منهـا يوزع على العاملين فى الحلقة كالوزان ، والمنـادى والحراس ، وموظفى المخزن ، والصبيان ، وحارس المسجد ، والمشارف . Ibid : P. 242.

(١٨٣) Ibid. P. 250-255.

(١٨٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٥٧ .

(١٨٥) Cheira : le Pagarque au l'siecle P.H. dàprésles Papyrus d'Aphrodito, P. 111.

مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مايو ١٩٤٣ .

(١٨٦) تكونت الكسوة من جبة صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين . البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٥٢ .

(١٨٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٠٥ .

كما فرضت المكوس على الصناعة ، وخاصة صناعة النسيج التى بلغت حدا كبيرا من الازدهار فى الثغور الشمالية فى تنيس ودمياط وما تبعهما من جزر الى جانب ثغر الاسكندرية(١٨٨) .

كما فرض الفاطميون ضريبة على الحجاج المارين بالأراضى المصرية عبر الثغور ، وأطلقوا عليها « ميرة مكة والمدينة » ، وبلغت هذه الضريبة سبعة دنانير ونصف ، وأحيانا وصلت لثمانية دنانير(١٨٩) كذلك كانت هناك مكوس تجبى بالثغور على المصايد ، أقرها أحمد بن المدبر حين كان عاملا على الخراج فى مصر(١٩٠) ، وقد بلغت ضريبة المصايد فى العصر الفاطمى فى تنيس خمسين ألف دينار فى العام(١٩١) ، ويذكر المقريزى(١٩٢) أن الرسوم المجباة على البورى بلغت مائة دينار .

تعد موانى مصر الواقعة على بحر الروم مراكز هامة لجباية المكوس ، فكانت الفرما مركزا لتلك الجباية من التجار الواردين اليها سواء بطريق البر أو البحر(١٩٣) ، ويزيد من أهميتها فى تلك الناحية أنها كانت محطة هامة فى طريق تجار اليهود الرزانية الذين كانوا يمرون بها فى طريقهم الى الشرق ، ثم فى طريق عودتهم الى الغرب(١٩٤) ، ومما يوضح أهمية موقع الفرما كمركز من مراكز جباية المكوس أنها عندما بدأت فى الاندثار فى أواخر العهد الفاطمى حلت محلها قطيا فى جباية الرسوم الجمركية من التجار الواردين اليها فى البر من العراق

---

(١٨٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٨ .
(١٨٩) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٣٥ ، ابن جبير : رحلته ، ص ٢٥ : ٢٦ .
(١٩٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٧ .
(١٩١) ابن بسام : « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٧ .
(١٩٢) الخطط ج ١ ص ١٠٤ .
(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٩ .
(١٩٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .

والشام(١٩٥) على حين كانت الطينة تستقبل التجار القادمين بطريق البحر(١٩٦) ، ويصف القلقشندى(١٩٧) قطيا بأنها « أكثر الجهات متحصلا » .

كذلك قامت تنيس ودمياط والاسكندرية بدور كبير فى جبـــاية المكوس التجارية من التجار القادمين من بحر الروم(١٩٨) ، فبلغ خراج تنيس فى عهد أحمد ابن طولون خمسمائة ألف دينار(١٩٩) ، كما يذكر ناصر خسرو(٢٠٠) أنه يصل لخزانة السلطان فى العهد الفاطمى يوميا من تنيس ألف دينار ، فاذا كان هـذا هـو الحال فى تنيس فلابد أن متحصلات دمياط كانت تزيد على ذلك ، اذا تذكرنا وصف المقـدسى(٢٠١) لهـا بأنها أوسع وأكبر من تنيس ، أما الاسكندرية فبلغ متحصل الخمس منها فى عام ٥٨٧ هـ ٢٨/٦١٣(٢٠٢) دينار ، ويمكن اعتبار هـذا الرقم يمثل أواخر عهد الفاطميين ، ويذكر أبو صالح الأرمنى(٢٠٣) أن الخراج المجبى فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر من الاسكندرية ودمياط وتنيس وقفط ونقـادة وبركة الجبش مقـداره ٦٠ ألف دينار ، ومن المرجح أن معظم هـذا الرقم يأتى من الثغور الثلاثة باعتبار أن المراكز الأخرى لاتدانيها فى الأهمية فى جبـاية الرسـوم .

ونستطيع أن نقف على مقـدار ما بلغته الرسوم فى الثغور الثلاثة دمياط وتنيس والاسكندرية فى العهد الفاطمى اذا أضفنا للرسوم السابقة ما كان يخصم للمتجر بكل منها هـذا فضلا عما كان يخصم من تلك الرسوم تنفيذا للاتفاقيات

---

(١٩٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٩ ، ابن بطوطة : رحلتـه ، ص ٣١ .
(١٩٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٨ .
(١٩٧) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٩ .
(١٩٨) ابن مماتى : قوانين الدولة ، ص ٣٢٧ .
(١٩٩) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٣ .
(٢٠٠) سفر نامة ، ص ٤٠ .
(٢٠١) المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(٢٠٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٩ .
(٢٠٣) تاريخـه ، ص ٦٥ .

التى كانت تبرمها الدولة مع التجار والتى بمقتضاها كانت تخفض لهم الرسوم(٢٠٤) .

ولم تكن موانى بحر القلزم أقل أهمية فى جباية الرسوم الجمركية من موانى بحر الروم ، فكانت القلزم مركزا هاما من مراكز الجباية منذ بداية العهد الاسلامى ، اذ أن السلع كانت تنقل عن طريقها من الدول الأوروبية الى الشرق ، ومن أقطار الشرق الاسلامى الى أوربا(٢٠٥) ، ولكن تحول تلك التجارة الى عيذاب وموانى النيل الأوسط أضعف من أهميتها ، مما أدى الى قلة الرسوم التى صارت تجبى بها(٢٠٦) .

وأصبحت عيذاب فى العصر الفاطمى أهم مراكز جباية المكوس على بحر القلزم ، فيذكر القلقشندى(٢٠٧) أنها « أكثر السواحل واصلا ، لرغبة رؤساء المراكب التعدية من جدة اليه » ، كما كانت تحصل بها المكوس على المراكب الواصلة من اليمن والحبشة وزنجبار والهند(٢٠٨) ، وهذا فضلا عما كان يجبى بها من ضريبة من الحجاج المارين بالديار المصرية عن طريقها الى جدة(٢٠٩) .

وكانت القصير تعد من مراكز جباية المكوس ، لوصول المراكب اليها لقربها من قوص ، وبعد عيذاب عنها ، وان لم يبلغ الواصل اليها حد عيذاب(٢١٠) .

---

(٢٠٤) Heyd ' Hist du Commerce de levant au Moyen Age, Tom I. PP. 391-394-396.

(٢٠٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٢٤٥ .

(٢٠٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، ص ٣٤٧ .

(٢٠٧) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ .

(٢٠٨) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧٢ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢٠٩) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٣٥ ، ابن جبير : رحلته ، ص ٤٤ .

(٢١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٩ .

أما أسوان فلا تقل شأنا عن غيرها من الثغور فى جباية المكوس فكانت السوق التجارية لتجارة النوبة والسودان منذ القدم ، وظلت كذلك فى العهد الاسلامى(٢١١) ، فبلغ ايرادها فى عام ٥٨٥ هـ عشرين ألف دينار(٢١٢) .

وقد ساعدت تلك الرسوم المجباة من الثغور على رخاء الدولة وزيادة مواردها ، منذ بداية العهد الاسلامى ، ويتضح لنا ذلك فى العهد الأموى عندما أرسل الوالى قرة بن شريك الى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبره أن خزانته لم تعد تتسع لقبول موارد جديدة ، ويطلب منه أن يدله عما يفعل ، فجاء الرد بأن ينفق الفائض فى بناء المساجد(٢١٣) .

كما تدفقت الأموال فى العصر الطولونى على خزانة الدولة بصورة لم تشهدها مصر من قبل(٢١٤) ، فحصل الطولونيون من رسوم التجارة فى عام ٢٩٦ هـ على مبلغ مليونى دينار(٢١٥) .

أما فى العصر الفاطمى فبلغت تلك المكوس سواء منها التجارية أو الصناعية مبلغا كبيرا ، وكانت من أهم موارد بيت المال(٢١٦) ، فيذكر ابن ظهيرة(٢١٧) أنه « قد تحصل فى يوم واحد من مال تنيس ، ودمياط ، والأشمونين أكثر من مائتى ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، وهذا ما لم يسمع بمثله قط » كما تحصل من ايراد الاسكندرية ورشيد وأسوان ١٣٨ر٨٢٧ ألف دينار(٢١٨) ، وليس أدل على كثرة ما كان يجبى من المكوس فى العهد الفاطمى من أن صلاح الدين

---

(٢١١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٢١٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٨ .
(٢١٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٢٦ .
(٢١٤) حسن محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى ، ص ٢٥٤ .
(٢١٥) عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٦٩ .
(٢١٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٦٧ .
(٢١٧) الفضائل الباهرة ، ص ١٢٨ .
(٢١٨) عمر طوسون : مالية مصر ، ص ٥٩ .

عندما استولى على حكم مصر ، ألغاها فى عام ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) رغبة فى نشر العدل ، وقد أورد المقريزى(٢١٩) بيانا بتلك المكوس الملغاة ، نستطيع أن نعرف منه مدى كثرتها ، وأنواعها فى الثغور خلال العهد الفاطمى ، فكان منها مكس البهار وعمالته ٣٣٫٣٦٤ دينار ، ومكس البضائع والقوافل وعمالته ٩٣٥٠ دينار ، ورسوم على الخشب الطويل والملح ٦٧٦ دينار ، ورسوم البورى ١٠٠ دينار ، وسمسرة التمر ٣٠٠ دينار ، وكانت هناك رسوم خاصة بالتفتيش على الصناعة والبهار وغيره وصلت الى ٢١٧ دينار ، ورسوم ما ورد من الكتان للصناعة ٢٠٠ دينار ، ومكس الورق المجلوب للصناعة ، ورسم التفتيش ٢٠٠ دينار ، وخاتم الشرب الدبيقى ١٥٠٠ دينار .

أما عن أسلوب الجباية فلم يشتط الولاة فى جمع الخراج والجزية الا فى أحوال نادرة من بداية العهد الاسلامى حتى أواخر عهد الدولة الأموية ، وفى الأحوال التى كان يشتط فيها الولاة فى جمع الخراج والجزية نجد لذلك صدى كبيرا فى الثغور ، وخاصة فى الثغور الشمالية لان نسبة القبط من السكان كانت كبيرة بها خلال القرون الثلاثة الأولى(٢٢٠) ، فلما اشتد عبد الله بن سعد فى جمع الضرائب أثناء ولايته على مصر قامت ثورة الاسكندرية واستطاع الروم استردادها مرة أخرى فى سنة ٢٥ هـ ، واتضح بعد ذلك أن اشتداد عبد الله فى جمع الضرائب كان من أهم أسباب تلك الثورة(٢٢١) ، ولما تعسف الولاة فى جمع الخراج فى أواخر العهد الأموى عمت الثورة منطقة رشيد واستمرت تلك الثورة قائمة حتى دخول العباسيين مصر(٢٢٢) .

وكان أهالى بعض الثغور يعانون من وطأة الضرائب ، وكثرة الرسوم فقد شكى أهل تنيس الى البطريق ديونيسيوس وكان بمصر زائرا حوالى عام ٢٠٠ هـ

---

(٢١٩) الخطط جـ ١ ص ١٠٤ : ١٠٥ .
(٢٢٠) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٥٨ .
(٢٢١) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٥٣ : ٢٦٠ .
(٢٢٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٤٥ .

(٨١٥ م) من كثرة الضرائب والرسوم المفروضة على صناعة المنسوجات(٢٢٣) ، وبالرغم من أن أحمد بن طولون الغى المكوس التى فرضها أحمد بن المدبر الا أن الفاطميين أعادوها وبالغوا فى فرضها ، واشتدوا فى جمعها وقد عمل صلاح الدين على اسقاطها بعد زوال الخلافة الفاطمية(٢٢٤) .

وكانت الضرائب المفروضة على صناعة النسيج ثقيلة ومتنوعة ، وكانت هذه الصناعة تخضع لرقابة دقيقة من الدولة فى كل مرحلة من مراحلها لضمان وصول الضرائب المفروضة الى الدولة ، ويذكر المقدسى(٢٢٥) أنه رأى ضرائبيا بتنيس بلغ مقدار جبايته ألف دينار فى اليوم .

وكان الأسلوب المتبع فى جباية المكوس من الحجاج المارين بمصر غاية فى الشدة ، ويتجلى لنا ذلك فيما ذكره ابن جبير(٢٢٦) عن معاناة الحجاج فى الاسكندرية وعيذاب من كثرة التفتيش ، وسوء المعاملة ، والقسوة فى جمع الضريبة المفروضة عليهم فيقول : « ومن يعجز عن ذلك فيتناول بأليم العذاب « بعيذاب » ، ويبدو أن هذا التنكيل كان يستمر حتى بعد وصول الحجاج الى جدة ، لمن يصل اسمه وليس أمامه علامة تفيد أداءه للمكس المطلوب .

أما فيما يتعلق بالأسلوب المتبع فى جباية الضرائب على التجارة الخارجية عند وصول احدى السفن الى موانى بحر القلزم فكان على التاجر القادم من الشرق أن ينزل ببضاعته الى مقر المكس الذى كان يشرف عليه مقرر المكس بالميناء ويعاونه عدد من الموظفين يقومون بتسجيل ما معه من بضائع ثم يقدرون المكوس فيدفعها التاجر(٢٢٧) .

---

(٢٢٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٧٦ ، ٢٠٨ .
(٢٢٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٣ : ١٠٤ .
(٢٢٥) احسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .
(٢٢٦) رحلته ، ص ٢٥ .
(٢٢٧) Goiten : From the mediterranean to India P. 189.

ويبدو أن نظـام جباية المكوس فى الموانى الواقعة على بحر الروم كان أكثر دقة ، وأكثر شدة ، فعندما يصل مركب الى الميناء يصعد اليها الموظفون الذين أطلق عليهم ابن جبير الأمناء(٢٢٨) ، فيسجلون جميع السلع الموجودة بها ، ثم يأتون بالركاب واحـدا ، واحـدا ، وتكتب أسماؤهم وصفاتهم ، وجنسياتهم ، وما لدى كل واحـد منهم من سلع ، ولا يكتفون بذلك بل كانوا يتخيرون أحـد الركاب ليسألوه عن الركاب الذين معه ، والسلع الموجودة بالمركب ، وكان يمر بعـدد من الموظفين يسألونه ويقيدون أقواله ثم يأمر الركاب بتنزيل سلعهم ، وعلى الساحل كان هناك الأعوان المتوكلون بهم ، فيحملون ما أنزلوه من سـلع الى مقر الديوان وهناك تفتش السلع تفتيشا دقيقا لكل ما دق وجل ، حتى تختلط السلع بعضها ببعض ، بسبب اختلاط الأيدى ، وكثرة الزحام ، ثم يستحلفونهم عما معهم ويطلقونهم بعـد موقف من الخزى عظيم ، تلك صورة أوردها ابن جبير لأسلوب التفتيش لسلع المسلمين سواء الحجاج منهم أم التجار الذين يدفعون الزكاة عمـا معهم(٢٢٩) .

وكان ما يحـدث لتجار المسلمين يحـدث مثله لتجار الروم ، فما ان تصل سفنهم التى كانت تأتى غالبا كقافلة حتى يسجل المستخدمون أسماء التجار وجنسياتهم ، وجنسية قبطان السفينة ، ونوع السلع وكميتها ، ثم تفرغ البضائع لتوضع فى مخازن الديوان(٢٣٠) ، وهنا تبدأ مهمة المترجمين والسماسرة الذين يقابلون التجار لتعريفهم بسعر السوق للسلع(٢٣١) ، ثم تنظم عملية البيع التى

---

(٢٢٨) رحلتـه ، ص ٧ .

(٢٢٩) المصـدر نفسه ، ص ٧ : ٨ .

(٢٣٠) Cahen : Douanes et commerce dans les ports Méditerranéens de l'Egypte médiévale d'apres le Minhadj éàl Makzumi "in Journal of Economic and Social History of the orient, Vol. VII, 1964. P. 223.

(٢٣١) Ibid, p. 239

كان يطلق عليها الحلقة galega وفيها كان يعمل عـدد كبير من المستخدمين والعمـال(٢٣٢) ، وما ان يتم البيع حتى يبدأ الجهبز فى حساب الرسوم المفروضة وتخصم من ثمن السلع فى حالة شراء الدولة لهـذه السلع للمتجر أو يدفعهـا التاجر فى حالة بيع السلع للتجار(٢٣٣) ، وكانت تلك الرسوم تدفع على السلع التى يتم بيعها فعلا ، أما فى حالة رجوع تلك السلع وعـدم بيعها فلم يكن يدفع لهـا رسوم ، على أن الدولة لم تكن تسمح بارجاع السلع المطلوبة للمتجر(٢٣٤) ، وبعـد اتمام البيع وتسلم النقود يكتب الجهبز اقرارات للتجار باستلامه الضرائب المطلوبة منهم ، كما يكتب التجار اقرارات باستلام أموالهم ، وكان لكل سـفينة حساباتها التى تنتج من مجموعة العمليات التجارية التى تأتى من مجموعة حسابات كل سلعة من السلع الموجودة عليها(٢٣٥) .

الدواوين المـالية :

لم يكن بالثغور فى بداية العهد الاسلامى دواوين للقيام بالأعمال المـالية بها ، وانما قام بعملها أفراد كانوا بمثابة النواب للدواوين المـالية فى العاصمة ، فقـد احتفظ العرب فى أول الأمر بالنظام المـالى البيزنطى القائم قبل الفتح العربى(٢٣٦) ، فكان لمصر ديوان يشرف على ماليتها أسماه العرب ديوان الخراج والأموال(٢٣٧) ، وكان لهـذا الديوان فروع فى الاقاليم يشرف على كل منها موظف يسمى الجسطال(٢٣٨) ، ويبدو أن مركز هـذا الموظف كان هاما حتى أنه كان يعـد الحاكم المدنى للمدينة(٢٣٩) ، وكانت الضرائب النقـدية التى تجمع من

---

(٢٣٢) Ibid ; P. 242.
(٢٣٣) Ibid ; P. 254.
(٢٣٤) Ibid ; P. 240.
(٢٣٥) Ibid ; P. 253.
(٢٣٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٢٣٧) المقريزى : الخطط جـ ٦ ص ٩٨ .
(٢٣٨) الجسطال كلمة بمعنى الموظف المشرف على المـالية .
سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٩ ، ٦٤ .
(٢٣٩) Maspero & Wiet : Materieux pour servir à la géographie de l'Egypte, P. 11.

الجزية والخراج ترسل الى هـذا الموظف الذى يرسلها بدوره الى الديوان بالعاصمة(٢٤٠) ، أما المكوس فكان لها فى العاصمة ادارة خاصة يشرف عليها موظف يسمى صاحب المكس(٢٤١) ، وكانت مراصد المكوس منتشرة فى كل مكان(٢٤٢) ، وكان يقوم بالعمل فى تلك المراصد فى الثغور فرد واحـد أطلق عليه المقـدسى اسم « ضرائبى »(٢٤٣) .

ومع ازدياد العلاقات التجارية بين مصر وغيرها من الدول وازدهار الحركة التجارية بالثغور ، وكثرة الوارد والصادر اليها ، وما تبـع ذلك من تعقيد فى حساب المكوس المقررة على السلع ، أصبح من المحتم وجود دواوين بالثغور للقيام بتلك الأعمال المالية ، وبالرغم من أن المصادر لم تعطنا معلومات كافية عن هـذه الدواوين ، لا أننا نجـد كثرة تداول هـذه الكلمة منذ العصر الفاطمى فيذكر ابن بسام(٢٤٤) ، ان تنيس كان بها ديوان كبير يشتمل على عـدة دواوين ويبدو أن هـذه الدواوين ما هى الا فروع أو ادارات تختص كل منها بمكس سلعة من السلع ، فمثلا كان أحـدها خاص بمكس السمك الذى بلغ دخله خمسين ألف دينار فى العام ، كما يذكر أبو صالح الأرمنى(٢٤٥) « ان القس أبا المعـالى كان كاتبا فى ديوان ثغر الاسكندرية ، ويأتى ذكر لديوان الاسكندرية عنـد ابن جبير(٢٤٦) فى حـديثه عن نظام التفتيش وجباية المكوس بهـذا الثغر ، كمـا يذكر ابن بطوطه(٢٤٧) أن « قطيا » كان بها الدواوين والعمال ، والكتاب والشهود .

---

(٢٤٠) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٦٤ .

(٢٤١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٥٢ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٢٢ .

(٢٤٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ١٩٧ .

(٢٤٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .

(٢٤٤) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ : ١٧٨ .

(٢٤٥) تاريخـه ، ص ١٤١ .

(٢٤٦) رحلتـه ، ص ٨ .

(٢٤٧) رحلتـه ، ص ٣١ .

وقد أفرد الفاطميون للثغور ديوانا للنظر فى شئونها المالية غير ديوان الصعيد وأسفل الأرض ويصف القلقشندى[٢٤٨] العمل به فيقول : فيه عدة كتاب فروع ، والاستيفاء مقسوم بينهم ، وعليهم عمل التذاكر بطلب ما تأخر من الحساب ، وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه ، ويحملها الى صاحب الديوان الكبير ، فيوقع عليها بالاسترفاع ، ويندب لها من الحجاب أو غيرهم من يراه وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقائه عندهم ويحضرها نسخا للدواوين الأصول » •

كان بكل ديوان من الدواوين المالية عدد من المستخدمين لمباشرة الخدمة به ، وكان منهم :

النـاظر :

ويعد بمثابة رئيس الديوان وليس لأحد المستخدمين فى الديوان الانفراد بعمل دون علمه ، ويحرر بامضائه على كل ما يخرج من الديوان من حساب أو وصولات وهو مسئول عما يحدث فى ديوانه من خلل[٢٤٩] •

متولى الديوان :

ويضبط بخطه أصل المعاملات الجارية بالديوان[٢٥٠] •

المستوفى :

كاتب الأموال بالديوان ، ومهمته ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحة من استخراج الأموال[٢٥١] وعليه رفع الحساب فى أوقاته ، ويقابل كل

---

(٢٤٨) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٩٥ •
(٢٤٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٩٨ •
(٢٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ •
(٢٥١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٦٦ •

ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ويخرج ما يجب تخريجه ، وعليه عمـــل المطالبـــات(٢٥٢) .

المعـــين :

وهو كاتب وعمله مساعدة المستوفى فى الأعمال المذكورة(٢٥٣) .

الناســـخ :

وعمله نسخ التوقيعات ، والمكاتبات الصادرة والواردة(٢٥٤) .

المشـــارف :

عمله مثل عمل الناظر ، ويزيد عمله ان تكون أموال الديوان المستخرجة فى حوزته ، ومودعه عنده بعـد الختم عليها(٢٥٥) .

العـــامل :

وهـو الأصل فى الخـدمة ، وكل من الناظر والمشارف انما هـو لضبطه والشد منه ، وعليه عمل الحسابات ، ورفعها ، والموافقة على ما يرفعه غيره من معـــاملة(٢٥٦) .

الكـــاتب :

ويقوم بعمل العامل فى كل ما يتعلق بالمعاملات ، اذا لم يكن العـــامل موجـــودا(٢٥٧) .

---

(٢٥٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠١ .
(٢٥٣) المصـدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(٢٥٤) المصـدر نفسه ، ص ٣٠٢ .
(٢٥٥) المصـدر نفسه ، ص ٣٠٢ .
(٢٥٦) المصـدر نفسه ، ص ٣٠٣ .
(٢٥٧) المصـدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

الجهـــبز :

عليه كتابة رسم استخراج المـــال ، وقبضه ، وكتابة الوصولات به(٢٥٨) وتسلم الاقرارات من التجار الأجانب بتسلمهم أموالهم(٢٥٩) .

الشـــاهد :

من اختصاصاته ضبط كل شيء ممـــا هـــو شاهد فيه ، وأن يكتب الحساب الموافـــق لتطبيقـــه(٢٦٠) .

النـــايب :

وهو كاتب يكون نائبا عن الديوان مع المستخدمين وليس عليه رفع حسابات ، ولا كتـــابة عليـــه(٢٦١) .

الأمـــين :

يقوم أحيانا بعمل الشاهد ، وأحيانا بعمل النايب(٢٦٢) .

والى جانب هؤلاء المستخدمين كان يوجـــد عـــدد كبير من العاملين بالديوان ممن تتصل أعمالهم بخـــدمة التجار الوافـــدين الى الثغور ، وكانت أجـــورهم تضاف على الرسوم المقررة ، فكان منهم عـــدد كبير من العمال لشحن السفن وتفريغها ، والسماسرة والمترجمين ، الى جانب الوزان الذى يقوم بوزن البضائع ،

---

(٢٥٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٤ .

(٢٥٩) Càhen : Douanes et commerce dans les ports de l'Egypte médievale d'aprés le Minhàdj d'al. Makhzumi in Journal of the Economic and social History of the orient, vol. VII (1964) PP. 249-253.

(٢٦٠) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٤ .

(٢٦١) المصـــدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

(٢٦٢) المصـــدر نفسه ، ص ٣٠٥ .

والمنادى الذى يعلن عن أنواع البضائع ، والبراح الذى يعلن عن أسعارها ، والحراس ، ورجال المخازن وحاملى الأختام(٢٦٣) .

دور الضرب والنظام النقدى بالثغور :

اهتمت الدولة الاسلامية فى مصر باقامة دور لضرب السكة(٢٦٤) ، فى عدد من المدن المصرية ، ووجد فى الثغور من هذه الدور دار فى الاسكندرية ، ودار فى تنيس وأخرى فى أبوان(٢٦٥) ، وكانت دور الضرب تؤدى خدمات جليلة للدولة ، فهى تضرب الكميات اللازمة من السكة الجارية فى التعامل واللازمة لتنشيط التجارة ، وهى التى تزيد فى انتاجها أو تقلل منه حسب حاجة السوق المحلية ، بل كانت تتدخل اذا دعت الضرورة لتثبيت الأسعار الخاصة بالسكة خوفا من تفاقم الأزمات المالية(٢٦٦) ، وفضلا عن ذلك كانت دور الضرب موردا هاما من موارد بيت المال لانها كانت تقوم بسك ما يقدمه الأفراد اليها من سبائك طبقا للوزن المعدنى المقرر قانونا نظير رسوم تأخذها على ذلك(٢٦٧) .

ومما يجدر ذكره أن البلاد التى كانت تتخذ بها دور الضرب وسك النقود تمثل حواضر الاقاليم التى يقيم بها أمراء الولايات حيث تكون الدواوين ومقر الحكومة الاقليمية(٢٦٨) .

---

(٢٦٣) Ibid : P. 238-263-242.

(٢٦٤) السكة لفظة كانت اسما للطابع أى للحديدة المتخذة لذلك ، ثم صارت تطلق على أثرها وهى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، وهى علامة السلطان ثم صارت تطلق اخيرا على القيام على ذلك وهى الوظيفة . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٧ .

(٢٦٥) كشف الأسرار العلمية لدار الضرب المصرية ، ص ٢٩ ، عبد المنعم ماجد نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ١٢٦ .

(٢٦٦) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٦٤ .

(٢٦٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٢ : ٣٣٣ .

(٢٦٨) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٩١ .

لم تذكر المصادر معلومات كافية عن دور الضرب التى وجـــدت بالفرما وتنيس ، وأبوان ، فى حين أن المعلومات عن دار الضرب بالاسكندرية كثيرة ، مما يدل على أن الدور الثلاث السابقة كانت أقـــل أهمية وتوقف العمل بها بعـــد فترات قصيرة من انشائها ، فقـــد ظهر من انتاج الفرما سكة ترجع الى سنة ١٤٧ هـ مما يقوم دليلا على أنها كانت دارا للسك فى العصر العباسى الا أن هـــذا الانتاج لم يستمر الى مابعـــد عهد الخليفة العباسى المـــأمون أما دار الضرب فى أبوان فلم تكن من الدور الرسمية ، مما يحتمل معه أن بعض الثوار انتزع حـــق ضرب السكة لفترة معينة بها ، ولم يستند فى ذلك الى حقوق شرعية من الولاة أو الخلفاء العباسيين ، ولذلك لم يصل الينا من سكتها أعـــداد كبيرة(٢٦٩) ، ولم تذكر المصادر ما يفيد عن تاريخ قيام دار الضرب بتنيس ، ولكن يبدو أنها وجـــدت فى العهد العباسى عندما اتخـــذها عبد العزيز الجروى مقرا لحكمه .

أما دار الضرب بالاسكندرية ، فكانت من أهم دور الضرب بمصر قبـــل الفتح العربى وبعـــده(٢٧٠) ، ولم يقلل قيام دار الضرب بالفسطاط فى العصر الأموى من الدور الذى كانت تقوم به دار الضرب فى الاسكندرية بل ظلت قائمة واستمرت فى انتاجها الوفير وخاصة من الفلوس البرونزية التى ضربت فى عهد الوالى عبد الملك بن مروان ، والتى كانت أهم خصائصها سمك السبيكة البرونزية ، وعـــدم استواء محيطها الدائرى تماما(٢٧١) .

ولم يعرف لدار الضرب فى الاسكندرية منتجات من الدراهم والفضـــة أو الدنانير الذهب قبل العصر الفاطمى ، مع الأخـــذ بعين الاعتبار أن دار الضرب لم يكن يسجل اسمها فى مصر على السكة من هـــذه المعادن قبل عام ١٩٩ هـ فى

---

(٢٦٩) عبد الرحمن فهمى : « دراسات فى السكة فى مصر الاسلامية » ، رسالة دكتوراة ، ص ٢٢٠ .

(٢٧٠) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ٢١٤ .

(٢٧١) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٠ ، عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ٦٣ : ٦٤ .

العصر العباسى ، وكانت الدنانير التى تحمل اسم مصر تسك فى الفسطاط والاسكندرية(٢٧٢) ، وان كانت الدنانير والدراهم التى تسك فى الاسكندرية ينقش عليها اسم الفسطاط وما لبث اسم الاسكندرية أن ظهر على دنانير مصر فى العصر الفاطمى منذ عام ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م)(٢٧٣) .

كان القاضى يتولى الاشراف على دار الضرب لضمان شرعية الدنانير والدراهم التى تصدر من دار السك بأسماء الولاة والحكام فى مصر من حيث جواز العيار(٢٧٤) أو الوزن(٢٧٥) .

وكان يقوم بالعمل فى دار الضرب عدد من المستخدمين على رأسهم متولى دار الضرب وله السلطة المباشرة على العمال فى الدار ولم يكن وجوده يتعارض مع أشراف القاضى من الوجهة الادارية ، بل كثيرا ما كان القاضى يكتفى باختيار من يريده من نواب الحكم لمباشرة أعمال دار الضرب(٢٧٦) .

وكان اشراف الدولة على دور الضرب من الأمور الهامة لانها بذلك تحافظ على مصالح الناس بالعمل على تحرير الأموال من الغش الذى قد يحدث لو ترك الأمر بغير رقابة ، ولهذا السبب كانت الدولة تعطى المستخدمين فى دور الضرب الأجور المجزية التى ترضيهم(٢٧٧) .

---

(٢٧٢) عبد الرحمن فهمى : مقدمة لمخطوطة ابن بعره ، كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٠ : ٣١ .

(٢٧٣) Miles : Fatimid Coins, P. 50.

(٢٧٤) يقصد بالعيار النسبة القانونية بين وزن المعدن الموجود فى قطعة السكة ووزنها الكلى . عبد الرحمن فهمى : مقدمة لمخطوطة ابن بعرة ، ص ٥٠ .

(٢٧٥) عبد الرحمن فهمى : مقدمة لمخطوطة ابن بعره ، كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٣ .

(٢٧٦) كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٣ .

(٢٧٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٢ .

العمـــلة :

هى وسيلة للمعاملات التجارية التى يحتاج اليها الناس فى تقــدير مختلف أنواع السلع(٢٧٨) ولم تختلف العملة فى ثغور مصر وموانيها عما كانت عليــه فى بقية مدن مصر •

لمــا كانت مصر من البلاد الخاضعة للدولة البيزنطية قبل الفتح العربى لذلك كانت تتبع قاعــدة التعامل بالدنانير الذهبية(٢٧٩) ، وظل التعامل بالسكة البيزنطية فى مصر سارية الى ما بعــد الفتح العربى لهـــا على الرغم من ظهـــور السكة الاسلامية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب فى عام ١٨ هـ(٢٨٠) ، وفى عهد الوالى الأموى عبد العزيز بن مروان سكت أول عملة على الطراز الاسلامى فى مصر عام ٧٧ هـ على أثر الاصلاحات التى قام بها الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان فى السكة الاسلامية(٢٨١) •

وقــد ظل التعامل فى مصر بالدنانير فى العهد الأموى والعباسى(٢٨٢) ، واقبل الناس على التعامل بهــذه الدنانير لنقاوتها(٢٨٣) ، ولم يكن يميز السكة القومية سوى ذكر اسم مصر عليها(٢٨٤) •

لم تستقل السكة بمصر الا فى عهد أحمد بن طولون الذى ضرب دنانير

---

(٢٧٨) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٥ •

(٢٧٩) لفظ « دينار » مشتق من اللفظ اليونانى 'Denarius' ، وهـــو اسم وحــدة من وحــدات السكة الذهبية التى عرفها العرب عن البيزنطيين ، ويزن الدينار ٦٦ حبة أى ٤٫٢٥٠ جرام منذ اصلاح عبد الملك بن مروان للسكة وتعريبهـــا فى عام ٧٧ هـ . دائرة المعارف الاسلامية مادة (دينار) •

(٢٨٠) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٥١ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٦٥ : ٦٦ •

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٧٣ ، المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٥٣ •

(٢٨٢) المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ، ص ٣١ •

(٢٨٣) Ashtor : Histoire des Prix, P. 76.

(٢٨٤) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ١٠٥ •

ذهبية عرفت « بالأحمدية » . وانتشر التعامل بها ، ولقيت تقدير النـــاس لنقاوتها(٢٨٥) فكانت بذلك نموذجا احتذاه خلفاؤه من بعـده ، وحافظ عليـه الأخشيديون كذلك(٢٨٦) .

ظل الدينار فى مصر قاعـدة التعامل حتى بعـد الفتح الفاطمى ، غير أن جوهر القائد ، بادر الى سك دنانير جـديدة أطلق عليها المعزية(٢٨٧) ، على أن الحكومة الفاطمية لم تمنع التعـامل بالدينار الراضى « نسبة للخليفـة العباسى الراضى » ، وبالدنانير والدراهم التى ضربت فى عهد الأمين والمـأمون وسميت بالرباعيات(٢٨٨) ، وبالدينار الأبيض الذى كان متداولا فى عهد المـأمون(٢٨٩) ، ثم امتنع يعقوب بن كلس عن أخـذ الخراج الا بالدينار المعزى ، فانحط لذلك الدينار الراضى ، وانخفض صرفه بربع دينار ، وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهما ونصفا(٢٩٠) ، وبذلك اضطر الناس للتعامل بالنقود الفاطمية ، وكان لوزن الدينار أهمية كبرى ، فكلما زاد وزنه دل ذلك على غنى الدولة ورفاهيتها وعنايتها بالعملة حتى تكتسب ثقة الناس ، ويتسع نطاق تداولها ، أما اذا نقص وزن الدينار ، فان ذلك يدل على اضطراب الحالة الاقتصادية بالبلاد(٢٩١) .

ولمـا كانت الموانى والثغور المصرية مراكز لتبادل السلع التجارية مـع الدول الأخرى ، لذلك امتلأت أسواقها بأنواع مختلفة من السكة ومنذ بداية العهد الاسلامى كانت معظم الدنانير الذهبية الموجودة بالأسواق المصرية تأتى من

---

(٢٨٥) المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ، ص ٤١ ، ٣٤ .

(٢٨٦) عبد الرحمن فهمى : « دراسات فى السكة فى مصر الاسلامية » ، رسالة دكتوراة ، ص ١٧١ .

(٢٨٧) المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ، ص ٣٤ .

(٢٨٨) عرفت بذلك لان وزنها كان أربع حبات ، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، حاشية رقم ٣ ، ص ١٦٢ .

(٢٨٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٢ .

(٢٩٠) المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ، ص ٣٥ : ٣٦ .

(٢٩١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٥ .

الدولة البيزنطية ، نتيجة لدفـــع أثمان شحنات أوراق التردى التى كانت تصـــدر من مصر الى الدولة البيزنطية(٢٩٢) .

وزاد تدفق العملات الأجنبية على الثغور فى العصر الفاطمى حيث كان الدفع فى المعاملات التجارية يتم أحيانا بالدينار الصورى أو البيزنطى كما تدفقت العملات الذهبية والفضية من المغرب على مصر خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وخاصة من تونس ثمنا للبضـــائع الواردة من بلاد الشرق عن طريق مصر(٢٩٣) .

وفى أثناء الحروب الصليبية وجـــدت بمصر فى العصر الفاطمى دنانير ذهبية حيث كان الصليبيون يسكون عملتهم على نسق الدينار المستنصرى والآمرى(٢٩٤)، وكان الدينار الذى يرد من بلاد الفرنجة يصور على أحد وجهيه صورة ملك الدولة الأجنبية ، وعلى الوجـــه الآخر صورة القـــديسين بطرس وبولس ، وتسمى هـــذه العملة أيضا بالدوقات Ducats ويطلق هـــذا الاسم على نقـــود البندقية لان أميرهم يسمى « دوقا »(٢٩٥) .

وكان بعض التجار الأجانب يرسلون ما معهم من معادن لدار السـك فى الثغور المصرية لتحولها الى دنانير حتى يتسنى لهم دفـــع الرسوم الجمركية المفروضة على تجارتهم ، وقـــد شجعت الدولة الفاطمية على دخول الذهب الى مصر فكانت تستأدى عليه مكوسا مقـــدارها ١٠٪ وذلك لقلة انتاج هـــذا المعـــدن بمصر من وادى العلاقى فى عهدها ويبدو أن نظام دفع الدولة ثمن مشترواتهـــا

---

(٢٩٢) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ٣٧ .

(٢٩٣) Colten, The exchange of golé and silver money in fati- mid and Ayyabid times. PP. 45-46. Journal of the Economic and social hist of the orient vl. 1 1965.

(٢٩٤) Ehrenkrautz, Arbic dinars struk by the crusaders, p. 178 "Journal of the Economic, v.vl. Part 11, 1964 part 11.

(٢٩٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٥ .

من التجـار الأجانب بالشب قـد وضع أساسا لحماية تسرب الذهب من مصر الى الخـاج(٢٩٦) .

هـذا فيما يخص الدينار الذهبى ، أما الدراهم(٢٩٧) فلم تكن تسك بمصر قبل العهد الفاطمى ، اذ ظهرت أول سكة للدراهم بمصر فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٣٩٩ هـ(٢٩٨) ، ومن المرجح أن ضرب الدراهم الفضية فى ذلك العهد انما أريد به تيسير التعامل فى السلع القليلة الثمن(٢٩٩) فقد كانت العملة الذهبية لا تساعد على تبسيط الكثير من العمليات التجارية الصغيرة التى لا غنى عنهـا للناس فى حياتهم اليومية ، ولهـذا كان أهـل الريف يتخـذون المقايضـة فى معاملاتهم التجارية(٣٠٠) ، وكان الدينار يساوى ثمانية عشر درهما(٣٠١) ، وقـد وجـد بمصر نوع من الدراهم عرف بالدراهم النقرة كان ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس ، والدراهم السوداء وكان الدرهم الأسـود يساوى ⅓ درهم النقـرة(٣٠٢) .

والى جانب الدنانير والدراهم وجـد بمصر كذلك الفلوس(٣٠٣) ، وكانت

---

(٢٩٦) Cahen, Douanes et commerce dans les ports Mediter-ranéens de l'Egypte médiévale d'apre's le Minhadj d'al Makzhumi" in journal of the Economic and social History of the orient vol. VII' 1964, P. 255.

(٢٩٧) من وحـدات العملة الفضية فى نظام السكة عند العرب وهو باليونانية دراخمة وبالفارسية درهم ، وهو ايضا من وحـدات الأوزان . دائرة المعـارف الاسلامية مادة (درهم) .

(٢٩٨) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٦٤ .

(٢٩٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٣ .

(٣٠٠) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٣٠١ .

(٣٠١) المقريزى ٣ شذور العقود فى ذكر النقود ، ص ٥٦ .

(٣٠٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٤٣ .

(٣٠٣) الفلوس وحـدات من السكة البرونزية ، واستعارت اسمها من اللفظ البيزنطى Folis وما شاع منها من ضرب الاسكندرية ، وكان قيمة القطعة منه ١٢ نميـا Nummia
عبد الرحمن فهمى : فجر السة ، ص ٦٣ .

الفلوس الشائعة بعــد الفتح العربى لمصر من ضرب الاسكندرية ، وعليها صورة هرقل وأحــد ولدية أو خليفة قنسطانز الثانى ، وبعــد تعريب العملة ظهرت سلسلة من السكة البرونزية العربية تحمل أسماء الولاة والعمال مثل ما ضرب فى عهد الوالى عبد الملك بن مروان فى مدن مصر والاسكندرية(٣٠٤) ، وظهر منهــا نوع لا يحمل اسم الولاة أو عمال الخراج ، وانما تشير فقط الى مكان الضرب ، فظهر بعضها يحمل اسم (فرما) وتاريخ ضربها ســـنة ١٤٧ هـ على هامش الظهـــر(٣٠٥) .

السـفاتج والصـكوك :

عندما نشطت التجارة ، وازدادت المعاملات المـالية أصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يواجه الاخطار ، وبخاصة من ناحية نقلها من بلد الى آخر ، ولذلك لجــأ التجار الى استعمال السفاتج(٣٠٦) ، وهى محررات يكتبها التجار أو الصيارفة أو المشتغلين بالأعمال المـالية والتجارية بقيمة المبالغ التى يأخـذونها ، وتكون قابلة للصرف فى أى بلد لأى من عملائهم وكل سفتجة توقع أو تختم من صاحبها لصراف أو تاجر حتى تكون صالحة للتداول(٣٠٧) ، وهــذا النظام فارسى الأصل ، وفــد الى الأقطار الاسلامية مع دخول تجار الفرس اليها وقــد انتقل هــذا النظام من بغــداد الى القاهرة(٣٠٨) .

وكان قيمة كل ٤٨ فلسا يساوى درهم من النقرة ، وكان منها المطبوع بالسكة والغير مطبوع ، وكان غير المطبوع منها عبارة عن نحاس مكسر من الأحمر والأصفر ويعبر عنها بالعتق ، كل زنة رطــل منها بالمصرى بدرهمين من النقرة .
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٣٠٤) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ٦٣ : ٦٤ .
(٣٠٥) المرجع نفسه ، ص ١٠٤ .
(٣٠٦) مفردها سفتجه ، وهى كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمـــــان .
الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٥٨ .
(٣٠٧) مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٨٢ .
(٣٠٨) Nardi : industry and commerce under the Abbassids. PP. 28-29.

قام الجهابذة والصرافون فى ذلك العصر مقام البنوك ، فكان التجـــار يأخذون رقاعا منهم بما لديهم من الأموال ، ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم ، كما كانت الصفقات المــالية بين المراكز التجارية تتم تحت اشراف هؤلاء الصـــيارفة(٣٠٩) •

وكذلك استعملت الصكوك كوسيلة من وسائل دفع المــال ، والصك أمر بدفع مقـــدار معين من النقود الى الشخص الوارد اسمه فيه ، وقـــد استخدمت الصكوك منذ صـــدر الاسلام ، حيث كانت الأرزاق والرواتب تدفع بها أحيـــانا فكان عمر بن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك(٣١٠) كما استخدمت أيضا منذ أواخر القرن الثالث الهجرى لدفع رواتب الجند ، ثم أخـــذ استعمالها يشيع حتى تعـــدى دوائر الحكومة الى أفراد الشعب(٣١١) •

وكانت الصكوك تكتب وتصرف على بيت المـــال أو على التجار والصرافين الذين كانوا يتقاضون عمولة نظير ذلك تبلغ درهما على كل دينار(٣١٢) ، وكان النظام المتبع أن يرسل الشخص الصك الى التاجر واسم السلع التى يريدها وثمنها وتحمل الوثيقة توقيعه فيرسل له التاجر ما يريد ، ويحتفظ بهـــذه الصكوك ثم يسلمها له ويأخـــذ منه ثمن ما أخـــذ من بضائع(٣١٣) •

ربطت تلك المعاملات المـــالية فيما بين ثغور مصر ، فكان يتم عن طريقهـــا كثير من الصفقات التجارية ويتضح ذلك مما ذكره ناصر خسرو أثنـــاء رحلتـــه فيما بين أسوان وعيذاب فقد ذكر أنه لمـــا أراد مغادرة أسوان فى طريقه الى

---

(٣٠٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٣ .
(٣١٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١١٤ .
(٣١١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٤ .
(٣١٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٧٩ .
(٣١٣) Coitein : Bankers and accounts from the Eleventh century, A.P.P. 28 "Journal of the Economic and Social Hist of the Orient, vol. Part I. 11 November 1966.

عيذاب أخـذ من صديق لـه يدعى أبو عبد الله محمد بن فليج كتابا الى وكيـله فى عيذاب جاء فيه اعط ناصرا ما يريد ، وهـو يعطيك صكا للحساب ، فلما أنفق ناصر ما معه من مال فى عيذاب ، أعطى الورقة للوكيل فأعطاه ما أراد بعـد أن أخـذ منه صكا بذلك وقام الوكيل بدوره بارسال الصك الى أسوان(٣١٤) .

٣ ــ دور الثغور المصرية فى التقدم الصناعى والنشاط التجارى

أولا ــ النشـاط الصـناعى :

قامت ثغور مصر وموانيها بدور كبير فى تقـدم الصناعة بمصر الاسلامية فتركزت بها كثير من الصناعات الهامة والحيوية التى كانت تعـد بمثابة الدعائم للتقـدم الصناعى فى ذلك العصر .

صـناعة المنسـوجات :

ترجع شهرة مصر بصناعة المنسوجات الى ما قبل الفتح الاسلامى ، وقـد عملت ثغور مصر وموانيها الواقعة على بحر الروم على ازدهار تلك الصناعة ، ونموها خلال العصر الاسلامى ، فتركزت تلك الصناعة فى منطقتين الأولى فى الجزء الشمالى الشرقى فى دمياط وتنيس ، وجزر بحيرة تنيس كشطا ، ودبيق ودميرة وتونه(٣١٥) ، والثانية فى الجزء الشمالى الغربى ، فى منطقة الاسكندرية(٣١٦) .

وقـد أفاضت المصادر فى وصفها لمنسوجات تلك الثغور من الكتان والحرير حتى أن الكندى(٣١٧) عـدها من فضائل مصر ، وذكر ابن أياس(٣١٨) أن الخلفاء

---

(٣١٤) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧٤ .
(٣١٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٢ .
(٣١٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٦٣ .
(٣١٧) فضـائل مصر ، ص ٦٧ .
(٣١٨) تاريخ مصر ج ١ ص ٣١ .

كانت تشترط على ولاة مصر عند تقليدهم لولايتها ارسال الأثواب الدبيقية شغل تنيس ، ومقاطع الشرب الاسكندرانى وغير ذلك من الأشياء التى لا توجد الا بمصر ، ويضيف ابن ظهيرة(٣١٩) انه ليس بالدنيا ملك جاهلى ولا اسلامى الا ويلبس خواصة وحرمه من ثياب مصر .

نالت الأقمشة الكتانية شهرة واسعة وخاصة البيضاء منها حتى أنهم فى العصر الأموى كانوا يقولون أن الأقمشة المصرية كالغشاء على البيض(٣٢٠) ، وتعددت أنواعها فكان منها . القصب ، وهو نسيج رقيق ناعم الملمس(٣٢١) ، والشرب وهو من أنفس أنواع الكتان الرقيق ، أما ما غلظ منه فكان يسمى الخفيف(٣٢٢) .

والى جانب تلك المنسوجات الكتانية الخالصة كانت هناك المنسوجات الكتانية المختلطة بخيوط القصب أو الحرير أو الذهب التى نالت شهرة كبيرة(٣٢٣) ومن أشهرها الدبيقى ، وهو نوع من الأقمشة الكتانية الموشاة بالحرير والذهب(٣٢٤) والبوقلمون ، وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار(٣٢٥) . كما وجدت بها المنسوجات القطنية ، فكان يصنع منها نوع يسمى المقصور وهو نسيج أبيض ورقيق(٣٢٦) كما صنعت بها المنسوجات الحريرية(٣٢٧) وكانت تلك المنسوجات تنسب لأماكن صنعها فكان منها التنيسى ، والدمياطى ، والدبيقى ، والشطوى ، والبورى ، ولكن ليس معنى هذا أن تلك الأنواع لم تكن تنسج الا فى بلدها فقط ، فقد تبادلت تلك المراكز منسوجات بعضها البعض(٣٢٨) .

---

(٣١٩) الفضائل الباهرة ، ص ٥٢ .
(٣٢٠) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٣٢١) سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٥٦ .
(٣٢٢) الثعالبى : فقه اللغة ، ص ٢٢٦ .
(٣٢٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٥٧ .
(٣٢٤) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٢٦ .
(٣٢٥) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٣٢٦) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٥٢ .
(٣٢٧) سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٨٥ .
(٣٢٨) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٧٠ .

انتشرت تلك المنسوجات وذاع صيتها حتى أنها عرفت وقلدت بفارس مثل الدبيقى ، والشرب ، والقصب ، مما يدل على وجود صلة بين صناعة المنسوجات فى كل من البلدين(٣٢٩) .

عوامل قيام صناعة النسيج فى الثغور :

تركزت صناعة النسيج فى المنطقتين السابقتين من الثغور بسبب ما توفر لها من عوامل ساعدت على قيامها ، وامكانية نموها وازدهارها فصناعة النسيج تحتاج لجو معتدل وافر الرطوبة ، كما تحتاج للمياه وغالبا ما تقوم تلك الصناعة فى المدن المجاورة للمجارى المائية ، لان تلك المجارى تكون وسيلة سهلة ورخيصة لنقل الانتاج للأسواق الداخلية ، وقد توفر هذا العامل فى الثغور الشمالية فالاسكندرية يصلها بداخل البلاد خليج الاسكندرية(٣٣٠) ، وترتبط دمياط بالداخل عن طريق فرع دمياط(٣٣١) ، أما تنيس وبقية جزر البحيرة فيصلها بالداخل الفرع التنيسى الذى يتفرع خارجا من فرع دمياط ويصب فى بحيرة تنيس(٣٣٢) .

والى جانب هذا العامل توفر لتلك الثغور سهولة الحصول على المادة الخام الرئيسية لتلك الصناعة وهى الكتان الذى كان يزرع فى أراضى الدلتا(٣٣٣) .

كما توفر لتلك الصناعة فى الثغور عنصر على جانب كبير من الأهمية وهو وجود الأيدى العاملة المدربة ، التى تمثلت فى سكان الثغور من القبط(٣٣٤) ، الذين كان لهم الفضل فى الحفاظ على هذه الصناعة واستمرار وجودها ، وازدهارها خلال العصر الاسلامى(٣٣٥) .

---

(٣٢٩) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٦٠ .
(٣٣٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧١ .
(٣٣١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢١٥ .
(٣٣٢) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٣٣٧ .
(٣٣٣) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ١٢٦ .
(٣٣٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ . المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
(٣٣٥) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٨٢ .

وكان موقع تلك الثغور على ساحل بحر الروم عاملا هاما من عوامل سهولة تصدير فائض الانتاج من المنسوجات الى الأسواق الخارجية فى آسيا وأوروبا مما ساعد على رواج وشهرة تلك المنسوجات عالميا(٣٣٦) .

وكان للعامل السياسى أثره الكبير فى ازدهار تلك الصناعة أو تدهورها ففى أول العهد الاسلامى بمصر شجع الخلفاء صناعة المنسوجات ، وعنى بعضهم بكتابة اسمه على أقمشتها الثمينة(٣٣٧) . الا أنه فى عهد تبعية مصر للخلافة الأموية ومن بعدها العباسية لم تزدهر تلك الصناعة لكثرة تعاقب الولاة على حكم مصر فى تلك الفترة(٣٣٨) . وانشغالهم بضبط الأمور بالبلاد(٣٣٩) وفى العهد الطولونى تمتعت مصر باستقلال جزئى فعادت تلك الصناعة للازدهار والنمو بسبب سياسة التسامح الدينى التى اتبعها الطولونيون ، كما ساعد على هذا النمو مضاعفة انتاج المصانع لمواجهة حاجة الدولة المستمرة وعطايا الأمير الطولونى ، وخلعه على رجال الجيش وأرباب الدولة ، كما كان الطولونيون يكثرون من ارسال الهدايا لرجال الدولة العباسية ، وللخلفاء أنفسهم مثال ذلك هدايا خمارويه للخليفة العباسى المعتضد ويعد العصر الطولونى بحق عصر الانتقال بين صناعة النسيج ذات الطابع القبطى الى صناعة النسيج ذات الطابع الاسلامى(٣٤٠) .

كذلك تجلى فى العصر الفاطمى ، تقدم صناعة النسيج فى الثغور حيث بدأت الصناعة تتخذ الطابع الاسلامى البحت ، كما كان انتاج المصانع وفيرا ، ويرجع ذلك لأسباب عديدة ، منها تمتع الدولة الفاطمية بالاستقلال التام ، فأصبح لها حكومة تربط مصلحتها بمصلحة البلاد ، فاهتمت بموارد الثروة ، كما

---

(٣٣٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ١٤٦ .
(٣٣٧) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٨٨ .
(٣٣٨) الكندى : الولاة والقضاة أنظر فهرست الأمراء الذين حكموا مصر فى تلك الفترة ، ورقة (أ) .
(٣٣٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٩ : ٨٠ .
(٣٤٠) حسن محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى ، ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

توفر عنصر الأمن والاستقرار فى داخل البلاد المصرية ، الذى كفله قيام الدولة الفاطمية مما ساعد على ازدهار الصناعة ، وزيادة انتاجها(٣٤١) •

أهمية الثغور كمراكز لصناعة النسيج :

تنيس :

تعـد من أهم مراكز صناعة النسيج منذ الفتح الاسلامى ، وزادت تلك الأهمية فى العصر الفاطمى ، وكان يصنع بها أنواع كثيرة من المنسوجات الكتانية والحريرية ذاعت شهرتها فى العالم ، فقـد وجـد من نسيجها قطعة كتانية من القرن التاسع الميلادى عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تدل على أنهـا صنعت بتنيس(٣٤٢) ومن الأنواع التى كانت تنسج بها الشروب التى يصنع منها أثواب الخلفاء التى تسمى بالبدنة ، وقـد بلغت صناعته من الدقـة والاحكام بحيث لم يكن يحتاج بعـد نسجه الى تفصيل أو حياكة وكانت قيمته تصـل الى ألف دينـار(٣٤٣) •

كذلك انتجت تنيس فى العصر الفاطمى نوعا فاخرا من الكتان الخالى من الذهب ، بيع الثوب منه بمائة دينار ، وليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب الساذج (الذى ليس فيه ذهب) مائة دينار غير ثوب تنيس ودمياط(٣٤٤) •

كما أخرجت مصانعها نسيج القصب الملون ، الذى صنعت منه العمامات(٣٤٥) وملابس النساء ، وهـذا القصب الملون لا ينسج الا بتنيس ، أما الأبيض منه

---

(٣٤١) راشد البراوى : حـالة مصر الاقتصادية فى عهـد الفاطميين ، ص ١٢٠ : ١٢١ •

(٣٤٢) ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ٢٥٠ •

(٣٤٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٧ • ابن اياس : تاريخ مصر جـ ١ ص ٥٠ •

(٣٤٤) الكندى : فضائل مصر ، ص ٦٧ •

(٣٤٥) المقصود بالعمامة هـو الشال الذى يلف حول غطاء الرأس • محمـد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ٦٦ •

فينسج بدمياط(٣٤٦) ، وقـد نالت منسوجات تنيس المصبوغة شهرة عظيمة ، فيذكر ابن حوقل(٣٤٧) « أن المصبغات من الحلل التنيسية التى ليس لها فى جميع الأرض ما يدانيها فى القيمة ، والحسن ، والنعمة ، والترف والرقة والدقة » .

وكان يصنع بتنيس أيضا الدبيقى الذى بلغ من الشهرة أن اشترط الخلفاء على ولاة مصر ارساله اليهم(٣٤٨) ، كما اشتهرت تنيس بصناعة البوقلمون الذى لا ينسج مثله فى مكان آخر ، وكانت أثوابه تحمل من المشرق الى المغرب(٣٤٩) ، وكان يصنع منه استار هـوادج الجمال ولبـود سروج الخيل الخاصـة بالسلطان(٣٥٠) ، وكان يصنع بتنيس من الأقمشة القطنية النوع المسمى بالمقصور والذى يبلغ الثوب منه خمسمائة دينار(٣٥١) وكذلك صنع بها العتابى(٣٥٢) وكان يصنع بها شيلان العمائم التى تصـدر الى أسواق ايران(٣٥٣) ، كما كانت تصنع بهـا كسوة الكعبة ، ويذكر المقريزى(٣٥٤) العـديد من الأمثلة لكساوى الكعبة التى صنعت بها طيلة العهد الاسلامى • ويصف ابن بسام(٣٥٥) الانتاج الهائل لتنيس من المنسوجات الخاصة بالسلطان فيقول : « ويرسم خزانة السـلطان أربعمائة سفط »(٣٥٦) فيها من الأمتعة ما لا يرى مثله ، ثياب مذهبة على هيئة

---

(٣٤٦) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٣٤٧) صورة الأرض ، ص ١٥٢ .
(٣٤٨) ابن اياس : تاريخ مصر جـ ١ ص ٥٠ .
(٣٤٩) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٣٥٠) المصـدر نفسه ، ص ٤٠ .
(٣٥١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٥٢ .
(٣٥٢) ابن بسام : « انيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .
العتابى ثياب مصنوعة من الحرير وتنسب الى عتاب احـد أحياء بغداد .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٣٢٣ .
(٣٥٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٢٨ .
(٣٥٤) الخطط جـ ١ ص ١٨١ .
(٣٥٥) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .
(٣٥٦) جمع اسفاط وهـو وعاء كالقفه .

المخيطة منسوجة ، الثوب الواحد بألف دينار • ومناديل ، المنديل بخمسمائة دينار ، ومراتب • المرتبة بألف دينار ومطارد ، ومقاطع ، ومفارش ، وستور مخمل وعمائم ، وسقلاطون دبيقى ، ومصمت دبيقى ، وعتابى ومالا يمكن وصفه •

دميـــاط :

تعـد من مراكز النسيج القـديمة ، وزادت شهرتها فى العصر الاسلامى وخاصة منذ القرن الرابع الهجرى(٣٥٧) ، وبلغت تلك الشهرة درجة عظيمة حتى أن أسمها أطلق على مدينة كازرون فى فارس ، وهى من أكبر مدن صناعة النسيج ، فسميت دمياط الأعاجم(٣٥٨) •

وكما تخصصت تنيس فى صنع المنسوجات المصبوغة ، وتخصصت دمياط فى صنع المنسوجات الكتانية البيضاء ، وفى ذلك يقول ياقوت(٣٥٩) : « ولا يعمل بدمياط مصبوغ ، ولا بتنيس أبيض » ، وبلغت منسوجات دمياط حـدا كبيرا من الروعه والدقـة حتى أنه فى عام ٣٩٨ هـ بيعت منها حلتان بثلاثة آلاف دينار ، وبلغ الثوب ممـا ليس فيه ذهب مائة دينار(٣٦٠) •

وأنتجت مصانعها كذلك الشرب ، والدبيقى ، والقصب البلخى(٣٦١) وكان يصنع كذلك الفرش القلمونى من كل لون المعلم والمطرز ومناســف الأبدان والأرجـل(٣٦٢) ، كما صنع بها منسوجات القصب والمقصور الذى بلغ ثمـن الثوب منه مائة دينار(٣٦٣) •

---

(٣٥٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٣٥٨) المقـدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .
(٣٥٩) معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ .
(٣٦٠) المصـدر نفسه جـ ٤ ص ٨٦ .
(٣٦١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٢ ياقـوت : معجم البلـدان جـ ٤ ص ٨٦ .
(٣٦٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ .
(٣٦٣) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣١ .

ولم تقتصر صناعة النسيج فى تلك المنطقة على دمياط وتنيس ، فقد انتشرت فى عـدة جزر فى بحيرة تنيس ، فيحـدثنا ابن حوقل(٣٦٤) عن هـذه الجزر فى قوله : « كانت شيطا ، ودبقـوا ودميرة ، وتونه ، وما قاربهم بتلك الجزائر يعمل بها الرفيع من هـذه الأجناس « أنواع المنسوجات » .

شـــطا :

كانت من مراكز النسيج الهامة ببحيرة تنيس ، صنع بها نوع من النسيج ، نسب اليها : وأصبح اسمها علما عليه وهو الشطوى(٣٦٥) ، ومن أشهر ما نسج بها كسوة الكعبة ، ويذكر الفاكهى أنه رأى كسوة ، لأمير المؤمنين هارون الرشيد مصنوعة بها ومؤرخة بسنة ١٩١ هـ(٣٦٦) .

دبيـــق :

كانت من أكبر مراكز النسيج فى أول العهد الاسلامى ثم تفوقت عليها بعد ذلك دمياط وتنيس(٣٦٧) ، واشتهرت دبيق بصناعة النسيج الذى نسب اليهـا وهـو الدبيقى ، وكان هـذا النسيج يستخدم فى عمل العمائم التى بلغت الواحدة منها مائة دينار (٣٦٨) .

وفى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٦٥ هـ صنعت بها عمائم من الشرب المذهب على جانب كبير من الجمال ، فكانت الواحـدة منها يبلغ طـولها مائة ذراع ، ويدخل فى نسيجها من الذهب ما يساوى خمسمائة دينار ، سـوى الحرير والغزل(٣٦٩) ، ومن أجـود أنواع الأنسجة التى نسجت بها الدبيقى

---

(٣٦٤) صورة الأرض ، ص ١٥٢ .
(٣٦٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٣٦٦) المصـدر نفسه جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٣٦٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٣٦٨) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٤٦ .
(٣٦٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٢٦ .

الثقيل ، وكان اذا انشق يسمع له صوت عال ، وكان هـذا النسيج يستعمل فى رسم الخرائط عليه بالأصباغ المشمعة(٣٧٠) .

وكانت دبيق من أهم مراكز صـناعة المنسوجات الحريرية ويذكر ناصر خسرو(٣٧١) . أنه رأى قميص دبيقى يساوى عشرة آلاف دينار وذاعت شهرتها حتى سميت احـدى قرى بغـداد فى ناحية نهر عيسى بالدبيقية نسبة الى دبيق المصرية ، وكانت تلك القرية من مراكز النسيج بالعراق وكانت تبيع منسوجاتها على أنها مصرية(٣٧٢) .

الاسـكندرية :

ترجع شهرتها فى صناعة المنسوجات الى ما قبل الفتح العربى واحتفظت بتلك الشهرة خلال العصر الاسلامى(٣٧٣) . وعلى الرغم من ذلك فان المصـادر لا تمـدنا بالكثير عن تلك الصناعة بالاسكندرية ولعل هـذا يرجع الى الشهرة الكبيرة لمنطقة شمال شرق الدلتا وطغيان تلك الشهرة على الاسكندرية خـلال العصر الاسلامى .

قامت بالاسكندرية صناعة زاهرة للمنسوجات الكتانية ، التى كانت تعـد من أحسن أنواع تلك المنسوجات حتى أن الجاحظ(٣٧٤) ذكرها ضمن ما يستجاد من المنسوجات « الوشى الاسكندرانى ، الكتـان البحت والمنسوج بالذهب » واشتهرت الاسكندرية بصناعة الغلائل « جمع غلالة وهى القميص الرقيـق » والمعتب الذى يحمل منه الى الآفاق(٣٧٥) وقـد عرفت ثياب الاسكندرية بارتفاع

(٣٧٠) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٣٧١) سفر نامة ، ص ٥٤ .
(٣٧٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٤ . محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ١٨٧ : ١٨٨ .
(٣٧٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة (طراز) .
(٣٧٤) التبصر بالتجارة ، ص ١٩ .
(٣٧٥) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٥٨ .

أسعارها ، فمنسوجاتها الكتانية التى يصنع منها الشرب كان يباع كل زنة درهم بدرهم فضـــة ، وبعضها كان يبـــاع نظـير وزنة عـــدة مرات(٣٧٦) ويدلل القلقشندى(٣٧٧) على مدى شهرة منسوجات الاسكندرية فى قوله : « وفيها ينسج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا ، وتمير فى قماشها جميع أقطار الأرض » •

وكانت الاسكندرية من أهم مراكز صناعة الحرير(٣٧٨) ولكنها كانت قليلة اذا ما قورنت بالمصنوعات الكتانية ، ويبدو أن السبب فى ذلك أن المـــادة الخام لهـــذه الصناعة لم تكن متوفرة بمصر فكانت تستورد من سوريا ، وايران ، وأحيانا من أسبانيا وجزيرة صقلية(٣٧٩) •

دور الطـــــراز(٣٨٠) :

كانت دور الطراز نوعين ، طراز الخاصة ، وطراز العامة •

(أ) طراز الخاصـــة :

كانت عبارة عن مصانع خاصة بالدولة ، تختص بانتاج ما يلزمها من كسوة ، وملابس الخلفاء ، والولاة ، والوزراء ، والخلع التى تخلع على القواد والعلمـــاء

---

(٣٧٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٣ .
(٣٧٧) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٠٨ .
(٣٧٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة (طراز) .
(٣٧٩) Cahen, Douanes et commerce dans les ports Méditerrannées de l'Egypte médiévale d'aprés le Minhadj d'al-Ma Khzumi "in Journal of the Economic and Social Hist. of the Orient, Vol. VII (1964), P. 229.
(٣٨٠) كلمة طراز كلمة معربة عن الفارسية ، ومعناها فى الأصل التطريز ، ومن ثم اطلقت على الرداء المحلى بأشغال التطريز المتشابكة ، وخاصة الرداء المزين بالأشرطة المطرزة عليها كتابات يرتديها الحاكم أو أى شخص من الأعيـــان ثم اطلقت هـــذه الكلمة على المصنع الذى يصنع هـــذه الأشياء والأردية . دائرة المعـــارف الاسلامية مادة (طراز) .

وكبار رجال الدولة والهدايا التى ترسل للملوك ، وكسوة الكعبة(٣٨١) ولم يكن انتاجها يباع لأفراد الشعب(٣٨٢) وكانت الدولة تعين لهذه الدور مشرفا يسمى « صاحب الطراز »(٣٨٣) وكان يعاونه فى الاشراف على طراز الاقاليم موظف يسمى موكل طراز الاقليم(٣٨٤) . وقد تزايدت أهمية صاحب الطراز فى الثغور بتزايد أهميتها فى صناعة المنسوجات ، فكان صاحب الطراز فى العصر الفاطمى يختاره من بين الأعيان والأماثل ومن أرباب العمائم والسيوف ، يتبعه مائة رجل وثلاث مراكب لها رؤساء نفقاتهم جارية من مال الديوان ، فاذا ما عدت الاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها البدنة ، واللباس الجمعى « الذى يلبس يوم الجمعة » حملها ناظر الطراز الى القاهرة ، حيث يبالغ فى اكرامه واحترامه ويخلع عليه بين يدى الخليفة ، ولا يخلع على أحد سواه ، واذا عاقته ظروف العمل أو غيره من التوجه الى القاهرة بنفسه أناب عنه شخصا آخر يشترط أن يكون ابنه أو أخوه(٣٨٥) ، ولم يكن هذا العمل هو كل ما يوكل الى صاحب الطراز ، اذ كان من مهامه أيضا أن ينظر فى أمور الصباغ ، والآلة ، والحاكة ، واجراء أرزاقهم ، وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم(٣٨٦) ، وكان لابد من وجود من يعاون صاحب الطراز فى هذا العمل الضخم فكان له ناظر ، ومشارف وعامل وشاهدان(٣٨٧) .

وكانت الدولة اذا احتاجت لعمل شيء من الأمتعة أصدرت به تذكرة من ديوان الخزانة وأرسلتها الى صاحب الطراز ومعها ما تقرر من النفقات من المال والذهب المغزول وبعد أن ينتهى عمل تلك المطالب كانت تحمل من الثغور الى

---

(٣٨١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١١ ص ٤٢١ .
(٣٨٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٣٨٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٢ .
(٣٨٤) سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٩٠ .
(٣٨٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٦٩ : ٤٧٠ .
(٣٨٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٢ .
(٣٨٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠ .

خزانة الكسوة(٣٨٨) ، وجرت العادة على نقش اسم الخليفة على النسيج ، وسنة الصنع ، تسجيلا لحكمه وسلطانه والأمثلة على هـذا كثيرة مما تمتلىء به المتاحف العربية والأجنبية(٣٨٩) .

(ب) طراز العـامة :

أطلقت تسمية طراز العامة على المصانع الأهليـة التى اختصت بنسج المنسوجات التى تباع للأهالى(٣٩٠) ، وان كانت هـذه المصانع تخضع لاشراف حكومى دقيق ، ويتضح هـذا من حـديث المقـدسى(٣٩١) الذى تتبع صـناعة النسيج بشطا فيقول : « أما ثياب الشطوية فلا يمكن القبطى أن ينسج شيئا منها الا بعـد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا أن تباع الا على يد سماسرة قـد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تحمل الى من يطـويها ثم الى من يشدها بالقش ثم الى من يشدها فى السفط والى من يحزمها ، وكل واحـد منهم له رسم يأخـذه ، ثم على باب الفرضة يؤخـذ شىء أيضـا ، وكل واحـد يكتب على السفط عـلامته ثم تفتش المراكب عنـد اقلاعهـا » .

كانت المصانع الأهلية تشتهر بمصنوعاتها الجيدة المتقنة ، حتى أن التاجر كان ينقص من ثمن الثياب التى يعلم بخروجها من هـذه المصانع قبل أن تتم . ولو بشهر واحـد فيقول ياقوت(٣٩٢) : « ومن ظريف أمر دمياط فى قبابها على الخليج مستعمل فيه غرف تعرف بالمعامل . يستأجرها الحاكة لعمل الثياب الشرب ، فلا تكاد تنجب الا بها ، فان عمل ثوب وبقى منه شهر . ونقل من هـذه المعامل ،

(٣٨٨) القلقشندى : صـبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٤ . المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤١٣ .
(٣٨٩) ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ٢٥٠ : ٢٥٦ .
(٣٩٠) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ١٤٠ .
(٣٩١) أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .
(٣٩٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٨٦ .

علم بذلك السمسار المبتاع للثوب فيقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب عليه » •

ويبدو أن الاشراف الذى فرضه الفاطميون على تلك الصناعة عن طريق السماسرة ما هو الا نظام كان الغرض منه ضبط عمليات البيع والشراء حتى يتسنى للمسئولين تقدير الضرائب وكان السماسرة يتولون نسبه مئوية من مجموع الرسوم ، ويأخذون جملا من التجار والصناع نظير اشرافهم ، ويبدو أنه كانت لهم مهمة أخرى وهى التأكد من جودة القماش ، والعمل على ضبط القياس ومنع الغش والتلاعب فيه(٣٩٣) •

صناعة السفن :

من الصناعات القديمة بمصر ، والتى لاقت اهتماما كبيرا من ولاة مصر وحكامها ، حتى أن اسم الصناعة أصبح يطلق على المكان الذى تبنى فيه السفن فيذكر المقريزى(٣٩٤) ، « ان الصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية التى يقال لها السفن وواحداتها سفينة » •

لعبت ثغور مصر وموانيها دورا هاما فى ازدهار تلك الصناعة اذ تركزت معظم دور الصناعة فى الثغور ، هذا فضلا عن قيام صناعة أهلية للسفن فيها أيضا(٣٩٥) •

كانت السفن التى تبنى فى دور الصناعة بالثغور تستعمل فى أغراض مختلفة فكان منها السفن الحربية ، التى تستعمل فى الغزو والقتال ، وتشحن بآلات الحرب والمقاتلة ، وتمر من ثغر الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما(٣٩٦) • وكان منها السفن التجارية التى تمتلىء بها موانى مصر وثغورها فيذكر ناصر خسرو(٣٩٧) ان

(٣٩٣) رأشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ١٤٥ .
(٣٩٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٣٩٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٤٧ . ابن جبير : رحلته ، ص ٤٢ .
(٣٩٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٣٩٧) سفر نامة ، ص ٣٩ .

جزيرة تنيس كان يرابط حولها دائما ألف سفينة ، وكانت هـذه السفن تحمل خيرات مصر الى سائر جهات الدنيا(٣٩٨) وتأتى بالتجارة الى مصر من جهات كثيرة(٣٩٩) . وكانت هـذه السفن كبيرة وحمولتها عظيمة(٤٠٠) .

والى جانب السفن الحربية والسفن التجارية كانت هناك السفن النيلية التى تعـد خصيصا للسير فى نهر النيل(٤٠١) . وكان نهر النيل وفروعه وخلجانه فى ذلك الحين من أهم طرق النقل فى داخل البلاد المصرية فتسير المراكب الكبيرة والصغيرة فى مجراه حاملة المنتجات الزراعية وغيرها من أسوان الى الفسطاط ، والقاهرة ، ومنها الى الموانى الواقعة على سواحل بحر الروم(٤٠٢) .

ويصف ابن ظهيرة(٤٠٣) المراكب النيلية فيقول : « ليس فى الدنيا نهر تجرى فيه السفن أكثر من نيل مصر ، ويحمل المركب الواحـد منها حمل خمسمائة بعير وأكثر ، وكان من هـذه السفن العشاريات(٤٠٤) ، والدماميس(٤٠٥) والشذوات ، والسميريات(٤٠٦) كما كانت هناك مراكب تستعمل فى صيد الأسماك ، حمولتهـا تتراوح ما بين ثلاثة رجال الى ستين رجلا(٤٠٧) الى جانب أعـداد عظيمة من الزوارق التى كانت تستخدم فى شحن وتفريغ السفن الكبيرة(٤٠٨) .

---

(٣٩٨) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٠١ .
(٣٩٩) الكندى : فضائل مصر ، ص ٧٠ : ٧١ .
(٤٠٠) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤١ . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٨٣ .
(٤٠١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٤٠٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٦ .
(٤٠٣) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٦ .
(٤٠٤) جمع عشارى : وكانت تستخدم فى حمل غلات الدولة وغيرها .
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٨٢ .
(٤٠٥) جمع ديماس وكانت تستعمل فى تنقلات الخليفة ، وبعض الموظفين الكبار فى الدولة فى النيل . المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٨٢ : ٤٨٣ .
(٤٠٦) الشذوات جمع « شذات » والسميريات جمع « سميرية » وكانت تستعمل فى نقـل المؤن والعساكر فى الأنهار .
عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ص ٢٢٤ .
(٤٠٧) ابن بسام : « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٦ .
(٤٠٨) لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤١ .

اختلفت السفن الموجودة بالثغور المصرية من حيث طريقة صنعها فلم تكن سفن بحر القلزم تشبه فى صناعتها السفن التى تسير فى بحر الروم فكانت صناعة سفن بحر الروم تتم بعد ترك الخشب مدة ليجف بعد تقطيعه واعداده حتى تظهر الشقوق به واضحة ، وبذلك يمكن ملؤها بالقار أو الشمع المذاب أى تلفطتها ، ثم تكسى الألواح من الخارج بطبقة من القار أو الشمع ، أو من الاثنين معا ، وكان الشمع يذاب على النار حتى يصير قوامه سائلا ثم يضاف اليه لون ثم تطلى به السفن فيعطيها منظرا جميلا الى جانب حمايتها من تسرب الماء الى الخشب ، وأحيانا كان يحل معدن القصدير المذاب محل القار أو الشمع • اذ يكسى به هيكل السفينة[٤٠٩] •

ويعطينا ابن جبير[٤١٠] صورة دقيقة لصنع جلاب مراكب « القلزم فيقول أنها مراكب » لا يستعمل فيها مسمار البتة ، انما هى مخيطة بأمراس « حبال » من «القنبار » وهو قشور جوز النارجيل (جوز الهند) يدرسونه الى أن يتخيط ، ويفتلونه أمراسا يخيطون بها المراكب ويخللونها بدسر « خوابير » من عيدان النخيل ، فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن ، أو بدهن الخروع ، أو بدهن القرش وهو أحسنها » •

ويعلل ماركو بولو عدم استعمال المسمار فى صناعة تلك السفن أن خشبها من صنف شديد الصلابة وأنه عرضة للتصدع والتكسر كالفخار ، فاذا حاول الصناع أن يدقوا فيه مسمارا انشرخ وكثيرا ما يتصدع[٤١١] •

ويبدو أن صناعة سفن بحر القلزم كانت من الصناعات الأهلية المزدهرة بعيذاب ، فما كان من أهلها أحد الا وله الجلبة أو الجلبتان[٤١٢] •

---

(٤٠٩) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١٧١ •
(٤١٠) رحلته ، ص ٤٤ •
(٤١١) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣١٤ •
(٤١٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٣ •

توفرت لصناعة السفن العوامل اللازمة لقيامها بالثغور ، فاشتهر القبط من سكانها بخبرتهم الطويلة فى تلك الصناعة قبل الفتح العربى لمصر ، ولم تضمحل هـذه الصناعة بدخول المسلمين مصر(٤١٣) • بل على العكس من ذلك استفاد المسلمون بخبرة القبط الطويلة فى هـذه الصناعة(٤١٤) • وعندما تعلم المسلمون هـذه الصنعة ، برعوا فيها براعة عظيمة(٤١٥) ، وبذلك توفرت الأيدى العاملة ذات الخبرة الجيدة لهـذه الصناعة فى الثغور •

وكانت مسألة توفير الأخشاب أهم ما يلزم هـذه الصناعة ، واعتمدت مصر فى توفير الخشب اللازم على مصدرين ، أولهما مما كان موجودا بمصر ، ولم يكن يصلح منه لصناعة السفن الا خشب أشجار السنط ويذكر ابن مماتى(٤١٦) أن أشجار السنط كانت توجـد فى بعض أجزاء الوجـه القبلى فى البهنسا ، والأشمونين ، وأسيوط ، وأخميم وقوص ولأهمية هـذه الأشجار منعت الدولة استعمال الأفراد له ، وعينت الحراس لحمايته ، فكان لا يقطع منه الا ما تدعو الحاجة اليه ، كما كانت الأخشاب تؤخـذ من شجر البنج الذى يوجـد فى أنصنا ، ويذكر المقريزى(٤١٧) أن اللوح من هذه الأخشاب كان يباع بخمسين دينارا •

لم تكن هـذه الأخشاب تفى بحاجة صناعة السفن ، فكانت مصر تلجـأ الى استيراد الخشب عن طريق التجار البنادقة(٤١٨) ، وكثيرا ما تدخل أباطرة الدولة البيزنطية لمنـع المدن الايطالية من تزويد مصر بما تحتاجه من أخشاب وتعرضت البندقية لتهـديد الامبراطور البيزنطى بالانتقـام اذا لم تمتنع عن اعطاء مصر

---

(٤١٣) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٨٥ .

(٤١٤) حسين مؤنس : « المسلمون فى حـوض البحر المتوسط » ، المجـلة التاريخية ، المجلد الرابع الجزء الأول ، ص ٩١ .

(٤١٥) محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى ، ص ٢٨ .

(٤١٦) قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤ .

(٤١٧) الخطط جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٤١٨) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٠ .

الخشب اللازم لبناء السفن(٤١٩) على أن حكومة البندقية لم تحرص على التقيد بهـــذه السياسة التى تؤدى الى التضحية بمصالحها فى سبيل ارضاء أباطرة الدولة البيزنطية فعملت على تنمية علاقاتها التجارية مع المسلمين واستمرت سفنها فى حمل الأخشاب لمصر(٤٢٠) .

صـــناعة الـــورق :

اشتهرت مصر بصناعة الورق المصنوع من البردى منذ عهد بعيد ، وظلت الدولة الاســــلامية تستورده منها حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ويذكر الجاحظ(٤٢١) الورق ضمن ما يجلب من مصر فيقول «ويجلب من مصر القراطيس» .

كانت الاسكندرية وبورة من أهم مراكز تلك الصناعة(٤٢٢) ومما ســاعد على وجود تلك الصناعة فى الاسكندرية وبورة ، وجود نبات البردى ، الذى كانت تنفرد به مصر ، وينمو بها نموا طبيعيا فى مستنقعات الدلتا والفيوم ، وكان الورق يأتى فى المرتبة الثانية من صادرات مصر الى العالم الاسلامى(٤٢٣) الا أنه احتل مركز الصـــدارة فى قائمة الصادرات الى الدولة البيزنطية ، وعلى الرغم من أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان أمر باستبدال عبارات التثليث التى كانت توضع على الورق بعبارات التوحيد ممـــا أغضب البيزنطيين ، الا أن الصادرات من الورق ظلت تحتل مركز الصدارة الى البيزنطيين(٤٢٤) الى أن ظهر

---

(٤١٩) Cahen, Douanes et Commerce dans les Ports Méditer ranées de l'Egypte médiévale d'après le Minhadj é'al-Makhumi "in Journal of the Economic and social Hist of the Orient, Vol, VII "1964", P. 259.

(٤٢٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤١ .

(٤٢١) التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ .

(٤٢٢) بتلر : فتـــح العرب لمصر ، ص ٧٩ . راشـــد البراوى : حـــالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٣٨ .

(٤٢٣) حورية سلام : « علاقات مصر ببلاد المغرب » ، رسالة دكتوراه ، جامعة القـــاهرة ، ص ٢١٨ .

(٤٢٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٧٣ . عبد الرحمن فهمى : فجر الســـكة ، ص ٧٥ .

نوع من الورق صنع من الكتان يسمى الكاغد نقلت صناعته من الصين الى البلاد الاسلامية وأدخل عليه المسلمون كثيرا من التحسينات(٤٢٥) واشتهرت سمرقند بصناعته حتى قيل أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر(٤٢٦) وقد انتهت صناعة الورق من البردى حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى « العاشر الميلادى » • حيث نجد أن ورق البردى المؤرخ ينتهى فى عام ٣١٣ هـ (٩٣٥ م) • على حين الوثائق المكتوبة من الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)(٤٢٧) •

صناعة الخزف والفخار والزجاج :

من أهم الصناعات التى وجدت بمصر فى العهد الاسلامى صناعة الزجاج ، التى بلغت مبلغا عظيما من الازدهار فى العصر الفاطمى ، فأخرجت زجاجات وقوارير ، وزهريات وأكواب للاستعمال المنزلى ، وكانت تلك المصنوعات ذات نقوش وزخارف غاية فى الروعة والجمال ، وكان النقش عليها يعمل باليد أو باستعمال عجلة معينة ، أما الزخرفة فكانت ترسم برسوم البريق المعدنى وألوان المينا(٤٢٨) •

كانت الاسكندرية من أهم مراكز صناعة الزجاج فى مصر فقد كشفت الحفائر الأثرية بمنطقة كوم الدكة بها من كميات من القطع الزجاجية والبلورية وقطع من الزجاج المزين بزخارف مذهبة ومموهة بالميناء من النوع الشائع فى المشكاوات(٤٢٩) ، وتغص المتاحف العالمية ومتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بأمثلة رائعة لهذه الصناعة(٤٣٠) •

---

(٤٢٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٣٤ •
(٤٢٦) الثعالبى : لطائف المعارف ، ص ١٢٩ •
(٤٢٧) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٣٤ : ١٣٥ •
(٤٢٨) ديماند : الفنون الاسلامية ص ٢٣٢ : ٢٣٥ •
(٤٢٩) عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٧٦ : ١٧٧ •
(٤٣٠) ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ٢٣٥ •

كما اثبتت الحفائر الأثرية التى قامت بها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى كوم الدكة فى عام ١٩٥٨ م عن وجود قطع هائلة من الخزف الفاطمى مما يثبت وجود صناعة للخزف أيضا فى الاسكندرية ، كما وجـدت قطع كثيرة من الحزف الأجنبى (صينى ، وأندلسى ، وايرانى ، وسورى) مما يدل على أن الصناع فى الاسكندرية كانوا يقومون بتقليد هذه المنتجات المستوردة فى صناعتهم المحلية(٤٣١) وكانت تلك الصناعة من الصناعات المتقدمة فى مصر فكان يصنع من الخزف القدور ، والصحون ، والمواعين وبلغ من انتشار استعمالها أن البقالين كانوا يصنعون ما يبيعونه فى آوان من الخزف(٤٣٢) .

كذلك برع أهل أسوان فى صناعة أنواع جيدة من الفخار الذى يستخدم فيه الطين الأسوانى الذى كان يؤخذ من جبل « الطفل » وصنعوا منه « كيزان الفقاع »(٤٣٣) كما مهر أهالى أسوان فى صناعة أوعية الفخار التى تسمى « البرام »(٤٣٤) .

ثانيا ـ النشاط التجارى :

لم تقتصر أهمية الثغور والموانى المصرية على ذلك الدور البارز الذى لعبته فى تنمية النشاط الصناعى فى مصر فى العهد الاسلامى ، بل قامت الى جانب ذلك بدور هام وحيوى فى تنمية النشاط التجارى وازدهاره ، فعددت مراكز هامة للتجارة الداخلية والخارجية .

---

(٤٣١) عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٧٥ : ١٧٦ .

(٤٣٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦١ .

(٤٣٣) كيزان الفقاع أوانى استخدمت فى شرب نوع معين من النبيذ ويتخذ من الشعير الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٣ .

(٤٣٤) على مبارك : الخطط الجديدة ج ٨ ص ٦٧ .

(أ) التجارة الداخلية فى الثغور :

كانت ثغور مصر وموانيها تنتج سلعا صناعية من أشهرها المنسوجات الكتانية الفاخرة التى أخرجت منها مصانع دمياط وتنيس والاسكندرية(٤٣٥) انتاجا وافرا يكفى الاستهلاك المحلى وكان يصــدر ما يفيض منه الى خارج مصر(٤٣٦) وأسهمت الاسكندرية وبورة فى تجارة الورق المصنوع من البردى(٤٣٧) ، كما أسهمت تنيس فى تجارة المصــنوعات الحــديدية التى ازدهرت بهــا كالمقــارض والسكاكين والمقصات ، وقــد رأى ناصر خسرو(٤٣٨) واحــدا منها ثمنــه خمسة دنانير مغربية ، هــذا فضلا عن ازدهار صناعة الأسلحة بها(٤٣٩) ، وانتجت الاسكندرية أنواعــا فاخرة مــن الزجاج والخزف(٤٤٠) كما قامت فى أســوان صــــناعة الفخار(٤٤١) ، وكانت عيذاب سوقا لتجارة اللؤلؤ الذى كان يستخرج من بحر القلزم ويشير المقريزى(٤٤٢) الى ذلك فى قوله : « فى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها يخرج اليه الغواصون فى وقت معين من كل سنة فى الزوارق ، حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ، ثم يعودون بما قسم لهم الحظ ، والمغاص فيها قريب من القعر » وقــد عرف عن أهــل عيذاب أنهم يتاجرون فى الذهب الذى يستخرج من وادى العلاقى ، ويتجمع بها ، باعتبارها أقرب الموانى

---

(٤٣٥) المقــدسى : احسن التقاسيم ، ص ٥٢١٣ . ابن حوقل : صــــورة الأرض ، ص ١٥٣ .
القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٤٣٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٦٢ .

(٤٣٧) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٧٩ . سيدة كاشف : مصر فى فجــــر الاســـلام ، ص ٢٩٢ .

(٤٣٨) سفر نامة ، ص ٤٠ .

(٤٣٩) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٩ .

(٤٤٠) ديماند : الفنون الاسلامية ، ص ٢٣٣ .

(٤٤١) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٣ .

(٤٤٢) الخطط ج ١ ص ٢٠٣ .

اليــه ، هــذا بالاضافة الى الزمرد الذى كان يستخرج على مقربة منها(٤٤٣) ويعــد من أحسن أنواع الزمرد فى العالم(٤٤٤) •

لم تشترك ثغور مصر وموانيها الواقعة على بحر القلزم فى انتاج ســلع زراعية(٤٤٥) لوقوعها فى صحراء لا نبات فيها ولا ماء(٤٤٦) ، وتعتمد فى غــذائها على ما يأتيها من داخل البلاد فكانت بذلك مركزا لاستقبال المنتجات الزراعية ، فالقلزم كانت تعتمد فى ميرة أهلها على ما ينقل اليها من بلبيس من الدقيــق والقمح(٤٤٧) ، كما كانت عيذاب تعتمد فى غــذائها على ما يرد اليها من بلاد الصعيد(٤٤٨) ، وشاركت تنيس موانى بحر القلزم فى كونها مركزا لاستيراد السلع الغــذائية من داخل البلاد ذلك أنها كانت تقع على جزيرة محاطة بالمــاء(٤٤٩) ويذكر ابن بسام(٤٥٠) أن أعــدادا كبيرة من المراكب تأتيها محملة بالطعام فيقول « ويرد من اقليم مصر والصعيد والاسكندرية وأقصى الريف ما لا يضبط عــدده لكثرته ، يرد بأنواع الخيرات والفواكه وغيرها » ، أما بقية الموانى فكانت تشتغل فى تجارة المنتجات الزراعية ، ومن هــذه المنتجات الكتان الذى كان يزرع فى الدلتا بالقرب من دمياط(٤٥١) • ويعــد من المنتجات الهامة لاعتماد صــناعة النسيج عليه ، وكذلك القصب الذى كانت تجود زراعته بين فرعى دميــاط ورشيد(٤٥٢) ، واشتهرت الاسكندرية بزراعــة الخرنوب والزيتــون والعنب

(٤٤٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥٤ . ابن حــوقل : صــورة الأرض ، ص ٥١ .

(٤٤٤) مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٨٦ .

(٤٤٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣ .

(٤٤٦) المقــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٦ . ابن جبير : رحلته ، ص ٤٢ .

(٤٤٧) المقــدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

(٤٤٨) ابن جبير : رحلتــه ، ص ٤٢ .

(٤٤٩) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٩ .

(٤٥٠) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٨ .

(٤٥١) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٧٠ .

(٤٥٢) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٣٠ .

واللوز(٤٥٣) ، وكانت الفاكهة تحمل منها الى سائر مدن مصر(٤٥٤) ، هـذا بالاضافة الى ما انتجته رشيد من الموز والرمان والتمر(٤٥٥) ، كما أنتجت أسوان كميات كبيرة من الفاكهة والحبوب والخضروات ، والبقول والحنطة(٤٥٦) ، وأنتجت دمياط الموز الذى كان يحمل فى مراكب الى مصر(٤٥٧) ، وكانت الفرما مركزا كبيرا لانتاج أنواع مختلفة من التمر(٤٥٨) ويذكر المقريزى (٤٥٩) أن الفرما بهـا « النخيل ، العجيب ، يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا ، وكان هـذا التمر يرسل منها الى كل البلاد ، ويدلل ياقوت(٤٦٠) على وجـودة هـذا التمر ، وكبر حجمه فيقول : « ويكون فى بسرها ما تزن البسرة قريبا من عشرين درهما ، ويكون منه ما يقارب أن يكون فترا » •

وكانت أسوان تشتهر بزراعة التمر وتجارته ، فيصفها ابن حوقل(٤٦١) بقوله « أنها كثيرة النخيل ، غزيرة الغلات من التمور » ويقول الاصطخرى(٤٦٢) عنهـا « فأما أسوان فان بها نخيلا كثيرا » • وكانت أنواع التمر بأسوان متعـدده فيذكر المقريزى(٤٦٣) أن الخليفة العباسى هارون الرشيد طلب أن يجمع له من أنواع التمر الموجوده بأسوان من كل نوع تمره فجمع له ويبه(٤٦٤) ويذكر الادفـوى(٤٦٥) أن بأسوان جميع أنواع التمر الموجود بالعراق بل وبها ما ليس فى العراق مثله •

---

(٤٥٣) المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٩٧ .
(٤٥٤) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٣ .
(٤٥٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٢ . مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصـار ، ص ٨٩ .
(٤٥٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٧ .
(٤٥٧) ابن بطوطة : رحلتـه ، ص ١٦ .
(٤٥٨) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٥٢ .
(٤٥٩) الخطط جـ ١ ص ٢١٢ .
(٤٦٠) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٧ : ٣٦٨ .
(٤٦١) صـورة الأرض ، ص ١٥٩ .
(٤٦٢) مسالك الممالك ، ص ٥٣ .
(٤٦٣) الخطط جـ ١ ص ١٩٩ .
(٤٦٤) الويبة تساوى ١٦ قـدحا القلقشندى : صبح الأغشى جـ ٣ ص ٤٤٥ .
(٤٦٥) الطالع السعيد ، ص ٢٧ .

وفيما يختص بالسلع الغــذائية ، فقد أنتجت كل من تنيس والجزر المحيطة بها كميات كبيرة من الملح فيذكر ابن بسام(٤٦٦) عن تنيس أن بها « أرضا تنبت الملح الذى يفــوق بضيائه ، وعــذوبته كل ملح وبكثرته « كمــا يحــدثنا المقريزى(٤٦٧) عن جزر بحيرة تنيس فيقول : « وفى بعضها ملاحات يؤخــذ منها ملح عــذب لذيذ ملوحته » .

وكانت معظم الثغور تشتهر بصيد السمك بكميــات وافره ويقــول البغدادى(٤٦٨) . « أما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ، ولايفى القــول بنعتها لكثرة أصــنافها ، واختــلاف أشكالها وألوانها » ويقول الادريسى(٤٦٩) عن عيذاب « وبالمدينة زوارق يصــاد بها السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهى المــأكل » كما كان أهل رشيد يصيدون الأسماك من البحر وخاصة الدليس « أم الخلول » الذى كان يملح وينقل من رشيد الى سائر جهات مصر(٤٧٠)، كذلك اشتهرت الفرما بصيد الحيتان ، والأسماك الجيدة ، وكان ما يصاد منها يرسل الى الفسطاط(٤٧١) . وكان يكثر صيد السمك بتنيس وقــد وصفها ابن بسام(٤٧٢) . كما أحصى منها ٦٣ نوعا ، وقال ان ايراد الدولة منها كان يصل الى خمسين ألف دينار سنويا ويقول ابن بطوطة(٤٧٣) عن دمياط أن بها الحوت والبورى الذى يحمل منها الى مصر .

---

(٤٦٦) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .

(٤٦٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨١ .

(٤٦٨) الافادة والاعتبار ، ص ٣٦ .

(٤٦٩) نزهــة المشتاق ، ص ١٣٥ .

(٤٧٠) الادريسى : نزهــة المشتاق ، ص ١٢٢ .

(٤٧١) المقــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .

(٤٧٢) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٤٧٣) ابن بطوطة : رحلتــه ، ص ١٧ .

المواصلات الداخلية التى ربطت بين الثغور وداخل البلاد :

توفر للثغور بفضل موقعها سهولة الاتصال بداخل البلاد ، وبالتالى سهولة نقــل السلع التجارية منها واليها عن طريق شبكة من الطرق البرية والنهرية ربطت بين الموانى وبقية مدن مصر الهــامة ، وخاصة مدينة الفسطاط ، وكان لربط الموانى بالفسطاط أهمية كبيرة فى ازدهار النشاط التجارى بها ، فكانت تعــد من أهم مراكز التجــارة لموقعهــا على النيل وتوسطها الوجهــين القبلى والبحرى واتصالها بكافة البلاد المصرية عن طريق النيل(٤٧٤) .

طرق الملاحــة النهرية :

تمثلت طرق الملاحة النهرية فى امتداد نهر النيل فى مصر من جنوب الوادى الى شماله ، وتفرعه الى عــدد من الفروع(٤٧٥) . ممــا جعل منه وسيلة سهلة ورخيصة لنقل السلع التجارية بين مدن مصر وموانيها ، فكانت صفحته مليئة بالسفن الكثيرة(٤٧٦) ، ويقول ابن ظهيرة عنه(٤٧٧) المراكب الكبيرة العظيمة كالجبال بشاطىء بحر النيل المعــدة للسفر فيها على اختلاف أنواعها وأشكالها يحمل فيها الاحطاب والغلات وسائر الأرزاق ، وفى كل مركز منها تملأ شونة من الغلال كان نهر النيل يصل ما بين ثغر أسوان والفسطاط ، وتقطع المسافة بينهما فى خمسة عشر يوما(٤٧٨) .

اتصلت الموانى الشمالية بمدينة الفسطاط عن طريق نهر النيل الــذى كان يتفرع بالقرب منها الى فرعين هامين ، يتجه أحــدهما الى الغرب ليصب فى بحر

---

(٤٧٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٤ .
(٤٧٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٥٧ . ابن الفقيه الهمدانى . البلــدان ، ص ٧٨ .
(٤٧٦) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٦ .
(٤٧٧) المصــدر نفسه ، ص ٢٠٣ .
(٤٧٨) ابن الفقيه الهمدانى : البلدان ، ص ٧٨ .

الروم عند ثغر رشيد ، ويتجه الثانى الى الشرق ليصب فى بحر الروم عند ثغر دمياط ، أما تنيس فكانت تتصل بالفسطاط عن طريق خليج يخرج من فرع دمياط قبل أن يصل الى ثغر دمياط ويصب فى بحيرة تنيس(٤٧٩) .

لم تقتصر الملاحة فى نهر النيل على الفروع والخلجان الطبيعة التى تفرعت منه ، بل كان هنـــاك عـــدد من الخلجان الصناعية التى ساعدت على ربط الموانى بداخل البلاد ومن أهمها :

خليج أمير المؤمنين :

وهـــو من أقـــدم الخلجان التى حفرت بمصر ، ويرجع تاريخ حفره الى العهد الفرعونى ، وجـــدد حفره فى عهد كل من البطالمـــة والرومان ولكنه أهمـــل على مر الأيام ، فأصبح غير صالح للملاحة ، وبعـــد فتح العرب مصر جـــدد عمرو بن العاص حفره أثناء ولايته عليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب وسمى بخليج أمير المؤمنين(٤٨٠) . وكان هـــذا الخليج يخرج من شمال حصن بابليون ثم يمر بمدينة عين شمس ومنها الى وادى الطميلات الى موضع القنطرة حتى يصل الى بحر القلزم فى موضع ثغر القلزم(٤٨١) . تذكر المصادر أن سبب اتجاه العرب الى حفر هـــذا الخليج ما أصاب الحجاز من ضيق شديد فى عام الرمادة مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب يطلب العون من عمرو بن العاص بمصر ، فأرســـل له قوافل عظيمة محملة بالغلال فلما رأى الخليفة ذلك طلب من عمرو أن يحفر خليجا يصل الفسطاط ببحر القلزم حتى يسهل حمل الغلال منها فى السفن الى الحجاز(٤٨٢) ولم يستغرق حفر الخليج وقتا طويلا فيكر ابن عبد الحكم(٤٨٣)

---

(٤٧٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .
(٤٨٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١١٢ .
(٤٨١) اسعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ١١٢ .
(٤٨٢) ابن زولاق : فضائل مصر واخبارها وخواصها ، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩١ ، تاريخ ، ص ٢٠ .
(٤٨٣) ابن عبد الحاكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١١٢ .

أنه لم « يأت عليه الحو لحتى جرت فيه السفن » ويحـــدد المقريزى([484]) المدة التى استغرقها حفره بستة أشهر ، وهـــذا دليل على أن الخليج لم يكن مطمورا كلـــــه .

أفـــاد هـــذا الخليج فى تنشيط التجارة . فكانت السفن تحمل المتـــاجر من الفسطاط الى ميناء القلزم حيث تفرغ ما تحمله من ديار مصر ، ثم تحمل ما فى القازم مما وصل من الحجاز وغيره من البلاد فى طريق عودتها الى الفسطاط ، وكانت تلك المسافة تقطع فى خمسة أيام([485]) وظـــل هـــذا الخليج طريقا مائيا هاما الى ما بعـــد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حتى أهمله الولاة فغلب عليه الرمل وصار منتهاه عند ذنب جزيرة التمساح([486]) ثم أمر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور بطمه سنة ١٥٠ هـ لقطع الميرة عن الحجاز وذلك لاضـــــعاف الثورة التى قام بها محمد بن عبد الله بن حسن المعروف بالنفس الزكية فى المدينة ضـــد العباسيين([487]) .

خليج الاسكندرية :

كانت الاسكندرية تتصل بنهر النيل قـــديما عن طريق ترعة تتفرع من نهر النيل وتمتد اليها لتصلها بعـــد ٢٧ كم([488]) وكانت هـــذه الترعة تأخـــذ من الفرع الكانوبى([498]) للنيل قرب بلدة النشو البحرى (شديا القـــديمة) ولذلك

(٤٨٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧١ .
(٤٨٥) المصـــدر نفسه جـ ٢ ص ٣٤ .
(٤٨٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١١٢ .
(٤٨٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١٣ ، ١٣٩ .
(٤٨٨) لطفى عبد الوهاب : الاسكندرية فى عهد البطالمـــة ، ص ٣٠ .
(٤٨٩) كان نهر النيل يتفرع قـــديما فى الدلتا الى سبعة فروع تصب فى البحر المتوسط هى الفرع البيلوزى نسبة الى بيلوز (الفرما) ، والتانيسى نسبة الى تنيس ، والمنديسى والفاتيمى ، والسبنيتى ، والبولبتينى نسبة الى بلوليتين (رشيد) . والكانوبى نسبة الى كانوب (أبو قير) ، وكان الفرع الكانوبى أهمها ، وقـــد طم بعض هـــذه الفروع واستمر بعضها حتى الفتح العربى لمصر الذى شهد انطمار الفرع البيلوزى والكانوبى أولا والتنيسى بعـــد ذلك فلم يبق النيل الا فرعين رئيسيين هما فرع دمياط وفرع رشيد فى أواخر العهد الاسلامى .
عمر طوسون : تاريخ خليج الاسكندرية ، ص ٥١٤ .

سميت قديما بترعة شيديا(٤٩٠) وسميت هذه الترعة فى العهد الاسلامى بترعة الاسكندرية ، أو خليج الاسكندرية(٤٩١) وكانت تبدأ عند الفتح العربى من النيل عند زاوية البحر ثم تمر بالنقيدى ودنشال ثم دمنهور • وأفلاقه ، وكفر الحمايدة ، ثم الكريون فالاسكندرية(٤٩٢) •

تعرضت ترعة الاسكندرية للتطمية مرارا وكانت فى كل مرة تطهر فيها تتغير نقط بدايتها واتصالها بالنيل(٤٩٣) ، فيذكر المقريزى(٤٩٤) أنها طهرت فى عهد الخليفة العباسى الواثق بالله ، ثم طهرت فى عهد أحمد بن طولون فى عام ٢٥٩ هـ ، كما طهرت مرة أخرى فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى عام ٤٠٤ هـ ، وصرف على ذلك خمسة عشر ألف دينار ، وكان استخدام المراكب لترعة الاسكندرية مقصورا على زمن الفيضان ، حيث يصبح السفر ونقل المتاجر ميسورا من بحر الروم الى الفسطاط ، فاذا انتهى وقت الفيضان ، وانخفض مستوى الماء فى الخليج لجأت المراكب الى فرع رشيد(٤٩٥) ، وكانت المسافة بين الاسكندرية والفسطاط تقطع فى ستة أيام(٤٩٦) •

بحيرة تنيس :

كانت من أهم طرق المواصلات المائية بين موانى مصر الثلاث الفرما وتنيس ودمياط(٤٩٧) ، وكانت السفن تنتقل بين هذه الموانى الثلاث محملة

---

(٤٩٠) عبد الفتاح وهيبة : دراسات فى جغرافية مصر التاريخية ، ص ١٤٩ .
(٤٩١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧١ •
(٤٩٢) عمر طوسون : تاريخ خليج الاسكندرية ، ص ١٥ •
(٤٩٣) كانت الترعة تبدأ مرة من بادة زاوية البحر ، ومرة من بلدة شابور ، ومرة من منية ابيج ومرة من العطف ، ومرة من الرحمانية •
عمر طوسون : تاريخ خليج الاسكندرية ، ص ١٨ •
(٤٩٤) الخطط جـ ١ ص ١٧١ •
(٤٩٥) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٨٢ .
(٤٩٦) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص ٣٣١ •
(٤٩٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤١٩ : ٤٢٠ .

بالسلع التجارية فيذكر ناصر خسرو[٤٩٨] أن تنيس « يرابط حولها دائما آلف سفينة ، منها ما هـو للتجار ، وكثيرا منها للسلطان » ، وكان لاتصال بحيرة تنيس بالنيل عن طريق فرع النيل التنيسى أثره فى سـهولة اتصالها بداخـل البـلاد[٤٩٩] .

الطرق البرية :

ارتبطت الموانى بالفسطاط عن طريق عـدد من الطرق البرية فكان منها :

الطريق بين الفسطاط والقلزم :

امتد هـذا الطريق بين الفسطاط والقلزم وكانت القوافل تسير فيه غير محملة بالمتاجر[٥٠٠] ، ويكثر استعمال هـذا الطريق فى الأحوال التى كان ينطمر فيها خليج أمير المؤمنين ، أو أجزاء منه[٥٠١] ، وقـد حـدد ناصر خسرو[٥٠٢] طول هـذا الطريق بثلاثين فرسخا ، وذكر ياقوت[٥٠٣] أن تلك المسافة كانت تقطع فى ثلاثة أيام .

الطريق بين الفسطاط والاسكندرية المـار برشيد :

كانت التجارة بين الاسكندرية والفسطاط تسلك هـذا الطريق البرى اذا تعـذر سير المراكب فى خليج الاسكندرية بسبب انخفاض الفيضان ، ويبدأ هـذا الطريق من شطنوف (مركز أشمون من أعمال المنوفية) الى سبك العبيد الى منوف الى محلة صرد (من أعمال الغربية) الى سخا (من أعمال الغربية) الى

---

(٤٩٨) سفر نامة ، ص ٣٩ .
(٤٩٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .
(٥٠٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٢٢٧ .
(٥٠١) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٣١٢ .
(٥٠٢) سفر نامة ، ص ٤٥ .
(٥٠٣) معجم البلدان جـ ٧ ص ١٤٦ .

مسير (من أعمال الغربية) الى سنهور (من مركز دسوق) الى البجوم (بالقرب من رشيد واندثرت) الى نستراوه ثم الى البرلس ثم الى اخنا ومنها الى رشيد ، وكان هـــذا الطريق يمنع السير فيه عند زيادة مياه الفيضان ، حيث تكون الأراضى مغمورة بالمياه(٥٠٤) ، ويتجه هـــذا الطريق من رشيد غربا الى الساحل الشمالى حتى الاسكندرية(٥٠٥) •

الطريق بين أسوان والقاهرة :

يعـــد من الطرق البرية الهامة التى انشئت فى العصر الفاطمى ، وعادت بفائدة كبيرة على الحياة الاقتصادية ، وهـــو عبارة عن جسر يمتد على شاطىء النيل من القاهرة حتى أسوان ، وبلغ من اهتمام الفاطميين به أن عينوا لـــــه موظفا على صيانته ، وتجـــديد عمارته ورصـــد لهـــذا الغرض مبلغ قـــدره عشرة آلاف دينار سنويا(٥٠٦) •

الطريق بين الفرما والقلزم :

كان يمتد هـــذا الطريق بين الفرما على بحر الروم الى ميناء القلزم على بحر القلزم ، ويعـــــد أقصر الطرق التى تصـــل بين البحرين فيقول أبو صـــالح الأرمنى(٥٠٧) « وهـــو أضـــيق بـــر على وجـــه الأرض بين البحرين » فكانت القوافل تقطعه فى يوم وليلة حتى أن الكندى(٥٠٨) عـــده من فضائل مصر ، وكان اليهود الذين يأتون من جنوب فرنسا يستعملون هـــذا الطريق فى نقـــل متاجرهم الى الشرق ، والعودة بمتاجر الشرق عن طريقه الى الغرب(٥٠٩) •

---

(٥٠٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٨ : ١٣٩ .
(٥٠٥) الادريسى : نزهـــة المشتاق ، ص ٣٣١ .
(٥٠٦) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٣ ، جمال سرور : تاريخ الحضـــارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٦ .
(٥٠٧) تاريخـــه ، ص ٧٣ .
(٥٠٨) فضـــائل مصر ، ص ٦٧ .
(٥٠٩) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .

ارتبطت موانى مصر على بحر القلزم بطرق برية وصلتها بالمدن التجارية الهــامة الواقعة على نهر النيل كأسوان ، وقوص التى حلت محل قفط فى العصر الفاطمى ويقول الأدفوى(٥١٠) عن قفط « وقيل أنها كانت مدينة الاقليم أولا ، ثم يضيف قائلا « بجانب قفط قرية يقال لهــا قوص ، وانها شرعت فى العمارة ، وشرعت قفط فى الخراب سنة أربعمائة وما يقاربها » ، ومن هــذه الطرق :

الطريق بين قــوص والقصير :

اتصلت قــوص بالقصير عن طريق برى منذ القــدم(٥١١) ، وترجع أهميته الى أنه كان أقصر الطرق الموصلة بين قــوص على النيل وبين القلزم(٥١٢) ، حيث كانت القوافل تقطعه فى خمسة أيام(٥١٣) .

الطريق من قــوص الى عيذاب :

كان الطريق بين قــوص وعيذاب يتفرع الى فرعين أحــدهما يعــرف بطريق « العبيدين » وهــو أقصر مسافة ، والطريق الثانى يعرف بطريق « دون قنــا » ، وهى قرية على شاطىء النيل وكان هــذان الطريقان يفترقان عــن بعضهما ليلتقيا عند آبار الميــاه مرتين ، الأولى عند بئر يعرف ببئر « دنقاش » ، والثانية عند بئر تعرف « بشاغب »(٥١٤) .

الطريق من أسوان الى عيذاب :

اتصلت أسوان بعيذاب عن طريقين أولهما كان يمر عبر العلاقى ، ويخترق منطقة المعادن حيث يسلكه التجار وطلاب التبر والحجاج ، وقــد حــدد ابن

---

(٥١٠) الطالع السعيد ، ص ١٢ : ١٣ .
(٥١١) على مبارك ، الخطط الجــديدة جـ ١٣ ص ٢٠ .
(٥١٢) ياقوت : معجم البلــدان جـ ٧ ص ١٤٥ .
(٥١٣) المصــدر نفسه جـ ٢ ص ٧٠ .
(٥١٤) ابن جبير : رحلتــه ، ص ٣٩ .

رسته(٥١٥) طـول هـذا الطريق بأربعة عشر يوما ويذكر المقـدسى(٥١٦) ، انها طريق آمنة ، أما الطريق الثانى فهو طريق الوضح وسمى بذلك لخلوه من الجبال المتشبكة(٥١٧) ، وتبلغ مسافته ١٨ مرحلة وهـو بذلك أقصر من الطريق الأول ، غير أنه كان مليئا بالرمال ، وليس فيه عمران ، وقـد سلك ناصر خسرو هـذا الطريق وحـدد طـوله بأكثر من ٢٠٠ فرسخ قطعها فى خمسة عشر يوما(٥١٨) .

(ب) التجارة الخارجية فى الثغور :

طرق التجارة الخارجية :

كان مما ساعد الموانى والثغور المصرية على جعلها مراكز هامة للتجـارة الخارجية ارتباطها مع الدول الخارجية بطرق برية وبحرية ، تعـد بمثابة الشرايين التى تتدفق عبرها التجارة بين دول الشرق والغرب ، ومن أهمها :

الطرق الشمالية :

وهى تربط بين موانى مصر على الساحل الشمالى (الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية) وبين بلاد الشام ، وجزر بحر الروم ، وأوربا ، وشمال أفريقيا ومن أهمها الطرق الآتية :

الطريق البحرى من غرب أوربا الى المشرق مارا بمصر عن طريق ميناء الفرما :

وكان مسلكا لتجـار اليهـود الرزانية الذين يأتون من مقاطعـة بروفانس بفرنسا . ويسميهم المسلمون فى ذلك الوقت تجـار البحر(٥١٩) ، وكانوا يتكلمون العربية والفارسية والفرنسية والصقلبية ، ويجلبون من الغرب الجوارى والغلمان الديباج ، وجلود الخز (الذكر من الأرانب) ، والسمور والسيوف ، ويبدأ هؤلاء

(٥١٥) الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٣ .
(٥١٦) أحسن التقاسيم ، ص ٢١٥ .
(٥١٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٧ .
(٥١٨) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧١ : ٧٢ .
(٥١٩) ابن الفقيه الهمدانى : البلدان ، ص ٢٧٠ .

التجار رحلاتهم التجارية من بروفانس وترسو سفنهم عند الفرما ثم يحملون تجارتهم على الدواب الى القلزم ، ومن القلزم ينتقلون عبر بحر القلزم مارين بموانيه الهامة مثل الجار وجدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني ، وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يعودوا الى القلزم ، ومنها يتجهون الى الفرما أو الاسكندرية حيث يركبون البحر الى بروفانس(٥٢٠) ، وربما عدل فريق منهم الى القسطنطينية لبيع تجارته هناك(٥٢١) .

الطريق البرى والبحرى بين موانى مصر الشمالية والشام :

اتصلت الموانى الشمالية ببلاد الشام بطريقين أحدهما بحرى كان التجار يفضلونه لرخص تكاليفه وخلوه من قطاع الطرق(٥٢٢) ، وكانت السفن تسير فيه بعد مغادرتها موانى مصر الشمالية بحذاء الشاطىء حتى تصل الى عسقلان وقيسارية ، ويافا ، وحيفا ، وعكا ، وصور ، وصيدا ، وطرابلس ، واللاذقية(٥٢٣) أما الطريق البرى فكان يتجه من الفرما الى الشام محاذيا الساحل وكان يعرف بطريق الساحل تميزا له عن الطريق الآخر الذى يمتد عبر سيناء الى الشام يسمى بطريق « الرمل » وكان التجار يفضلون طريق الساحل ، لقلة رمله ، واعتدال هوائه ، وبعده عن مناطق البدو(٥٢٤) وكان هذا الطريق يتجه من الفرما الى البقارة ، الى الواردة ، الى العريش ثم الى رفح(٥٢٥) ، أو يسير من الفرما الى دمشق مارا بالرملة وطبرية(٥٢٦) .

---

(٥٢٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .
Heyed : Hist du Commerce de levant au Moyen Age, Tom. I.P. 41.

(٥٢١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٤٩ .

(٥٢٢) Mann (Jacob : The Jews in Egypt, P. 103.

(٥٢٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ص ٨٦ .

(٥٢٤) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ، ص ٣٢ : ٣٣ .

(٥٢٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ : ٢١٤ .

(٥٢٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٢٧ .

الطريق البرى والبحرى بين الاسكندرية وبلاد المغرب العربى :

ارتبطت الاسكندرية ببـلاد المغرب العربى بطريق برى كـان يبـدأ من الاسكندرية الى بومينة الى سفا الى أرميا الى ذات الحمام(٥٢٧) ، ثم الى الرمادة الى برقة ، ومنها الى أجـدابية ومنها الى سرت الى طرابلس الى نفوسة ، ومنها الى زويله(٥٢٨) .

أما الطريق البحرى فكان يبدأ من الاسكندرية مارا بموانى شمال أفريقيـا كالسلوم ، وطبرق ، وبرقـة ، وسوسة ، وأجـدابية ، وطرابلس وسـفاقص والمهـدية ، ومليلة ، وسبته وطنجة(٥٢٩) .

٢ ـ الطرق الجنوبية ، ومنها :

الطريق البحرى بين موانى بحر القلزم وموانى الحجاز وآسيا :

يبدأ هـذا الطريق من ميناء القلزم مارا بموانى الحجاز الهامة كالجـار ، وجـدة ثم يمضى بعـد ذلك الى بلاد الهنـد والسند والصـين(٥٣٠) ، ويذكر المقـدسى(٥٣١) أن المسافة بين القلزم وجـدة كانت ٣٠٠ فرسخ ، تقطعها السفن فى مدة تتراوح بين ٢٥ الى ٦٠ يوما حسب حالة الرياح .

أمتد طريق بحرى آخر ما بين عيذاب وجـدة ، وكانت المسافة بينهما تقطع فى يوم وليلة(٥٣٢) ، وكان الحجاج والتجار يستعملون هـذا الطريق ، غير أنه

---

(٥٢٧) المقـدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٤ .
(٥٢٨) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ص ٢ : ١٠ .
(٥٢٩) المصـدر نفسه ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .
(٥٣٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ، ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٦ .
(٥٣١) احسن التقاسيم ، ص ٢١٥ .
(٥٣٢) الادريسى : نزهـة المشتاق ، ص ١٣٤ .

كان طريقا شاقا لصعوبة الملاحة فى بحر القلزم وخطورتها ، فضلا عن ســوء معاملة أهــل عيذاب للحجاج فيقول المقريزى(٥٣٣) : ولأهل عيذاب فى الحجاج أحكام الطواغيت ، فانهم يبالغون فى شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الأجرة ، ولا يبالون بما يصيب الناس فى البحر ، بل يقــولون دائما علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح •

ومن عيذاب كان الطريق البحرى يمتد جنوبا الى بلاد اليمن وعــدن ثم الى سواحل بلاد الهند والصين(٥٣٤) •

الطرق البرية التى تربط أسوان بالنوبة والسودان :

ارتبطت أسوان بالنوبة والسودان بثلاث طرق ، كان أولهما يربط بين أسوان ومدينة دنقلة وعلوة ، فكانت المراكب تسير فى النيل من دنقلة حتى تصل الى بلاق حيث تعترض الشلالات مجرى النيل فيتحول التجار بتجاراتهم الى البر وتسير بهم القوافل بحــذاء النيل حتى أسوان(٥٣٥) ، واتصف هــذا الجزء من الطريق البرى بصعوبة السير فيه ، لانه لم يكن ممهدا ،فضلا عن شدة الجفاف والحرارة به(٥٣٦) ، أما الطريق الثانى فتخترقه القوافل عبر الصحراء الشرقية ، وكان الطريق الثالث تجــوبه القوافل عبر الصحراء الغربية ، ويسمى « بدرب الأربعــين »(٥٣٧) •

---

(٥٣٣) الخطط جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٥٣٤) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٤٦ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٠٧ .

(٥٣٥) الادريسى : نزهــة المشتاق ، ص ٣٩ .

(٥٣٦) Arkell ,A History of the Sudan From the earliest time to 1821, P. 36.

(٥٣٧) Long field : The Growth of Sudan Communication, PP. 310-311.

Charles Worth : Trade — Routes and Commerce of the Roman Empire, PP. 19, 64.

أهمية الثغور كمراكز للتجارة الخارجية :

الفــــرما :

تعــد من المراكز الهامة للتجارة الخارجية ، ويصفها المقــدسى(٥٣٨) بأنها عامرة آهلة ولها أسواق حسنة ، وترجع أهميتها الى اتصالها بالدول الخارجيــة بطريق البر والبحر ، فيقول ابن حوقل(٥٣٩) « الفرما يردها التجار فى البر والبحر نيلا ونهارا من الفسطاط والشام ، وسابلتها غير منقطعين » ، وكانت تجارتها مع التجار القادمين بطريق البر من النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القــوافل بها ، هــذا فضلا عن تصــديرها للتمر الذى كانت تنتج منه كميات كبيرة(٥٤٠) ، وكان تجار اليهود الرزانية يتخــذونها ممرا لتجارتهم التى يحملونها بين الشرق والمغرب(٥٤١) ، مما جعلها تتبوأ مكانة عظيمة فى التجارة الخارجية الأمر الذى ساعد على انتعاش حالتها الاقتصادية من عمليات الشحن والتفريغ ، والنقــل التى يقوم بها أهلها .

تنيس :

استمدت أهميتها التجارية من شهرتها فى تصــدير المنسوجات الكتانيــة الفاخرة التى كان لهــا شهرة عالمية(٥٤٢) ، فكان يحمــل من انتاجها الى العراق حتى سنة ٣٦٠ هـ ما يبلغ ثمنه عشرين ألف الى ثلاثين ألف دينار(٥٤٣) ، كما تهافت

(٥٣٨) أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .
(٥٣٩) صــورة الأرض ، ص ١٤٤ .
(٥٤٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٧ .
(٥٤١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .
(٥٤٢) Cahen, Douanes et commerce dans les ports Méditerranéens de l'Egypte médivale d'aprés le Minhadj dàl — Makhzumi "in Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol VII (1964), P. 230.
(٥٤٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٢ . المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .

على شراء منسوجاتها أباطرة الروم(٥٤٤) وكانت تنيس تصدر الى جانب المنسوجات سلعا أخرى ، منها الحنة ، والسمك المملح ، والسكر والملح(٥٤٥) .

كان لوقوع تنيس على أقصر طريق بحرى يصل بين الفسطاط وبلاد الشام أثره فى ارتباطها مع تلك البلاد بنشاط تجارى كبير(٥٤٦) ، ويشير ابن بسام(٥٤٧) لهذا فيقول : أن السفن التى كانت تنقل هذه التجارة مختلفة الأنواع منها القوارب ، والكمائم ، والعشاريات وأن عدد المراكب الواردة من الشام الى تنيس كانت تبلغ كل سنة خمسمائة مركب .

كانت تنيس عامرة بالأسواق الفخمة وبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف دكان(٥٤٨) ، ويبدو أن التخصص كان يغلب على حوانيتها ، فيذكر ناصر خسرو(٥٤٩) أنه كان بها مائة دكان عطار ، ويذكر ابن بسام(٥٥٠) أن عدد الدكاكين التى يباع فيها البز وأنواع الثياب ١٥٠ دكانا . وصفها المقدسى بقوله(٥٥١) : « وهو بلد التجارات » ثم يضيف فى موضع آخر « هى بغداد الصغرى ، وجبل الذهب ، ومتجر الشرق والغرب ، أسواق ظريفة ، وأسماك رخيصة وبلدة مقصودة »(٥٥٢) وكان الناس يقبلون على الحياة فى تنيس لما يصيبونه من ثروة فيها ، بسبب اتساع الرزق بها لمن يعمل بالتجارة(٥٥٣) .

---

(٥٤٤) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٥٤٥) Ibid : P. 227.
(٥٤٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٩٦ : ٢٩٧ .
(٥٤٧) « أنيس الجليس » ، مخطوطة . نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٧ .
(٥٤٨) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٨ .
(٥٤٩) المصدر نفسه والصفحة .
(٥٥٠) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .
(٥٥١) احسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .
(٥٥٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .
(٥٥٣) ابن الداية : المكافأة ، ص ٥٢ . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٩ .

دميـــــاط :

تكون هـــذه المدينة مع تنيس والفرما مجموعة الموانى المصرية التى تقع على الركن الشمالى الشرقى لساحل مصر الشمالى ، وكانت أهمية هذه المجموعة التجارية ترجع الى قربها من الدول الواقعـــة على الساحل الشرقى لحوض بحر الروم فيقول ابن زولاق(٥٥٤) ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم ، وأقاصى بلاد الفرنجة ، وقبرص ، وسائر سواحل الشام ، والثغور الى جـــدود العـــــراق » •

على أن أهمية ميناء دمياط فى التجارة الخارجية ما لبثت أن طغت على ثغرى الفرما وتنيس ، وأصبحت فى العصر الفاطمى الميناء الوحيـــد فى الركن الشمالى الشرقى لمصر ، ففى الوقت الذى تهاوت فيه الفرما وتنيس تحت ضربات البيزنطيين ثم الصليبيين استطاعت دمياط أن تصمد لعدوانهم وتخرج منه أشدقوه(٥٥٥) •

لم تقـــل أهمية دمياط فى تصدير منتجاتها من المنسوجات الكتانية الى الدول الخارجية عن تنيس فكانت ســـوقا عظيمة لبيـــع هـــذه المنسوجات الى الدول الخارجية ، حتى أن كازرون أكبر مدن فارس فى صناعة المنسوجات عرفت بدمياط الاعاجم(٥٥٦) ، ولم تقتصر صادرات دمياط على المنسوجات بل تعـــدتها الى الأسماك المملحة ، والجلود ، والتوابل والحنة ، والطيور والملح ، والزجاج ، والسكر ، والشب ، واستوردت دمياط فى مقابل هـــذا الحرير والذهب والفضة والأخشاب(٥٥٧) ، وقـــد جنى أهـــل دمياط من الاشتغال بالتجارة أرباحا طائلة ،

---

(٥٥٤) فضائل مصر واخبارها ، مخطوطة بدار الكتب ٣٥٩١ تاريخ ، ورقـــة رقم ، ص ١٧ •

(٥٥٥) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ٦٧ •

(٥٥٦) المقـــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٣٣ : ٤٣٤ •

(٥٥٧) Cohen, Douanes et commerce dans les ports Méditerranées de l'Egypte médievale d'après le Ménhâdj d'al-Mekhzûmi in Journal of the Economic and social Hist of orient, vol. VII (1964), P. 227.

وليس أدل على ذلك من أن بدر الجمالى اقترض من تجارها بعض الأموال عندما نزل بها بعد استدعاء الخليفة الفاطمى المنتصر له لتولى الوزارة بمصر فى عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٢م)(٥٥٨) •

رشـــيد :

لم تصل أهميتها فى التجارة الخارجية الى الدرجة التى وصلت اليها نظيرتها دمياط بالرغم من التشابه الكبير بين موقع كل من المدينتين ويرجع السبب فى ذلك الى وقوع رشيد بالقرب من الاسكندرية فضلا عما اتصف به فرع رشيد من صعوبة الملاحة وعدم التحكم فى المراكب الداخلة لها(٥٥٩) ولهذا لم يكن الواصل اليها من المتاجر كبيرا • على أن التجار كانوا يلجأون اليها فى بعض الأحيان ففى الأوقات التى تجف فيها ترعة الاسكندرية ، أو تتعذر الملاحة فيها بسبب قلة مياه الفيضان ، كان التجار يلجأون الى رشيد حتى يستطيعوا الوصول منها الى الفسطاط عن طريق نهر النيل(٥٦٠) كما كان التاجر يضطر الى دخولها فى حالة جنوح سفينته اليها وصعوبة اخراجها ، ويقول ابن مماتى(٥٦١) : وربما الجأت الريح المراكب الى دخولها ، وصعب اخراجها منها ، فتنتدب المستخدمين بالاسكندرية من ينوب عنهم فى توجيب ما عليها ، وأخذ ما يجب فيها •

الاسـكندرية :

كانت أهم مراكز التجارة الخارجية فى مصر قبل الفتح العربى وفى فترة الفتح العربى لمصر أصيبت تجارتها بالكساد ، بسبب ما تعرضت له من هدم

(٥٥٨) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٣ .
(٥٥٩) على مبارك : الخطط الجديدة ج ١١ ص ٧٥ .
(٥٦٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٩ . راشد البراوى حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٩٧ .
(٥٦١) قوانين الدواوين ، ص ٣٢٧ .

وتخريب ، فضلا عن هجرة أهل المدينة الميسورين منها ، ولم تكد تمضى موجـة الفتح العربى حتى أخـذت الاسكندرية تستعيد مكانتها التجارية(٥٦٢) ويقول الرحالة الأوربى أركولف الذى زار مصر عام ٦٧٠ م أن الاسكندرية غـدت ملتقى تجارة العالم كله ، وتوافـدت عليها أعـداد غفيرة من التجار لشراء ما بهـا من بضائع(٥٦٣) ، وفى أوائل العهد العباسى طغت شهرة بغـداد على الاسكندرية ، الا أن هـذه المدينة أخـذت فى الازدهار من جـديد منذ أيام الطولونيين(٥٦٤) ، وأصبحت الاسكندرية مع بغـداد هما اللتان تقرران الأسعار للعالم فى ذلك العصر(٥٦٥) .

وفى العصر الفاطمى كانت الاسكندرية من أهم مراكز التجارة العالمية ، وكان يفـد اليها التجار من جميع الجهات ، وقـد شاهد بنيامين التطيلى الذى زار الاسكندرية عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) فى مينائها سفنا تنتمى الى تسع وعشرين دولة ، فهى فى نظره سوق للعالمين(٥٦٦) .

اشتهرت الاسكندرية بصناعة المنسوجات الكتانية التى كانت تصـدر الى جميع الجهـات ، فكان يباع منها ما يوازى ثقلها فضة ، وبعضها بأضعاف ثقله فضـة(٥٦٧) كما اشتهرت بالمنسوجات الحريرية(٥٦٨) ، والى جانب ذلك كانت الاسكندرية سوقا عظيمة لتصدير الشب التى كان يقبل عليها تجار الروم لحاجتهم اليها(٥٦٩) ، فى حين كانت أهم الواردات التى تصلها من الغرب الخشب والحديد

---

(٥٦٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٦٨ . سعد زغلول : الاسكندرية ، ص ٢٤٢ .
(٥٦٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٢٦ .
(٥٦٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٨ .
(٥٦٥) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٧٢ .
(٥٦٦) Beazley : Dawn of Modern Ceography, V. II, PP. 261-263.
(٥٦٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٣ .
(٥٦٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة (الاسكندرية) .
(٥٦٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨ .

والقطران ، الى جانب بعض المواد الغـذائية كالزيت والبندق ، والجبن ، فضلا عن الأحجار الكريمة(٥٧٠) .

ومما يجـدر ذكره أن أهمية الاسكندرية من الوجهة التجارية لا ترجع الى أنها كانت سوقا للمنتجات المصرية بمقدار ما كانت ترجـع الى كونها سـوقا للمحاصيل الشرقية كالتوابل ، والفلفل والقرنفل ، والقرفة والزنجبيل(٥٧١) . وكانت تلك المتاجر تصل الى موانى بحر القلزم المصرية ، فاذا وصلت الى ميناء القلزم تسير فى خليج أمير المؤمنين حتى الفسطاط أو القاهرة ومنها تسير فى النيل الى ترعة الاسكندرية حتى تصل الى الاسكندرية ، أما اذا وصلت الى عيذاب أو القصير فتحملها القوافل عبر الصحراء الشرقية الى أسوان أو قـوص وعن طريق النيل الى ترعة الاسكندرية حتى تصل الى ميناء الاسكندرية(٥٧٢) .

وكانت هـذه البضائع الشرقية مطلوبة من الأوربيين وغيرهم دون انقطاع مما جعل الاسكندرية أهم مركز لتجارة البهار فى العالم ولعل ذلك كان سـببا فى تسمية أحـد أبوابها بباب البهار(٥٧٣) ، وكانت المكاسب التى تحصل من تجارة البهار كبيرة ، فقـد كان يباع أغلى من سعره بالهند خمس مرات(٥٧٤) . كان الشارع الرئيسى للمدينة ممتدا من الشرق الى الغرب ، والى جوار الميناء يقع أكثر أجزاء المدينة سكانا وهـو الحى التجارى بها(٥٧٥) ، وكان الميناء الشرقى للاسكندرية مخصصا لتجارة الفرنجة ، حيث يتم تبادل السلع والبيع والشراء

---

(٥٧٠) Cahen, Douanes et commerce dans les ports Méditerranéens de l'Egypte médievale d'aprés le Minhèdj d'al Makhzumi "in Journal of the Economic and social Hist of the orient, Vol. '1964', P. 227.

(٥٧١) دائرة المعارف الاسلامية مادة (الاسكندرية) .

(٥٧٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٠٠ : ٣٠١ سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٣١٢ .

(٥٧٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ٥١ .

(٥٧٤) لوبون : حضارة العرب ، ص ٢٤١ .

(٥٧٥) Depping : Hist du commerce entre le levant et l'Europe Tom, I. PP. 62-63.

بين هؤلاء التجار والتجار المصريين(٥٧٦) ، وكانت الاسكندرية مركز الاتصال التجارى بين مصر ودول غرب أوربا فهى أقرب اليها من دمياط وتنيس وفى ذلك يقول ابن زولاق(٥٧٧) : « ومن جهة الاسكندرية فرضة أقريطش وصقلية وبلد الروم والمغرب كلها الى طنجة ومغرب الشمس » ٠

القلـــزم :

لم يغير الفتح العربى من الوضع السائد فى بحر القلزم فى العهد البيزنطى ٠ فظلت التجارة تسير به فى طريقها المعتاد ٠ ونشطت موانى مصر على الشاطىء الغربى لبحر القلزم(٥٧٨) ، وزاد من نشاط هـذا البحر بعـده عن الاخطـار الخارجية ، فأصبح بحيرة اسـلامية تصـل بين مصر والدولة الاسـلامية فى الحجاز(٥٧٩) ٠ ويقول ابن زولاق(٥٨٠) : عن موانى بحر القلزم « أن سواحلها بالقلزم تنقـل الى الحرمين والى جـدة والى عمان والى الهند والصين وصنعاء وعـدن والشحر والسند وجزائر البحر ٠

وكانت ميناء القلزم أهم ميناء مصرى على هـذا البحر فى صـدر الاسلام ، وزاد من أهميتها تدفـق التجـارة اليها ومنها الى الفسطاط عـبر خليج أمير المؤمنين(٥٨١) ، كما كانت القلزم محطة هامة فى طريق تجار اليهود الرزانية ، فكانت السلع تنقل عن طريقها الى دول الشرق ومن الشرق الى دول أوربا(٥٨٢) ٠

---

(٥٧٦) النويرى : « الالمام بما جرت به الأحكام » ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٤٩ ، ورقة (١٠١) .

(٥٥٧) فضـائل مصر واخبـارها وخـواصها ، مخطـوط بدار الكتب رقم ٣٥٩١ ، ورقة (١٠١) .

(٥٧٨) Wiet : Histoir de la Nation Egyptienne. V. IV, P. 166

(٥٧٩) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مجلد ٢١ ، العـدد الأول ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٨٢ .

(٥٨٠) فضائل مصر واخبارها وخواصها مخطوط بدار الكتب ورق (١٧) رقم ٣٥٩١ تاريخ .

(٥٨١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٤٣ .

(٥٨٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ : ١٥٤ .

وعلى الرغم من أنها كانت تقع فى منطقة جـدبة لا نبات فيها ولا ماء ، فكانت تعيش على تجارة بحر القلزم ، فقـد وصفت بأنها : خزانة مصر ، وفرضة الحجاز ومعـونة الحاج ونظرا لأهمية التجارة فى تلك الميناء وضع الأمويون وحـدات بحرية فى بحر القلزم لحماية طريق التجارة به(٥٨٣) الا أن هـذا النشاط التجارى بدأ فى الضعف بعـد سقوط الدولة الأموية وقيـام الدولة العباسية ، فقـد حرص العباسيون على انعاش الحركة الاقتصادية فى العراق ، ومن ثم حـولوا طريق التجارة من بحر القلزم الى الخليج العربى ، وأصـبح دور ميناء القلزم ثانويا(٥٨٤) .

القصـير :

كان لهـذا الميناء دور هام فى تجارة بحر القلزم قبـل القرن الخامس الهجرى(٥٨٥) وبالرغم من أنه لم يكن يعـدو الا مرسى للسفن الا أن أهميته ترجع الى موقعة فهو أقرب نقطة تصـل بين قـوص وهى أهم مدن الصـعيد التجارية وبين بحر القلزم(٥٨٦) ، ويقول ابن شاهين الظاهرى(٥٨٧) عن قوص : وهى أهم مدن الصعيد يرد اليها التجار من البلاد الجنوبية الواصلون فى المراكب من البحر المـالح الى القصير » .

عيـذاب :

بدأت صغيرة فى أول الأمر ثم أخـذت تنمو تدريجيا حتى اصبحت تنافس ميناء القصير ، فانتزعت منها الأهمية وصار الحجاج والتجار يفضلونها بعـد أن نمت وتقـدمت فى العصر الفاطمى(٥٨٨) .

---

(٥٨٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٢٧ .
(٥٨٤) عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٤٦ .
(٥٨٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدول الفاطمية ، ص ٦٠٢ .
(٥٨٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٤٥ .
(٥٨٧) زبدة كشف الممالك ، ص ٣٣ .
(٥٥٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٢ .

وكانت عيذاب بموقعها الى الجنوب أقرب الى السفن الآتية من المحيط الهندي • لأنها توفر عليها السير مسافة كبيرة اذا ما ذهبت الى القصير أو القلزم ، كما كان لحدوث الشدة العظمى فى أيام الخليفة الفاطمى المستنصر وما تبع ذلك من خراب الدلتا أثره فى تحول قوافل الحج والتجارة الى عيذاب(٥٨٩) ، كما أدى استيلاء الصليبيين على أيلة التى تقع على زاوية خليج العقبة فى عام ٥١٠ هـ (١١١٦ م) الى تحول التجار الى طريق عيذاب ، فصارت مرسى لمراكب الهند واليمن(٥٩٠) •

كانت البضائع تنقل من عيذاب على ظهور الابل الى أسوان أو قوص ثم تحمل فى النيل الى الفسطاط(٥٩١) ، ومنها الى الموانى الشمالية وخاصة الاسكندرية التى ارتبطت معها بتجارة البهار •

وكان البهار من أهم السلع التجارية الى ترد الى عيذاب • وفى ذلك يقول ابن جبير(٥٩٢) • « ورمنا فى هذا الطريق احصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ، ولا سيما القوافل العيذابية المحملة لسلع الهند ، والواصلة الى اليمن ثم من اليمن الى عيذاب ، وأكثر ما شاهدنا فى ذلك أحمال الفلفل فلقد خيل الينا لكثرته أنه يوازى التراب قيمة » •

وليس من شك فى أن تحول طريق التجارة الى الجنوب أدى الى انتعاش كبير فى حالة عيذاب الاقتصادية لما تبع ذلك من جباية المكوس على السلع التى تمر بها أو الاستيلاء على جزء منها للاستهلاك المحلى ، كما استفاد الأهالى من اشتغال عدد كبير منهم فى شحن السلع وتفريغها ، مما أدى الى رخاء أهل

---

(٥٨٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ •

(٥٩٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ • حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٠٧ •

(٥٩١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧٢ • القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ •

(٥٩٢) رحلته ، ص ٤٠ •

عيذاب ، واستقرار الأمن بينهم(٥٩٣) هـذا فضلا عما كانوا يتحصلون عليه من الحجاج مقابل الخـدمات التى يؤدونها اليهم فيقول ابن جبير(٥٩٤) « ولكن أهلها بسبب الحجاج تحت مرفق كثير ، ولا سيما مع الحاج ، لان لهم على كل حمـل طعام يحملونه ضريبة معلومة خفيفة المؤنة بالاضافة الى الوظائف المكوسية التى كانت قبل اليوم ، ولهم أيضا من المرافق من الحاج اكراء الجلاب منهم وهى المراكب فيجتمع لهم من ذلك مال كثير فى حملهم الى جدة وردهم وقت انفضاضهم من أداء الفريضة ، وما من أهلها ذوى اليسار الا من له الجلبة والجلبتان فهى تعـود عليهم برزق واسع » .

أســــوان :

كانت السوق الطبيعية لتجارة النوبة ، وأواسط أفريقيا ، ومركزا هاما للتجارة الواردة من الهند(٥٩٥) ، ويرجع تاريخها التجارى هـذا الى العصـور القـديمة حتى أن اسمها معناه فى اللغة المصرية القـديمة « السوق »(٥٩٦) وامتدت هـذه الأهمية الى ما بعـد الفتح العربى لمصر ، ونظمت اتفاقية البقط التى عقدت بين مصر والنوبة التعامل التجارى بينهما ، وحـددت أصوله كما نصت على حرية المرور التجارى بين البلدين(٥٩٧) .

كان موقع أسوان عند نهاية طرق القوافل الآتية من السودان ، وموانى بحر القلزم سببا فى أنها أصبحت سوقا حافلة بمختلف أنواع السلع الشرقية ، ولذلك فان الأسعار فى أسواقها كانت رخيصة ، ولا أدل على ذلك من قول الادريسى(٥٩٨)

---

(٥٩٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٤ ص ٤٠٧ .
(٥٩٤) رحلتـه ، ص ٤٢ .
(٥٩٥) دائرة المعارف الاسلامية مادة (أسوان) .
(٥٩٦) سليم حسن : مصر القـديمة جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٥٩٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٥٩٨) نزهـة المشتاق ، ص ٤٠ .

« أسعارها مع الأيلم رخيصة » وقول المقريزى[٥٩٩] « وكانت أسعارها أبدا رخيصـــة » .

كان التبادل التجارى بين مصر والنوبة يتم فى قرية بلاق التى كانت بمثابة السوق لأسوان ، تأتى اليها سفن النوبة ، وسفن المسلمين من مصر وأسوان حيث يتم التبادل التجارى بينهما ، ولم يكتف تجار كل من الطرفين بذلك بل كان تجار النوبة يحملون تجارتهم الى أسوان[٦٠٠] ، التى كان من أهم وارداتها الرقيق ، والذهب ، والعاج وريش النعام[٦٠١] كما أن تجار المسلمين كانوا يذهبون الى النوبة لبيع الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون الرقيق[٦٠٢] .

كان التبادل التجارى بين تجار المسلمين والنوبة يتم بطريقتين ، الدفـــع المباشر والمقايضة ، وفى ذلك يقول المقريزى[٦٠٣] : « ولا يجوزها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك الا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء ، وانما هى معاوضة بالرقيق والمواشى والحبال والحـــديد والحبـــوب » .

ومما زاد الرواج التجارى بأسوان ، أن التجار كانوا يفضلون الذهاب عن طريقها الى عيذاب بدلا من قـــوص ، ذلك أنها تتيح لهم فرصة أكبر فى تبادل السلع مع تجار النوبة بها ، هـــذا فضلا عن أن الحجاج كانوا يذهبون منها الى عيـــذاب[٦٠٤] .

---

(٥٩٩) الخطط جـ ١ ص ١٩٧ .
(٦٠٠) الادريسى : نزهـــة المشتاق ، ص ٤٠ .
(٦٠١) دائرة المعارف الاسلامية مادة (أسوان) .
(٦٠٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤١ .
(٦٠٣) الخطط : جـ ١ ص ١٩١ .
(٦٠٤) محمد على الحويرى : اسوان فى العصور الوسطى ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٢ : ١٠٤ .

ولا شك أن الرخاء الذى أصاب عيذاب بعــد تحول طرق التجارة اليها فى العصر الفاطمى قــد أصاب مثله أسوان نتيجـــة لنشاط الحركة التجارية بين البلــــدين •

المنشآت التى أعــدت لاقامة التجار بالثغور :

لمـــا كانت الثغــور والموانى المصرية مراكز هامة للتجارة الخارجية ، فقــد توافــد عليها أجناس عــديدة من التجار ، سواء من البلاد الاسلامية أو البلاد الأجنبية ولذلك كان لابد من اعــداد مكان لهؤلاء التجار يأوون اليه ، ويزاولون فيه أعمالهم التجارية ، ولذلك أقيمت مبان مختلفة لخــدمة هؤلاء التجار •

الفنـــــادق :

أقيم منها عــدد كبير فى الموانى ، وتزايد هــذا العــدد كثيرا فى عصر الدولة الفاطمية التى أذنت للتجار الايطاليين وغيرهم بانشاء الفنادق الخاصـــة بهم نتيجة للتوسع التجارى فى هــذا العصر(٦٠٥) •

وقــد زخرت الاسكندرية بوجــه خاص بعــدد وافر من هــذه الفنادق فكان لكل جالية من التجار الأجانب فندق تقيم به(٦٠٦) ، ويذكر ابن بسام(٦٠٧) أن تنيس كان « بها من الفنادق والقياسر خمسون سواء ، ثم بنى فى سنة ٤٠٥ هـ ستة آدر للتجار كبـــار فصار الجميع ستة وخمسون موضعا ، كمـــا ذكر ابن جبير(٦٠٨) ، أن بعيذاب فندق وقــد نزل فيه أثناء اقامته بالمدينة وهـــو فى طريقه للحج •

---

(٦٠٥) جمال سرور . تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٠٦ .
(٦٠٦) عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٥٠ .
(٦٠٧) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .
(٦٠٨) رحلتـــه ، ص ٤٢ .

والفندق عبارة عن بناء يقيم فيه التجار الأوربيون ، ويحفظون فيه بضائعهم ، ويكون اما فى داخل المدينة أو خارجها(٦٠٩) ، وكان مبناه يتألف من عدة طوابق ، الدور الأرضى منها عبارة عن مخازن وحوانيت تطل على فناء داخلى فسيح الارجاء تعبأ فيه البضائع ، أما الأدوار العليا ففيها مساكن لاقامة التجار(٦١٠) .

وكان الفندق يحتوى الى جانب ذلك على كنيسة صغيرة ، يقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وبه فرن يصنعون فيه الخبز حسب عادتهم ، وكانوا عادة يختارون أحد أفراد الجالية للاشراف على تنظيم الاقامة بالفندق ، ويمثلهم أمام السلطات الحاكمة ، ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقى(٦١١) .

ولم يكن للأجانب حق ملكية الفنادق ، فهى أبنية مصرية وضعت تحت تصرفهم تسهيلا لاقامة تجارهم فى البلاد وقيامهم بالصفقات التجارية(٦١٢) .

القياسر(٦١٣) :

كانت القيسارية مجموعة من المبانى العامة وبها حوانيت ومصانع ، ومخازن ، ومساكن ، وكان فى بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين ، ويعلوها

---

(٦٠٩) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٧١ .

(٦١٠) Heyé : Hist du commerce de levant au Moyen Age, Tom, II. PP. 430-431.

(٦١١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٠ .

(٦١٢) Cahen, Douans et commerce dans les ports Méditeranéens de l'Egypte médiévale d'aprés le Minhàdj d'al-Makhzumi "in Journal of Economic and Social Hist of the orient, Vol. VII (1964), P. 238.

(٦١٣) مفردها قيسارية بمعنى سوق وأصل الكلمة لاتينى Cagsaria

رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر(٦١٤) وكانت القياسر تنشأ للتجار الأجانب على اختلافهم وان كان التجار الأوربيون يفضلون الاقـــامة فى فنادقهم وكان بمبانى القيسارية أقسام لمبيت التجار والصناع بصفة مؤقتة أو دائمة ، وكان بها أيضا أماكن للصناع لمزاولة أعمالهم(٦١٥) • وتعرف القيسارية باسم منشئها ، أو باسم ما يباع فيها كقيسارية ابن ميسر وقيسارية العصفر وقيسارية العنبر(٦١٦) •

---

(٦١٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٦٠ : ١٦١ .
(٦١٥) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ص ٢٧٢ .
(٦١٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٨٦ : ٩١ .

الباب الثالث

التنظيمات الحربية في الثغور المصرية

١ ـ القـوات البرية فى الثغـور .

٢ ـ اعـداد القوات البحرية فى الثغـور .

٣ ـ التحصينات والأسـلحة الحربية فى الثغـور .

البـــاب الثالث

التنظيمات الحربية فى الثغور المصرية

١ — القوات البرية فى الثغور

أدرك العرب منذ الفتح الاسلامى لمصر أهمية موقعها وضرورة الدفاع عنها ضـــد من يحاول الاعتداء عليها ، فيقول عمرو بن العاص فى احدى خطبه لأهـــل مصر :

« واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعـــداء حولكم ، وتشوق قلوبهم اليـــكم ، والى داركم معـــدن الزرع والمـــال ، والخير الواســـع والبركة النـــامية »(١) .

ولمـــا كانت مصر من البلاد ذات الحـــدود الساحلية(٢) ، لذلك أصبحت الموانى المطلة على هـــذه الحـــدود ذات أهمية حربية كبيرة ، بسبب الخطورة التى تتعرض لها من الأعداء المجاورين ، وتفاوتت الأهمية الحربية للموانى بتفاوت الأخطار التى تتعرض لها ، فالموانى المطلة على بحر القلزم لم تكن مصدر مخافة أو خطر الا فى فترات قليلة خلال العصر الاسلامى ، فقـــد تحول بحر القلزم بعد فتح العرب مصر الى بحيرة اسلامية تصل مصر بمركز الدولة الاســـلامية فى الحجاز(٣) ، أما الموانى المطلة على بحر الروم فظلت طوال العصر الاســـلامى

---

(١) ابن زولاق : فضائل مصر واخبارها ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٥٩١ تاريخ ، ص ٢٦ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٥ .

(٣) سعاد ماهر : « محافظات الجمهورية العربية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ ، العـــدد الأول ، مايو سنة ١٩٥٩ ، ص ١٨٢ .

مصدر خطر عظيم ، لتعرضها لكثير من العدوان من جانب الروم والصليبيين(٤) ، وكذلك كانت أسوان معرضة لعـدوان النوبة والبجة(٥) ، ومن هنا أخذت تتضح الأهمية العسكرية للموانى المصرية ، وغدت تلعب دورا حربيا هاما فى تاريخ مصر الاسلامية ، فسميت بالثغور ، ويقول المقريزى(٦) : فى ذلك ، وبمصر عـدة من الثغور المعدة للرباط فى سبيل الله تعالى ، ويذكر منها رشيد والاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما وأسوان .

عرف الثعالبى(٧) الثغر بأنه مكان المخافة ، وعرفه ياقوت(٨) بأنه كل مكان قريب من أرض العـدو ، والثغور علي ذلك هى البلاد التى تقـع على الحـدود بين الدولة الاسلامية وما جاورها من الدول(٩) ويعلل ابن خلدون(١٠) تسمية الاسكندرية بالثغر بقوله : « فافهم ذلك واعتبره فى اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها ببرقه وأفريقيا ، وانمـــا أعتبر فى ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها » .

يقسم قـدامة بن جعفر(١١) الثغور من حيث الموقع الى ثلاثة أقســام فيقــول : « منها برية تلقاه بلاد العـدو وتقاربه من جهة البر ومنها بحرية تلقاه أو تواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران ، وتقـع المغـازى من أهله فى البر والبحر » ، وفى ضـوء هـذا التقسيم نجـد أن الثغور المصرية بعضها برية مثل ثغر أسوان ، والبعض الآخر بحرية كالثغور الواقعة على الساحل الشمالى والشرقى ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران مثـل ثغر عيـذاب والفرما

---

(٤) ابن خلدون : المقـدمة ، ص ٢٣٩ .
(٥) ابن خردانبة : المسالك والممالك ، ص ٨٣ ، قـدامه بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ، ص ٢٩٥ .
(٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٨ .
(٧) فقـه اللغـة ، ص ٢٧٢ .
(٨) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٣٦ .
(٩) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ ، ص ٤٤٩ : ٤٥٠ .
(١٠) المقـدمة ، ص ٣٣٢ .
(١١) نبذ من كتاب الخراج ، ص ٢٥٣ .

والاسكندرية : ولهـذا أصبحت الثغور المصرية بمثابة خطوط أمامية تواجـه ضربات الأعـداء وتتصـدى لهجماتهم دفاعا عن المدن الداخلية ، ولم يقتصر دورها الحربى على ذلك ، بل أصبحت قواعـد حربية تنطلق منها جيوش المسلمين وأساطيلهم الى بلاد الأعـداء ويقول المقريزى(١٢) : « أنه يغزى من هـذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان » .

كان الخطر الذى يتهـدد العرب فى مصر بعـد فتحهم لهـا محاولة العدو النزول الى السواحل المصرية عن طريق البحر ، والعـدوان على الثغور ، ذلك أن العرب وقتئذ لم يكن لهم خبرة بشئون البحر ، ولا أدوات الانتفاع به ، وكان الخطر من ناحية البيزنطيين عظيما ، فكانت لهم الأساطيل المعززة بالقـوات البحرية التى تستطيع مهاجمة سواحل مصر(١٣) ، ومن ثم صار الساحل بالنسبة للبيزنطيين حـدا يسهل مهاجمته والاستيلاء عليه بينما كان بالنسبة للمسلمين خط دفاع معرضا للخطر ، مما دعا للتفكير فى ضمان الحماية لثغور مصر ، فاتبـع المسلمون سياسة دفاعية قوامها شحن الثغور بالحاميات العسكرية ، يقـول الحسن بن عبد الله(١٤) « وليكن فى الثغر من الشجعان وذوى البصائر فى القتال وأهـل الحمية والأنفـة والدين المتين ، فبمثل هؤلاء تصان الثغور » ، ويصف البلاذرى(١٥) تلك السياسة الدفاعية فيقول : « وكان المسلمون كلمـا فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قـدر من يحتاج اليه من المسلمين ، فان حـدث فى شىء منها حـدث من قبل العـدو سربوا اليها الأمداد » .

ويبدو أن عـدد جند الحاميات العسكرية بالثغور لم يكن كبيرا فى أول الأمر ، فلم تتعـد الحامية التى وضعها العرب بالاسكندرية بعـد الفتح ألف جندى(١٦) ، ممـا شجع البيزنطيين على العودة اليها فى عام ٢٥ هـ واستولوا

---

(١٢) الخطط جـ ١ ص ٢٨ .
(١٣) ابن خلدون : المقـدمة ، ص ٣٩ .
(١٤) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٦ .
(١٤) آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٦ .
(١٥) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ١٥٢ .
(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦١ .

عليها بعـد القضاء على حاميتها قضاء تاما[١٧] ، وقـد وجـد العرب صـعوبة كبيرة فى استعادة الاسكندرية من البيزنطيين[١٨] مما جعل عمرو بن العـاص يضع نظاما للحاميات العسكرية بالثغور يوضح لنـا مدى اهتمام العرب بهـا ، فأبقى ربع القيـوات العسكرية التى يتكـون منها جيش مصر من المسلمين بالاسكندرية ، وخص بقية السواحل بالربع الثانى ، واحتفظ بالنصف الباقى لداخل البلاد ، والى جانب ذلك كان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهـل المدينة ترابط بالاسكندرية[١٩] .

كذلك اهتم الخليفة عثمان بن عفان بحاميات الثغور المصرية وخاصة حامية الاسكندرية ، فكتب الى والى مصر عبد الله بن سعد « قـد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية ، وقد نقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية رابطتها ، ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم فى كل ستة أشهر »[٢٠] ، كما أمر الخليفة كذلك بمنح أجناد الثغور الاقطاعات واعطائهم ماجلا الروم عيه من منازل ، وكان لهـذه السياسة أثرها فى اقبال الناس من كل ناحية للاقامة بالسواحل للجهـاد فى سـبيل الله[٢١] .

لقيت الحاميات بالثغور المصرية اهتمام الأمويين ، فبلغت حامية الاسكندرية فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان اثنى عشر ألفـا من الجند النظامى تحت قيادة علقمة بن يزيد الغطيفى من قبل والى مصر عتبة بن أبى سفيان ولمـا كانت الاسكندرية معرضة لغزو البيزنطيين فقـد استصغر علقمة بن يزيد تلك الحامية وأرسل للخليفة يشكو قلة ما معه من الجند ويتخوف على نفسه ومن معه ، فأجاب معاوية طلبه بزيادة عـدد الحامية الى سبعة وعشرين ألفا[٢٢] .

---

(١٧) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ .
(١٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٦٨ .
(١٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٩٢ ، ص ١٣٠ : ١٣١ .
(٢٠) المصـدر نفسه ، ص ١٣٠ : ١٣١ .
(٢١) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ١٥٢ .
(٢٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣١ .

كذلك نالت بقية الثغور حظـا وافرا من عناية الأمويين ، وليس أدل على اهتمام الأمويين بأمر حمايتها من الأعـداء من خروج الولاة مع جيوشهم للرباط فيها ، ويبدو أن هـذه الخرجات التى كان يقوم بها الولاة ، كان الهـدف منها تفقد أحـوال الثغور ، كالتفتيش على الجيوش ، والتحصينات الموجودة بها فلم تكد تصل الى الوالى عتبة بن أبى سفيان الاخبـار بشكوى قائد حامية ثغـر الاسكندرية من قلة ما معه من الجند حتى خرج اليها مرابطا فى ذى الحجة من عام ٤٤ هـ(٢٣) كما خرج الوالى مسلمة بن مخلـد الى الاسكندرية مرابطا فى عام ٦٠ هـ(٢٤) ، وخرج الوالى عبد العزيز بن مروان الى الاسكندرية مرابطا أربع مرات أثناء ولايته فيما بين عامى ٧٤ — ٨٣ هـ(٢٥) ، كما خرج الوالى قرة بن شريك للرباط بثغر رشيد ، ثم سار الى الاسكندرية فى عام ٩١ هـ(٢٦) ، وفى عام ١٠٣ هـ توجـه حنظله بن صفوان الى الاسكندرية للرباط بها(٢٧) ، وكذلك خرج الحر بن يوسف الى دمياط فى عام ١٠٧ هـ فرابط بها ثلاثة أشهر(٢٨) ، كما خرج المغيرة ابن عبد الله الفزارى الى الاسكندرية مرابطا فى عام ١٣١ هـ(٢٩) .

استمرت الدولة الاسلامية على سياستها فى الاهتمام بالحاميات العسكرية فى الثغور المصرية خلال العصر العباسى ، فيقـول الكندى(٣٠) ، ان مواحيز (حـدود) مصر يعمرها أهـل الديوان وطائفة المطوعة ، والى جانب ذلك توالى خروج الولاة بجيوشهم للرباط فى الثغور كما فعل الأمويون من قبل ، ففى عام ١٣٥ هـ سار الوالى أبو عون عبد الملك بن يزيد الى دمياط مرابطا(٣١) ، وفى عام

---

(٢٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٦ .
(٢٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٠١ .
(٢٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥١ : ٥٣ .
(٢٦) المصـدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٢٧) المصـدر نفسه ، ص ٧١ .
(٢٨) المصـدر نفسه جـ ١ ص ٣٠٢ .
(٢٩) الولاة والقضاة ، ص ٩٣ .
(٣٠) المصـدر نفسه ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ .
(٣١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٠٦ .

١٤٢ هـ توجـــه الوالى محمد بن الأشعث الخزاعى الى الاسكندرية للرباط(٣٢) ، كما خرج الوالى يزيد بن عبد الله بن دينار الى دمياط مرابطا فى المحرم ٢٤٥ هـ ، وفى أثناء رجـــوعه منها فى ربيع الأول بلغه نزول الروم بالفرما فعاد بجيشه الى الفرما(٣٣) ، وفى عام ٣٠٤ هـ سار ذكا الرومى للرباط فى الاسكندرية (٣٤) .

نالت حاميات الثغور وخاصة الاسكندرية اهتمام أحمد بن طولون يقـــول البلوى(٣٥) : « وخرج أحمد بن طـــولون اليها مرابطا فرحا بما حصل له لمحبته الثغور لا غير » .

كذلك حرص الفاطميون على ابقاء حاميات بالثغور كاملة العـــدة والعـــدد ، فيذكر ناصر خسرو(٣٦) أن مدينة أسوان محصنة جـــدا بحيث لا يستطيع أحـــد أن يقصدها من النوبة ، وبها جيش دائم للمحافظة عليها ، كما يذكر المقريزى(٣٧) أن بأسوان رجالا من العسكر مستعدون لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه ، ويقول ناصر خسرو(٣٨) فى حـــديثه عن تنيس أن بها حامية مسلحة تسليحا قـــويا للسهر على حمايتها من هجمات العـــدو ، كما كان بالقلزم أجناد لحفظه(٣٩) ، كذلك وجـــدت قـــوات عسكرية بولاية الشرقية على أهبة الاستعداد للدفاع عن الفرما ، ويطلق على بعض هـــذه القوات « المركزية » لانها تتمركز فى المدن ، وبعضها الآخر يعرف « بالمقطعين » لانها تعيش على الاقطاعات(٤٠) .

واهتمت الدولة الفاطمية بالحامية المقيمة بثغر دمياط ، فكان المرابطـــون

---

(٣٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٩ .
(٣٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٢ .
(٣٤) المصـــدر نفسه جـ ١ ص ٣٢٨ .
(٣٥) سيرة أحمد بن طولون ، ص ٤٧ .
(٣٦) سفر نامة ، ص ٧١ .
(٣٧) الخطط جـ ١ ص ١٩٨ .
(٣٨) سفر نامة ، ص ٤٠ .
(٤٠) المصـــدر نفسه ، ص ٢١٢ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٠٥ .

يقصدونها من كل مكان[٤١] ، وزاد هـذا الاهتمام فى أواخر العهد الفاطمى بسبب تعرضها لغارات الصليبيين ، فشحنوها بأعـداد هائلة من الجند المزودين بالسلاح والعتاد[٤٢] ، كما اهتم الفاطميون أيضـا بالقوات البرية المقيمة بثغر الاسكندرية فكانت من القواعـد الحربية الهامة فى عهدهم[٤٣] .

اضطلعت حاميات الثغور بدور هام وخطير فى صـد المعتدين عن ثغـور مصر ، وهى بذلك تدفع الخطر عن داخل البلاد ، ولم توضح لنا المصادر هـل كانت تلك الحاميات تنضم الى الجيوش التى تخرج من بعض الثغور للغـزو والفتح أو لرد العـدوان ، لو أن عملها اقتصر على المرابطة فى الثغور ، ومن المرجح أن هـذه الحاميات كانت مهامها مقصورة على المرابطة فى الثغور حتى لا تصبح عرضة للسقوط فى أيدى الأعـداء مثل ما حـدث فى دمياط حيث اعتدى عليها الروم وعاثوا فيها فسادا فى عام ٢٣٨ هـ منتهزين فرصـة غيـاب حاميتها عنهـا[٤٤] .

اتبع العرب وسيلتين لتنظيم الدفاع عن ثغـور مصر ، الأولى بمعاونة الحاميات المقيمة فى مدن الثغور ، والمتمركزة على مقربة من الساحل أو الحدود ، وكانت هـذه القوات ترابط بكامل عـدتها وعتادها فى الثغور فى فصلى الربيع والصيف حيث تكثر الغزوات البحرية نظرا لملاءمة الأحوال الجوية لتجول السفن الحربية فى البحار ، وكان يطلق على هـذه الحاميات الصوائف[٤٥] ، ويذكر ابن مماتى[٤٦] أنه فى شهر برمهات (فى أوائل فصل الربيع) تهتم الدولة بتركيز الأجناد بالثغور لجريان المراكب فى البحر ، أما فى فصـل الشتاء حيث تسـود

(٤١) المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(٤٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣٤ .
(٤٣) صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حـوض البحر المتوسط ، ص ١٨٦ .
(٤٤) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ١١ .
(٤٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٩٣ .
(٤٦) قوانين الدواوين ، ص ٢٤٧ : ٢٤٨ .

أحوال جوية غير ملائمة للملاحة فقد جعله المسلمون فترة استجمام للجند ، وعناية بالخيول التى تشترك فى القتال ، وكانت هــذه الفترة يعقبها التجمع فى الفسطاط من جــديد للتفتيش على الجند ، وخاصة فيما يختص بالعناية بالخيول(٤٧) ، ولم تكن الثغور فى فترة الشتاء تترك خالية من الجند ، فكان يرابط بها حاميات قليلة العــدد تعرف « بالشواتى »(٤٨) .

يطلق على الجند المقيمين بالثغور المرابطين ، والمرابطة هى ملازمة الثغر للدفاع عنه ، عملا بقوله تعالى : (وأعــدوا لهم ما استطعتم من قــوة ومن رباط الخيل ترهبون به عــدو الله وعــدوكم)(٤٩) ، وعملا بالحــديثين الشريفين (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) (وكل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة)(٥٠) .

لــا كان المسلمون يرون فى هــذه المرابطة لونا من ألوان الجهاد فى سبيل الله ، لذلك كانوا يتسابقون فى الانضمام الى الحاميات بالثغور ، يحرســون عــورات المسلمين ، وينالون الشهادة دفاعا عن عقيدتهم ، فجــذب الرباط اليه كل الأتقياء المتحمسين العاملين على اعزاز الاسلام ونصرته ، يذكر البلاذرى(٥١) « أن عمر بن الخطاب قال للزبير بن العوام : يا أبا عبد الله هل لك فى ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لى فيها ، ولكنى أخرج مجاهــدا وللمسلمين معاونا ، فان وجدت عمرا قــد فتحها لم أعرض لعمله ، وقصدت الى بعض السواحل فرابطت به ، وان وجــدته جهادا كنت معه فسار على ذلك » ويذكر ابن سعيد(٥٢) : « أن معاوية أمسك على عبد الله بن عمرو بن العــاص ولاية مصر بعــد أبيــه ، ثم عزله ، فسكن الاسكندرية عابدا مرابطا للجهاد » ، ويقول البلوى(٥٣) « ان موسى بن

---

(٤٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٩٨ : ٩٩ .
(٤٨) المصــدر نفسه ، ص ٩٣ .
(٤٩) سورة الأنفــال آية (٦٠) .
(٥٠) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩٠ .
(٥١) فتوح البلدان ج ١ ص ٢٥٠ .
(٥٢) المغرب فى حلى المغرب ، ص ٥٥ .
(٥٣) سيرة احمد بن طولون ، ص ٤٦ .

طولون عندما طلب من أخيه ولاية الإسكندرية قال له : « وانما طلبت هـذا البلد لانه ثغر من الثغور ، اخترت المقام فيه والتعبد » •

كانت الثغور الى جانب أهميتها الحربية مجمع عناصر مختلفة من أنحاء العالم الاسلامى ، ذهبوا اليها لأغراض مختلفة وان غلب عليهم جميعا الخروج عن الدنيا فى سبيل الله ، وهـذه صفة من صفات المتصوفة ، ومن هنا صار المكان الذى يجتمع فيه هؤلاء يسمى الرباط(٥٤) •

كانت الاربطة عبارة عن حصون يتجمع فيها الجند استعدادا للدفاع عـن المناطق المعرضة لغارات الأعـداء ، وكانت ملجأ يحتمى به الأهالى فى المناطق التى يدهمها العـدو ، وكان الحصن منها يضم حجرات للجند ، ومخازن للأسلحة والمؤن ، وبرجا للمراقبة ، ولم تلبث أن زادت أهمية الاربطة حتى غـدت قواعد للهجوم وشـن الغارات(٥٥) •

امتلأت الثغور بهـذه الاربطة ، فيقول المقـدسى(٥٦) عن دمياط : « وفيها رباطات كثيرة ، يقصدها المرابطون من كل جانب » ، أما الفرما فكانت الاربطة بها عبارة عن أخصاص مقامة على الساحل ، يقيم فيها المرابطون(٥٧) ، وفيما يتعلق بالاسكندرية لم تكن الظروف بها بعـد الفتح مهيئة لبناء الاربطة ، فخصص عمرو بن العاص لتكنات الجند الدور والقصور التى تركها الروم عند جلائهم عن المدينة بعـد الفتح وكانت الدار تعطى أول الأمر للعريف ورجاله عنـدما يأتون للمرابطة بها حتى اذا ما انتهت دورتهم حل محلهم مجموعة أخرى ، وقـد أدى نظام الشيوع هـذا الى خراب تلك الدور لتركها دون ترميم أو صيانة ، وعندما لاحظ عمرو بن العاص هـذا الوضع عمل على تلافيه فرأى أن تخصص لساكنيها فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى

---

(٥٤) حسن الباشا : الألقاب الاسلامية فى التاريخ ، ص ٤٤٦ •
(٥٥) ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، ص ١٣٠ •
(٥٦) احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ •
(٥٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١١ •

بعض بيوت الدار ، فكانت الدار لقبيلتين أو أكثر ، حتى اذا تركوها سكنها الروم على أن يقوموا بترميمها وصيانتها بدلا من الكراء ، وبذلك أصبحت ملكا عاما للعرب لا يحل لأحدهم كراؤها ولا بيعها ولا توريثها(٥٨) ، ثم بنى العرب بالاسكندرية بعد ذلك الرباطات فيقول ابن رستة(٥٩) . « ان بها رباطات على الساحل يضرب ماء البحر حيطانها تسمى المحارس » .

كان المرابطون يتناوبون مراقبة البحر ، جماعة بعد جماعة ، جماعة منهم تراقب وبقية الجماعات تزاول أعمالها اليومية حتى اذا لاحت سفن العدو نفر الجميع ووقفوا صفا واحد فى وجه العدو بعد أن ينذروا مراكز القيادة بداخل الدولة(٦٠) ، كما كان على جنود الرباط أن يحتاطوا فى فتح الأبواب واغلاقها ، فلا يكون فى وقت الغلس ، ولا يهملوا أمر ظواهر البلد وضواحيها من المطالع والارصاد من جهة العدو لئلا يهجم عليه ويطرق الثغر فى غفلة(٦١) .

كان الانذار بتعرض الثغر للهجوم يتم عن طريق اعطاء الاشارات لبقية الاربطة والثغور والمدن الداخلية كى ترسل النجدة للثغر المعتدى عليه ، وقد أخذ العرب فكرة اعطاء الاشارات بايقاد النار من البيزنطيين(٦٢) ، فأقاموا المواقيد بالسواحل فاذا لاح الخطر عند ثغر من الثغور بادر الجند المكلفون بمراقبة هجوم العدو الى ايقاد النار فى الموقد اذا كان الوقت ليلا ، وارسال الدخان منه اذا كان الوقت نهارا فيشاهد ذلك أصحاب الموقد التالى لهم فيوقدون ناره أو يرسلون دخانه(٦٣) ، فاذا تراءت الاشارات أسرع كل جندى الى رابطته وسار الجميع الى موضع الخطر ، وكانت اشارات المواقيد تتوالى من الساحل من موقد الى

(٥٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٩٣ .
(٥٩) الأعلاق النفيسة ، ص ١١٨ .
(٦٠) احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب ، ص ٢٢٤ .
(٦١) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٦ : ١٦٧ .
(٦٢) حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر المتوسط » ، المجلة التاريخية المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ٨٩ .
(٦٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٧٧ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٥٧ .

موقـــد حتى تبلغ الفسطاط فيخف المـــدد على عجل(٦٤) ، ويبدو أن العرب قـــد اتقنوا هذا الفن الحربى اتقـــانا كبيرا فيذكر المقريزى(٦٥) ، أن النـــار كانت توقـــد من مدينة سبته الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية فى ليلة واحـــدة وبينهما مسيرة أشهر .

ولم يكن وجـــود الاربطة المشحونة بالجند وقفا على داخل الثغور فقط بل كانت تقـــام فى كل مكان يخاف عليه من هجوم العدو ، وقد أحصى المقريزى(٦٦) الاربطة الموجودة بمصر وذكرها فى قوله : « وبمصر عـــدة من الثغور المعـــدة للرباط فى سبيل الله تعالى وهى البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمـــام والبحيرة والخنا(٦٧) ، ودمياط وشـــطا وتنيس والاشـــتوم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقـــوص والواحات » ، ويضيف اليها ابن زولاق(٦٨) ، رباط الشجرتين ورباط برقه وطرابلس الا أنه يذكر أن رباط برقه وطرابلس خرجت من مصر عام ٣٠٠ هـ وأضيفت الى رباط المغرب .

ومن الملاحظ أن معظم الاربطة السابق ذكرها تقـــع على ساحل بحر الروم أو على البحيرات القريبة من هـــذا الساحل ، مما يدلنا على عظم الخطر الواقع على هـــذا الساحل ، ويذكر ابن عبد الحكم(٦٩) أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان عندما وصلته شكوى قائد رابطة الاسكندرية علقمة بن يزيد الغطيفى من قـــلة ما معه من الجند أرسل اليه المـــدد ، ولم يكتف بذلك بل أرسل اليه يقـــول : « أمرت معن بن يزيد السلمى أن يكون بالرملة(٧٠) فى أربعة آلاف ممسكين بأعنة

---

(٦٤) حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر المتوسط » ، المجلة التاريخية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ٨٩ .
(٦٥) الخطط جـ ١ ص ١٧٤ .
(٦٦) المصـــدر نفسه جـ ١ ص ٢٨ .
(٦٧) من كور الحوف الغربى وتقع بالقرب من الاسكندرية ياقـــوت : معجم البلدان جـ ١ ص ١٥٤ .
(٦٨) فضائل مصر واخبارها ، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩١ تاريخ ، ص ٨١ .
(٦٩) فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣١ .
(٧٠) المقصود بها رمل الاسكندرية ، سعد زغلول : الاسكندرية ، ص ٢٥٩ .

خيولهم متى يبلغهم عنك فزع يعبروا اليك » ، وعندما اعتدى الروم على دمياط فى عام ٢٣٨ هـ وبلغ الخبر والى مصر عنبسه بن اسحق سار بجيشه الى دمياط(٧١)، ويذكر ياقوت(٧٢) ان العدوان على دمياط حدث يوم عرفه ووصل الخبر الى عنبسة بن اسحق يوم النحر ، ومعنى هذا أن خبر العدوان استغرق فى وصوله يوما واحدا بين دمياط والفسطاط وفى عام ٢٤٥ هـ نزل الروم على الفرما وبلغ ذلك والى مصر يزيد بن عبد الله الذى كان فى طريقه الى الفسطاط بعد رباطه فى دمياط فعاد بجيشه الى الفرما ليعاون فى قتال الروم(٧٣) .

أعداد الجيش وتنظيمه بالثغور :

تألفت حاميات الثغور من نفس العناصر التى كانت تتألف منها الحامية المصرية ، ففى أول العهد العربى كان الجند من العرب ، وظل الحال على ذلك حتى نهاية الدولة الأموية(٧٤) ، وفى أوائل العهد العباسى ظهر فى الجيش العنصر الفارسى ، ثم ظهر العنصر التركى ، واعتمد عليه الخليفة المعتصم فى اعداد جيشه ، وآثره على الفرس والعرب ، بل أنه أمر باسقاط أسماء العرب من الدواوين وقطع اعطياتهم ، وبعث الى والى مصر كيدر نصر بن عبد الله باتباع ذلك(٧٥) .

ولما استقل أحمد بن طولون بولاية مصر ، أدخل عناصر جديدة فى جيشه ، فيقول المقريزى(٧٦) أنه استكثر من الأتراك الى جانب السودان والمرتزقة ، كما ضم ابنه خمارويه الى الجيش عددا من العرب المقيمين فى حوف مصر ، وفى العهد الاخشيدى تألف الجيش من الأتراك والسودانيين ، ومماليك

---

(٧١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠١ .
(٧٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦ .
(٧٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠٣ .
(٧٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٠ : ١٣١ .
(٧٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٣ .
(٧٦) الخطط جـ ١ ص ٩٤ .

من أجناس مختلفة ، وضم أبو المسك كافور الاخشيدى الى الجيش عـددا كبيرا من السودانيين(٧٧) .

ولما اتخـذ الفاطميون مصر مقرا لخلافتهم ، صار معظم جيشهم يتألف من المغاربة فى بداية الأمر وهم من طوائف البربر(٧٨) وفى عهد الخليفة العزيز استخدم الفاطميون عناصر من الترك والديلم(٧٩) ، ثم ظهر عنصر السودان فى الجيش فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وزاد عـددهم فى خـلافة المستنصر بالله(٨٠) ، وكان فى الجيش الفاطمى أيضا كثير من الأرمن وقـد أحضرهم بدر الجمالى من بلاد الشام ، كما عمل بهرام الأرمنى أثناء توليه الوزارة على جلب عـدد كبير منهم الى مصر ، كذلك قـدم الاكراد مـع أسـد الدين شيـركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب فى عهد الخليفة العاضد(٨١) ، وفى أواخر العهـد الفاطمى حينما أصبحت مصر مهـددة من جانب الصليبين اشترك المصريون فى الدفاع عن بلادهم فأصبح الجيش الفاطمى يتكون من جند وأمراء مصريين(٨٢) .

كان بمصر منذ الفتح العربى ديوان للجند تدون به أسماؤهم وأفراد أسرهم لتقـدير العطاء والأرزاق اللازمة لهم ، وأول تدوين للجند بمصر تم على يد عمرو بن العاص(٨٣) ، وكان الجند يثبتون فيه حسب قبائلهم التى ينتمون اليها ، يقول ابن عبد الحكم(٨٤) ، « كان معاوية بن أبى سفيان قـد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا ، فكان على المعافر رجل يقال له الحسن يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ هـل نزل بكم نازل ؟

---

(٧٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٤ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٢٤٥ .
(٧٨) عبد المنعم ماجـد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ١٩٥ : ١٩٦ .
(٧٩) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٤٧ .
(٨٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٣٥ .
(٨١) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٤٧ .
(٨٢) عبد المنعم ماجـد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٠١ .
(٨٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٤ .
(٨٤) فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٥ .

فيقال : ولد لفلان غلام ، ولفلان جارية ، فيقول : سموهم فيكتب .... فاذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان » .

تعرض العطاء للزيادة والنقصان ، فكان يزيد أحيانا وينقص أحيانا ، فالخليفة عثمان بن عفان أول من زاد فى عطاء الجند لكن هذه الزيادة لم تستمر ، فابقاها بعض الخلفاء ومنعها البعض الآخر ، فيكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ) بزيادة اعطيات الجند ، أما الخليفة يزيد بن عبد الملك فأمر بمنعها (١٠١ — ١٠٥ هـ) ، وقطع الخليفة مروان بن محمد عطاء جند مصر سنة ، ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه عما حدث ، وأرسل لهم عطاء السنة الماضية مع عطاء العام الحالى(٨٥) واستمر عطاء الجند العرب فى مصر حتى أمر الخليفة العباسى المعتصم بقطعه فى عام ٢١٩ هـ (٨٣٤ م)(٨٦) ، أما عن وقت العطاء فيقول الماوردى(٨٧) ، « ويكون وقت العطاء معلوما يتوقعه الجيش عند الاستحقاق ، وهو معتبر بالوقت الذى يستوفى فيه حقوق بيت المال ، فان كانت تستوفى فى وقت واحد من السنة جعل العطاء فى رأس كل سنة وان كانت تستوفى فى وقتين جعل العطاء كل سنة مرتين وان كانت تستوفى فى كل شهر جعل العطاء فى رأس كل شهر .

اشترط على المصريين ضيافة الأجناد ، فمن نزل عليه جندى أو أكثر وجبت عليه ضيافته ثلاثة أيام(٨٨) ، وهذا كان يوفر على الجند كثيرا من العناء عند انتقالهم الى الثغور .

وكان من حق الجندى اذا نفقت دابته فى الحرب أن يعوض عنها ، واذا استهلك سلاحه عوض عنه(٨٩) .

---

(٨٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٤ .
(٨٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٣ .
(٨٧) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٥ .
(٨٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٠٥ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٩٢ .
(٨٩) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٦ .

أما فى العصر العباسى فيذكر الكندى[٩٠] أن مواحيز مصر كان يعمرها أهـل الديوان ، وطائفة المطوعة ، وكانت أحباس السبيل (الأوقاف التى توقف فى سبيل الله) التى يتولاها القضاة تجمع كل سنة فاذا جاء شهر أبيب فرق القاضى أموال السبيل التى جمعت من الأحباس على المطوعة وعلى فقراء أهـل الديوان الذين يشغلون مواحيز مصر من العريش الى لوبية ومراقية[٩١] •

اهتم الفاطمون بتنظيم الانفاق على الجيش ، فكان هناك فى عهدهم دواوين لاعـداد الجيش وتجهيزه ، وتنظيم النفقة عليه يعمل فيها موظفون مدنيون ، وهى ديوان الجيش ، وديوان الرتب ، وديوان الاقطاع[٩٢] ، ويشرف ديوان الجيش على الجند واعـدادهم • وتظهر أهميته من كثرة عـدد الجيش الفاطمى وخاصة فى أوائل عهد الدولة الفاطمية فى مصر[٩٣] ، أما ديوان الرواتب فيختص بتسجيل عطاءات الجند وجميع موظفى الدولة حيث ينفق جزء كبير من الدخل على الجيش فوجـد بهـذا الديوان سجل يقيد به أسماء المرتزقين من الجند ، ومن استجد منهم أو مات[٩٤] ، ويختص ديوان الاقطاع بما هو مقطع للأجناد ، ويتولى اثبـات الاقطاعات والأموال التى دفعها المقطعون لبيت المـال[٩٥] ، ويحـدثنا الحسن بن عبد الله[٩٦] عما يجب على ولى الأمر عمله للجند المقيمين بالثغور من ناحية العطاء فى قوله : أنه يجب عليه أن يوسع فى نفقاتهم ، ويدخر أقـواتهم ، ويزيح أعـذارهم فى ذلك ، وكذلك الكسوات وجميع الآلات ويحسن الى واليهم ومقـدمهم •

---

(٩٠) الولاة والقضاة ، ص ٤١٨ : ٤١٩ .
(٩١) مراقية كورة من كور مصر الغربية ، وهى آخر حـد مصر حيث تجاورها برقـة المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٨٣ .
(٩٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٧٥ .
(٩٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٤ .
(٩٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٦ ، عبد المنعم ماجـد : نظام الفاطميين ورسومهم ، ص ١٩٢ .
(٩٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٢ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٤٩ .
(٩٦) آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٧ .

كان نقص أو قطع العطاء والأرزاق كثيرا ما يثير الاضطرابات بين الأجناد المقيمين بالثغور ، فلما قطع الخليفة العباسى المعتصم العطاء عن العرب واسقطهم من الديوان ثار لذلك يحيى بن الوزير الجروى بتنيس فى جمع من لخم وجـذام وقال للوالى كندر هـذا أمر لا يقوم فينا أفضل منه ، لأنا منعنا حقنا وفيئنـا . وفى عام ٤١٥ هـ فى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر ثار الجند السودان وغيرهم بتنيس وطلبوا أرزاقهم ، وأفسدوا فى البلد وعاثوا بها وقطعوا الطرقات ، واستولوا على الأموال المودعة بخزانة الوالى(٩٧) .

كان للجند فى مصر أثناء عهد الولاة رتب مختلفة من أمير وعريف وقائد وما الى ذلك من الرتب(٩٨) ، أما فى العصر الفاطمى فكان الجيش يتكون من الأمراء وهم القادة ، وطوائف الجند ويتميز الأمراء بعضهم عن بعض بعلامات فى الأعياد والمواكب الرسمية بحسب مراتبهم ، فالأمراء الكبار يحملون حول أعنـاقهم أطـواق الذهب ، ويقود كل منهم ألف جندى ، وهناك فريق آخر من الأمراء يعرفـون بأصحاب القضب يحملون فى أيديهم قضب الفضة ، وهى رماح فضية يقود كل منهم مائة جندى ثم هناك فريق ثالث وهم الأمراء يقود كل منهم العشرات أو الخمسات من الجند(٩٩) .

والى جانب الجند والقواد كان للجيوش رئاسات مثل زم الرجال والطوائف ، وهم الذين يهتمون بكل ما يتعلق بتموين الجيش والجواسيس والعيـون الذين يطلعون على أخبار العـدو ، كما كان هناك قاضى العسكر ، والأطباء والمؤذنون والقـراء(١٠٠) .

---

(٩٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٤ .

(٩٨) سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٥١ .

(٩٩) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٨٠ .

(١٠٠) عبد المنعم ماجـد : الحضارة الاسلامية ، ص ٦٣ .

كان الجند بالثغور يتسلحون بالدروع والخوذة والرماح، والسيوف[١٠١]، والقسى[١٠٢] ، والتراس[١٠٣] ، وبلغ الاهتمام بأسلحة الجند فى الثغور درجة كبيرة ، فيقول الحسن بن عبد الله[١٠٤] : «وينبغى أن يتفقد السلاح كل سنة ، فيرم منه ما تشعث ويجدد ماعتق ويعوض ما تقضى ، وكذلك جميع الآلات » .

تجلى فى العصر الفاطمى الاهتمام بأسلحة الجيش حتى أنهم انشأوا خزانة للسلاح كانت تحتوى على خوذات وسيوف ورماح وسهام ودروع ، وأقواس مختلفة الأشكال . كما كانت هناك خزائن تمد الجيش بمعداته المختلفة منها خزانة الخيام وبها عدة أنواع من خيام الجند وخزائن لصناعة السروج اللازمة للدواب فى الحرب ، وبلغ من اهتمامهم بخزان السلاح أن الخليفة الفاطمى كان يذهب اليها ويجلس على سرير أعد له خصيصا بقصد التفتيش عليها[١٠٥] .

أما عن أسلوب الدفاع عن الثغور البحرية فيصفه النويرى[١٠٦] قائلا أنه عندما يهاجم العدو الميناء ويرميها بالسهام فيجب على جند المدينة أن يثبتوا ويردون عليه وألا يفرون أمامه ، أما اذا كان الفرار مكيدة حتى ينزل العدو الى البر فليكمن له الرجال داخل السور ، ويخرجون عليه ويمنعوه من العودة الى مراكبه ، فى الوقت الذى يتجه فريق منهم الى مراكب العدو ويقاتلون من بقى بها من الرجال ، ويتلفونها حتى يتعذر على العدو العودة اليها فلا يكون أمامه الا القتل أو الاستسلام لأهل الثغر .

---

(١٠١) السيوف أصناف منها اليمانية ، وانقلعية ، والهندية ، والسليمانية ، والشامية ، والخرسانية وأجودها العتيق .
الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٠ .
(١٠٢) هى أعواد من الخشب اللين المتين ، تقوس كالهلال ، وتثبت عليها أوتار من الجلد ترمى بها السهام .
احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب ، ص ٩٧ : ٩٨ .
(١٠٣) ومفردها ترس ، وهو صفحة من الفولاذ تحمل فى اليد للوقاية من ضربات السيف وغيره من الأسلحة كالرمح .
الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦١ .
احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب ، ص ٨٨ .
(١٠٤) آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٧ .
(١٠٥) المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٤١٧ : ٤٢٠ .
(١٠٦) « الالمام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الاسكندرية ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٤٩ تاريخ ، ورقة رقم ٥٧ .

٢ ـ اعـداد القوات البحرية فى الثغـور

لم تكن السياسة الدفاعية التى اتخـذها العرب عن طريق تزويد الثغـور بالحاميات العسكرية كفيلة بحماية هـذه الثغور من عـدوان البيزنطيين ، خاصة بعـد أن أصبحت تحت سيطرة العرب سواحل طويلة ، معرضة لهـذا الخطر بعـد فتحهم الشام ومصر ، فى الوقت الذى كان فيه البيزنطيون يتقنون الفن البحرى ، ويشير الى ذلك ابن خلدون(١٠٧) فى قوله : « ان العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة فى ثقافته وركوبه ، والروم والافرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم فى التقلب على أعواده مرنوا عليه ، وأحكموا الدربة بثقافته » •

ظهر فى عهد عمر بن الخطاب نتيجة لتعرض سواحل الدولة الاسلامية لخطر العـدوان عليها ، رأيان : أحـدهما يرى ضرورة انشاء قـوة بحرية اسـلامية تدفع هـذا الخطر عن سواحل مصر والشام ، وكان ينادى بهـذا الرأى معاوية ابن أبى سفيان والى الشام(١٠٨) ، والثانى ينادى به عمرو بن العاص والى مصر ، وهـو تجنب المخاطر البحرية ، والحرص على سلامة المسلمين(١٠٩) ، وأيد الخليفة عمر بن الخطاب الرأى الأخير ، وآثر سلامة المسلمين ، ورفض طلب معاوية بركوب البحر(١١٠) •

انتهز البيزنطيون عـدم امتلاك العرب لاسطول بحرى ، فقاموا بغـارة بحرية على ثغر الاسكندرية فى عام ٢٥ هـ ، وكانوا يرومون من وراء ذلك اتخاذها قاعـدة يستردون منها مصر(١١١) ، الا أن العرب استطاعوا استعادة الاسكندرية

---

(١٠٧) المقـدمة ، ص ٢٣٩ •

(١٠٨) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ١٥٢ ، المقريزى جـ ٢ ص ١٩٠ •

(١٠٩) ابن خلدون : المقـدمة ، ص ٢٣٩ •

(١١٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٩ : ١٩٠ •

(١١١) البلاذرى : فتوح البلـدان جـ ١ ص ٢٦٠ ، أسد رستم : الروم جـ ١ ص ٢٥٣ •

بعد عناء كبير فى حصارها[١١٢] ، وأدرك العرب أن السبب الرئيسى فى مقاومة الاسكندرية للحصار ، يرجع لوجود أسطول بيزنطى فى الميناء[١١٣] ، كما أيقنوا أيضا أن عدوان الروم على الاسكندرية سوف يتجدد ، طالما كانت الدولة البيزنطية تملك التفوق ، والسيادة على بحر الروم[١١٤] ، لذلك عمدت الدولة الاسلامية الى تغيير سياستها ، ورأت ضرورة انشاء قوة بحرية اسلامية ، تصد بها عدوان البيزنطيين عن سواحلها ، فوافق الخليفة عثمان ابن عفان على طلب معاوية بن أبى سفيان ، بركوب البحر وبناء الأساطيل[١١٥] .

كان لتولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ولاية مصر ، بعد عمرو بن العاص — وهو من المتحمسين لركوب البحر — أثره فى سرعة انشاء أول قوة بحرية اسلامية فى مصر ، وسرعان ما أثبتت هذه القوة البحرية الناشئة أهميتها ، وقدرتها على حماية ثغور مصر ، بانتصارها على البيزنطيين فى موقعة ذات الصوارى فى عام ٣٤ هـ[١١٦] .

قامت ثغور مصر بدور كبير فى بناء واعداد الأسطول الاسلامى فيذكر المقريزى[١١٧] أن الصناعة[١١٨] أسست فى مصر عام ٥٤ هـ ولكن المرجع أن الصناعة أنشئت فى مصر الاسلامية قبل هذا التاريخ ، فمعركة ذات الصوارى كانت فى عام ٣٤ هـ .

---

(١١٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٦١ .

(١١٣) ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، ص ٦ .

(١١٤) Wiet, Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. IV. P. 29.

(١١٥) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٠ .

(١١٦) سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٥٥ : ٥٦ .

(١١٧) الخطط جـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٨) يقال لها دار الصناعة أو دار الصنعة ، وأول من استعمل لفظ (دار الصناعة) العرب ثم انتقلت الى كثير من اللغات الأوربية ، فقال الأسبان Darcinah وقال الطليان Darsena أو Arsenal ، وتناقلته سائر اللغات الأوربية بالتحريف حتى ظهر الأتراك فى آسيا واوربا وتغلبوا على الغرب ، فاسترد العرب هذا اللفظ وظنوه تركيا فقالوا (ترسانة) أو (ترسخانة) ، دائرة المعارف الاسلامية مادة (دار صناعة) محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى ، ص ٨ .

ازدهرت صناعة السفن الحربية فى الثغور فى العصر الأموى ، فقد أظهرت أوراق البردى التى اكتشفت فى كوم أشقاو ، والتى ترجع لهذا العصر ، أن صناعة السفن كانت زاهرة فى القلزم ، والاسكندرية ، الى جانب الصناعة فى جزيرة الروضة(١١٩) ، ولم يقتصر دور تلك الثغور فى العصر الأموى على بناء سفن الأسطول المصرى ، بل شاركت فى اعداد وبناء الأسطول السورى بعكا(١٢٠) ، كما عاونت فى بناء الأسطول فى شمال أفريقيا(١٢١) ، مما ساعد على نشاط البحرية الاسلامية فى بحر الروم ، يقول ابن خلدون(١٢٢) : « فلما استقر الملك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم العجم خولا لهم ، وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية أمما تكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، واستحدثوا بصراء بها (خبراء بها) ، فشرهوا الى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن فيه والشوانى ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح ، وأمطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحار من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته » .

توقف النشاط البحرى فى ثغور مصر فى بداية العصر العباسى فترة دامت ما يقرب من خمسين عاما ، بسبب انصراف الدولة العباسية عن محاربة البيزنطيين فى بحر الروم(١٢٣) ، مما ترتب عليه تعرض الثغور المصرية لغاراتهم ، وقد دفع ذلك الوضع الخليفة المتوكل العباسى الى اصدار أوامره باعداد المراكب فى جميع السواحل ، وشحنها بالمقاتلة(١٢٤) وبدأ الاهتمام منذ ذلك الحين بأمور

---

(١١٩) حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر المتوسط » ، المجلة التاريخية المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ٩١ .
(١٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٢٤٠ .
(١٢١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٠ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٥٦ .
(١٢٢) المقدمة ، ص ٢٣٩ : ٢٤٠ .
(١٢٣) أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٣٧ .
(١٢٤) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ١٩٣ .

الجهاد البحرى فى ثغور مصر(١٢٥) ، وساعد على تحقيق هـذا الاتجاه تفـوق أسطول مسلمى أقريطش على البحرية البيزنطية ، ومهاجمتهم جزر بحر الأرخبيل ، وتهـديدهم الامبراطورية البيزنطية(١٢٦) .

أدى تطور الأحـداث السياسية بمصر الى الاهتمام بتدعيم القوة البحرية فى ثغورها ، ذلك أن أحمد بن طولون بعـد توليه حكم مصر ، وتأسيسه دولة مستقلة بها حرص على انشاء قـوة بحرية يعتمد عليها فى حماية سواحل مصر والشام من أى عـدوان خارجى ، ويشير المقريزى(١٢٧) لذلك فيقول : « اتخـذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات ، والحمائم والعشاريات والسنابيك وقـوارب الخـدمة(١٢٨) ، وعمد الى سد وجـه البحر الكبير ، وأن يمنع ما يجىء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر المـالح الى النيـل بأن توقف هـذه المراكب الحربية فى وجـه البحر الكبير خـوفا ممـا سيجىء من مراكب طرسوس كما فعـل محمد بن سليمان من بعـده بأولاده » وبلـغ من اهتمام أحمد بن طولون بصناعة السفن الحربية أنه استقدم متولى دار الصناعة أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب فقال له : « كل ما تعمل لى من العـدة يكتفى فيه بالقليل مـع تقـدم هيبتى فى صـدر النـاس ، الا المراكب ، فان البحر لا يهابنى ولا يخاف ثورتى ، وليس يعمل فى البحر الا الوثاقة ، والجـودة فى الصنعة وتقـديم الاحسان ، فقـدم الحزم فى الاحتياط والاستزادة فى الانفاق على المراكب لتسلم بعـون الله(١٢٩) .

استطاعت سفن الأسطول الطولونى فى عهـد أحمد بن طولون وخلفائه من بعـده حماية ثغور مصر ، وسواحلها ، فلم نسمع عن غارة للبيزنطيين على هـذه

---

(١٢٥) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ١٩٠ .
(١٢٦) أحمـد مختـار العبادى والسيد عبد العزيز سـالم : تاريخ البحرية الاسـلامية ، ص ٤٠ .
(١٢٨) العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك انواع من المراكب الحربية للسير فى نهر النيل ، عبد المنعم ماجـد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٢٤ .
(١٢٩) البلوى : سيرة احمد بن طولون ، ص ٢٠٨ .

الثغور فى ذلك العهد ، بل اشترك هـــذا الأسطول فى النشاط البحرى الذى اضطلع به أسطول أقريطش فى بحر ايجـــه(١٣٠) ، ولم يلبث النشاط البحرى الطولونى أن توقف فى أواخر عهد الطولونيين ، فاستطاعت الدولة العباسية هزيمة الأسطول الطولونى ، واستعادة مصر الى حوزة الخلافة(١٣١) .

اقتدى الاخشيديون بالطولونيين فى الاهتمام بالأساطيل فدعموا قواعـــدها بالثغور(١٣٢) ، غير أن البحرية أخـــذت فى الضعف فى أواخر عهدهم ، ومما يوضح ذلك تقاعس أبو الحسن على بن الاخشيدى فى عام ٣٥٠ هـ عن نصرة أهل قريطش ضـــد العـــدوان البيزنطى(١٣٣) .

ولمـــا انتقل الفاطميون الى مصر واصلوا نشاطهم البحرى ، ولم يكن هذا النشاط يهـــدف الى مهاجمة البيزنطيين بل الى حمـــاية شـــواطئهم الطـــويلة من غاراتهم ، فقـــد سيطر الفاطميون على مساحة كبيرة من شواطىء بحر الروم تمتد من انطاكية الى الاسكندرية ، وكان عليهم أن يقوموا بحمايتها ، وقـــد تمكن الفاطميون من بسط سيادتهم على الحوض الشرقى لبحر الروم فكثر ابحـــار السفن ما بين مصر والشام ، ونشطت الموانى والثغور نشاطا عظيما لم تبلغـــه من قبـــل(١٣٤) ، ويشير القلقشندى(١٣٥) الى النشاط البحرى الفاطمى فى قوله : « أما اهتمامهم بالأساطيل ، وحفظ الثغور ، واعتناؤهم بأمر الجهـــاد ، فكان ذلك من أهم أمورهم ، وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالاسكندرية ودمياط وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام » ، ولم يزل الأسطول محل عناية الفاطميين حتى زالت خلافتهم .

---

(١٣٠) صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٥١
(١٣١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١١٠ .
(١٣٢) صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٥٧
(١٣٣) أحمد مختار العبـــادى وعبد العزيز ســـالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٦٠ .
(١٣٤) حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر المتوسط » ، المجلة التاريخية المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ١٠٤ : ١٠٥ .
(١٣٥) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٢٣ .

كان الأسطول الاسلامى فى مصر يتخذ من الثغور المصرية على الساحلين الشمالى والشرقى قواعد يرابط بها لصد عدوان المغيرين عليها ، فضلا عن أن ثغور الساحل الشمالى كانت قواعد يخرج منها هذا الأسطول لصد غارات البيزنطيين والصليبيين ، فيقول المقريزى(١٣٦) أن السفن الحربية « التى تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الاسكندرية ، وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج » .

كانت الاسكندرية فى مقدمة الثغور المصرية ، فقد تمتعت بميزات طبيعية جعلتها أهم قواعد الأسطول الاسلامى فى مياه بحر الروم ، فلها ميناءان عظيمان ، يتسع كل منهما لعدد كبير من السفن ، فضلا عن هدوء المياه فى هذين الميناءين(١٣٧) كما كان به امنارة ، تؤدى أعظم الخدمات للنشاط البحرى الحربى ، اذ كانت برجا عظيما للمراقبة ، بها قوم مرتبون لمراقبة البحر ، وانذار الجند اذا ما لاح الخطر من جانب العدو(١٣٨) ، كما أنشئت بالاسكندرية أول دار لصناعة السفن الاسلامية ، فى عهد الوالى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكانت مقامة بجوار البحر(١٣٩) .

كشفت أوراق البردى التى ترجع الى ولاية قرة بن شريك على مصر عام ٩٠ هـ (٧٠٨ م) عن الدور الهام الذى قامت به الاسكندرية فى بناء الأسطول فى العهد الأموى ، فكان قرة يرسل الأوامر الى حكام الاقاليم لارسال المؤمن ، ومهرة الصناعة ، والجند الخاصة بالأسطول الراسى يالاسكندرية ، مما كان سببا فى قوة قاعدة الاسكندرية فى ذلك العهد ، حتى أن أساطيل الروم لم تجرؤ على مهاجمتها

---

(١٣٦) الخطط جـ ٢ ص ١٨٩ .

(١٣٧) ابن فضل الله العمرى : « مسالك الأبصار » ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٦٢ ، معارف عامة ، ورقة ١٣٧ .
ابراهيم العدوى : الأساطيل الاسلامية فى البحر المتوسط ، ص١٣٥ : ١٣٦ .

(١٣٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٥٧ .

(١٣٩) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٥٠ : ١٥١ .

ووجهت غاراتها الى الموانى الواقعة فى الشمالى الشرقى (دمياط وتنيس والفرما) وهكذا تحولت الاسكندرية الى قاعــدة للهجوم على قواعــد العــدو ، فكان أمراء البحر يخرجون منها للغزو كما حــدث عندما خرج عقبة بن عامر الجهنى فى عام ٤٧ هـ فى البحر الى رودس بعــد أن ولاه معــاوية بن أبى سفيان أمرة البحر(١٤٠) ، وفى عام ٨٠ هـ قام عبد الواحــد بن كنود بحملة أقلع بهــا من الاسكندرية وأغار على جزيرة قبرص ، وعاد محملا بالأسلاب والغنائم(١٤١) ، كما كان للاسكندرية نصيبها فى حصار القسطنطينية ، الذى نظمه سليمان بن عبد الملك فى عام ٩٨ هـ ، كان على أهــل مصر أبو عبدة ابن عقبة بن نافع الذى قفل من الغزو الى مصر بعــد ولاية عمر بن عبد العزيز للخلافة(١٤٢) .

وجــه العباسيون اهتمامهم الى ثغر الاسكندرية باعتباره قاعــدة عسكرية للأعمال البرية والبحرية الموجهة الى بلاد المغرب التى خرجت على طاعتهم ، ففى عام ١٣٦ هـ سير الخليفة أبو العباس الجيوش الى المغرب بقيــادة عامر بن اسماعيل ، كما أمر بارسال المثنى بن زياد الخثعمى الى الاسكندرية ليجهز المراكب منها للاقلاع نحــو طرابلس الغرب(١٤٣) .

احتفظت الاسكندرية بأهميتها كأكبر قاعــدة بحرية فى مصر منذ أن أضيفت الى ولاية أحمد بن طولون فى عام ٢٥٦ هـ(١٤٤) ، ومن مظاهر عنايته بها زيارته لها واهتمامه بدار صناعتها(١٤٥) ، وتجديده حفر خليج الاسكندرية حتى يكون صالحا

---

(١٤٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٧ : ٣٨ .
(١٤١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٠٠ .
(١٤٢) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ص ٢٦٢ .
(١٤٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠٢ : ١٠٣ .
(١٤٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ص ٣١٤ .
(١١٥) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٥٩ : ٦٠ .
سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى ، ص ٢٨٢ .

لابحار السفن منها الى داخل البلاد(١٤٦) ، كما اهتم بها أيضا خمارويه ، فكان يخرج لزيارتها ويتفقد قطع الأسطول فيها(١٤٧) ٠

كما احتفظت الاسكندرية بمكانتها كقاعدة حربية فى العصر الفاطمى ، فكان بها داران لصناعة السفن الحربية ، أحداهما بالميناء الشرقية ، والأخرى بالميناء الغربية ، واشتهرت هاتان الداران بانتاج أنواع مختلفة من السفن الحربية(١٤٨) ، على أن الضعف الذى طرأ على الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها جعل الاسكندرية عرضه لحملات الصليبيين وحلفائهم ، فنزلها النورمانديون من أهل صقلية فى عام ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) وعاثوا فيها فسادا(١٤٩) ، كما تعرضت للحصار البحرى من أسطول بيزا بعد تحالفها مع آمورى ملك بيت المقدس الصليبى فى عام ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م)(١٥٠) ٠

شاركت دمياط الاسكندرية فى أهميتها البحرية ، فكانت من أهم قواعد الأسطول الاسلامى فى مصر ، لوقوعها على شاطىء بحر الروم عند مصب فرع النيل المسمى بفرع دمياط(١٥١) ، وقد ساعد هذا الموقع على سهولة ابحار السفن الحربية من داخل البلاد — حيث تقع دور الصناعة فى الفسطاط والقاهرة — الى بحر الروم عن طريقها(١٥٢) ٠

تعرضت دمياط فى العصر الأموى لغارات البيزنطيين التى لم يكن الهدف منها غير النهب والسلب ، مثلها فى ذلك مثل بقية موانى الجزء الشمالى الشرقى

---

(١٤٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧١ ٠
(١٤٧) أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٤٦ ٠
(١٤٨) صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١٨٩ ٠
(١٤٩) امارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ ٠
(١٥٠) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسكندرية) ٠
(١٥١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ ٠
(١٥٢) ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، ص ١٣٨ ٠

(تنيس والفرما) ، ويبدو أن السبب فى ذلك قرب موقع هـذه الموانى من أراضى الدولة البيزنطية ، فنزلها الروم فى عام ٩٠ هـ (٧٠٨ م) وأسروا أمير البحر بها خالد بن كيسان ، كما هاجموها فى عام ١٢١ هـ (٧٣٩ م) فقتلوا وسبوا الكثير من أهلهـــا(١٥٣) •

اتسع نشاط قاعـدة دمياط فى العصر العباسى تبعا لازدياد حركات الأسطول الاسلامى فى مياه الجزء الشرقى من بحر الروم ، فبرزت أهمية تلك القاعـدة بعـد أن تمكن الأندلسيون من فتح جزيرة اقريطش ، التى دخلت فى طاعـة العباسيين ، وأصبحت فى التقسيم الادارى العباسى اقليما تابعا لمصر(١٥٤) ، ووقـع عبء امدادها بالعتاد ، وتزويدها بالسلاح على دمياط ، مما يسر لأهـل اقريطش تهـديد الدولة البيزنطية تهـديدا مباشرا(١٥٥) ، وقـد فطن البيزنطيون الى حقيقة ما تمثله دمياط بالنسبة لاقريطش فعمدوا الى تهـديدها بشن غارتهم عليها فى عام ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م) ، وقـد مكنتهم هـذه الغارات من الاستيلاء على ما كان معـدا بها من عتاد لارساله الى اقريطش(١٥٦) •

كان من أثر هـذه الغارة « أن وقـع الاهتمام منذ ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر ، وأنشئت الشوانى برسم الأسطول »(١٥٧) ، وأقيمت بدمياط دار لصناعة السفن الحربية(١٥٨) •

---

(١٥٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .

(١٥٤) أحمد مختار العبـادى والسيد عبد العزيز سـالم : تاريخ البحرية الاســلامية ، ص ٣٩ .

(١٥٥) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ .
أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٣٩ .

(١٥٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠١ ، الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ .

(١٥٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٠ .

(١٥٨) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٩ .

اهتم الفاطميون بقاعدة دمياط البحرية ، خاصة بعد أمتد نفوذهم الى بلاد الشام ، ويشير الى ذلك المقريزى(١٥٩) فيقول : « قويت العناية بالأسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه ، وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ، واعتناء بالأسطول ، وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان » ٠

كانت وحدات الأسطول المرابطة بميناء دمياط تقوم بصد غارات الأعداء عليها وخاصة بعد أن تعرضت فى أواخر العهد الفاطمى لغارات الصليبيين ، فنزلها النورمانديون فى سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) ونهبوها وعاثوا فيها فسادا ، ثم هاجم أسطولهم بعد ذلك تنيس ورشيد والاسكندرية ، ولكن هذه القوات سرعان ما ولت الأدبار عندما تصدى لها أسطول دمياط وردها(١٦٠) ، وفى عام ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) استطاعت دمياط أن تصمد لعدوان البيزنطيين والصليبيين وتردهم خائبين(١٦١) ، ولا غرو فقد بدأت دمياط منذ ذلك الحين صراعها البحرى ضد هجوم الصليبيين الذين طمعوا فى الاستيلاء عليها ٠

كانت تنيس بحكم موقعها البحرى كجزيرة فى وسط بحيرة تنيس(١٦٢) قاعدة هامة للأسطول الاسلامى بمصر ، وكانت تعتمد على الأسطول فى الدفاع عن نفسها ، فيذكر ناصر خسرو(١٦٣) أن السفن الراسية حولها تبلغ ألف سفينة ٠

---

(١٥٩) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٣ ٠

(١٦٠) امارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ ، جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٥ ٠

(١٦١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣٤ ٠

(١٦٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٦ ٠

(١٦٣) سفر نامة ، ص ٣٩ ٠

اشتهر أهل تنيس باجادتهم ركوب البحر ، فأعجب ابن حوقل(١٦٤) الذى طاف كثيرا من البلدان بمهارتهم البحرية فيقول : « وتلتقى السفينتان تحتك أحداهما الأخرى هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة ، مملأة شرعها بالريح متساوية فى سرعة السير » .

تعرضت تنيس للعدوان البيزنطى فى العصر الأموى ، فنزلها الروم فى سنة ١٠١ هـ (٧١٩ م)(١٦٥) ، ويبدو أن تنيس كان لها دورها أيضا فى مساعدة أسطول اقريطش فى العصر العباسى ، والدليل على ذلك أن البيزنطيين اتجهوا اليها بعد غاراتهم على دمياط فى عام ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م)(١٦٦) .

كان لموقع تنيس على أقصر طريق ملاحى يصل بين الفسطاط والشام أثره فى كونها أضحت ميدانا للمعارك البحرية التى تحاول فيها الخلافة العباسية اعادة مصر الى سلطانها ، فعندما أراد الخليفة العباسى المكتفى استرداد مصر من الطولونيين عهد الى محمد بن سليمان الكاتب بذلك ، فسار اليهار على رأس أسطول بحرى ، والتقى الأسطولان العباسى والمصرى فى تنيس ، وكان النصر فيها لأسطول الخلافة ، ووقعت تنيس ودمياط فى يده(١٦٧) .

ولما ولى محمد بن طفج الاخشيد امارة مصر من قبل الخليفة الراضى راى أن يدخلها دون قتال ، فكتب الى محمد بن على الماذرائى ألا يعترضه حين دخوله مصر بجيشه ، لكن الماذرائى رفض طلبه ، فعزم الاخشيد على دخول مصر بالقوة ، وأعد جيشا كبيرا لهذا الغرض ، فانفذ الماذرائى وأحمد بن كيغلغ جيشا الى حدود مصر الشمالية الشرقية لمنعه من دخول الفرما(١٦٨) ،

---

(١٦٤) صورة الأرض ، ص ١٥٦ .
(١٦٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧٧ .
(١٦٦) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٤ .
(١٦٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٢٠ .
(١٦٨) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٨٥ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٧١ : ٧٢ .

وأرسل محمد بن طغج فريقا من جيشه فى أسطول بقيادة صاعد بن كلملم ، وقد تمكن هذا الأسطول من الاستيلاء على تنيس ودمياط ، ثم سارت مراكبه فى النيل ولقيت مراكب المادرائى وابن كيغلغ على مقربة من سمنود وكان النصر حليف ابن طغج فى شعبان سنة ٣٢٣ هـ ووصلت سفنه الى جزيرة الروضة(١٦٩) .

أقيمت بتنيس دار لصناعة السفن الحربية على أثر الغارة التى قام بها الروم على دمياط فى عهد الخليفة العباسى المتوكل(١٧٠) ، وظلت تلك الدار قائمة حتى العصر الفاطمى فيقول ابن بسام(١٧١) أنها قائمة بالناحية الغربية فى المدينة .

اهتم الفاطميون بقاعدة تنيس البحرية ، مما كان له أثره فى انتصار أسطول تنيس على القرامطة ، والاستيلاء على مراكبهم وأسر فريق منهم أثناء هجومهم عليها فى عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م)(١٧٢) . وتعرضت تنيس فى أواخر العهد الفاطمى لبعض الأخطار الخارجية ، فنزلها النورمان فى سنة ٥٥٠ هـ(١٧٣) ، كما أغار عليها بلدوين ملك بيت المقدس الصليبى(١٧٤) .

كانت الفرما من قواعد الأسطول الاسلامى فى مصر(١٧٥)، وقد تعرضت بحكم موقعها كحصن شرقى للبلاد للعدوان البرى أكثر من البحرى مما دفع الخليفة العباسى المتوكل الى تحصينها عندما شرع تحصين دمياط وتنيس فى عام ٢٣٨ هـ(١٧٦) ، لكن ذلك لم يمنع البيزنطيين من العدوان البحرى عليها ،

(١٦٩) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٨٥ : ٢٨٦ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر لاخشيديين ، ص ٧٣ .
(١٧٠) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٩ .
(١٧١) « انيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٥ .
(١٧٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٤ .
(١٧٣) امارى : المكتبة الصقلية ، ص ٥١ .
(١٧٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٠٥ .
(١٧٥) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٨٩ .
(١٧٦) ساويرس ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٩ .

فنزلوها فى عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ولما أسرع اليهم والى مصر يزيد بن عبد الله بجيوشه لم يلقهم(١٧٧) ، ثم عادوا اليها فى عام ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م) فصدهم أهلها ، وبعد ست سنوات أعادوا الكرة عليها ، واعتدوا على أهلها(١٧٨) ، كما تعرضت الفرما أيضا فى أواخر العصر الفاطمى لعدوان الصليبيين عليها من ناحية البر وذلك بحكم مجاورتها لهم من الشرق ، مما حمل الوزير على بن السلار على اعداد المراكب الحربية بالرجال والعدة وأنفق على هذا الأسطول ٣٠٠ ألف دينار لرد عدوان البيزنطيين على الفرما(١٧٩) .

أما عن القواعد البحرية المصرية التى تقع على بحر القلزم ، فمن بينها ثغر القلزم ، وقد أثبتت أوراق البردى قيام صناعة زاهرة للسفن الحربية به فى فجر الاسلام(١٨٠) وزاد من أهمية القلزم البحرية حفر خليج أمير المؤمنين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص ، فكان طريقا بحريا يصل الفسطاط ببحر القلزم(١٨١) ، ومما زاد فى أهمية القلزم أنها كانت قاعدة للأسطول الذى حرص الأمويون على وجوده بها(١٨٢) ، وشاركت قوات الأسطول بالقلزم فى الأحداث التى قامت فى ذلك العهد فى مصر ، ففى عام ٦٤ هـ (٦٨٤ م) ولى مصر عبد الرحمن بن عتبه بن جحدم من قبل عبد الله ابن الزبير ، وقد ساعدت تلك القوات والى مصر فى الحرب التى دارت بينه وبين الخليفة الأموى مروان بن الحكم(١٨٣) ، وفى عام ٧٢ هـ (٦٩٢ م) نقلت

---

(١٧٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠٣ .
(١٧٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١١ .
(١٧٩) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٩١ .
(١٨٠) حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر المتوسط » ، المجلة التاريخية المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ٩١ .
(١٨١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١١٢ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٤٣ .
(١٨٢) سعاد ماهر : « البحرية فى مصر الاسلامية » ، ص ٨٧ ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٤٣ .
(١٨٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤١ : ٤٣ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٢٧ .

الوحـــدات البحرية من القلزم ثلاثة آلاف جندى بقيادة مالك بن شراحيـــل الخـــولانى للمشاركة فى قتال عبد الله بن الزبير واخماد ثورته بالحجاز ضـــد الآمويين(١٨٤) ٠

وفى العهد العباسى أمر الخليفة أبو جعفر المنصور فى عام ١٥٠ هـ بطم خليج أمير المؤمنين لقطع الميرة عن الحجاز ، وذلك لاضعاف الثورة التى قام بها محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الذكيـــة فى المدينة ضـــد العباسيين(١٨٥) ، كما شاركت سفن القلزم فى عام ٢٤١ هـ فى نقـــل المؤن الى جيش محمد بن عبد الله المعروف « بالقمى » أثنـــاء حملتـــه على أرض البجه ، مما أدى الى انتصار تلك القوات على البجه(١٨٦) ٠

كانت عيذاب أهم قاعـــدة بحرية فى مصر على بحـــــر القلزم فى العصر الفاطمى(١٨٧) ، فاتخـــذها الفاطميون قاعـــدة لاسطولهم فى هـــذا البحر ، وكانت عـــدته خمسة مراكب فى أول الأمر ثم صارت ثلاثة ، وكان والى قوص هـــو المسئول عن اعـــداد هـــذا الأسطول وشحنه بالجند والسلاح ، وأحيـــانا كان يتولاه أمير من قبل الخليفة ، وفى هـــذه الحالة كان يحمل اليه الأســـلحة من خزائن السلاح ، واقتصرت مهمة هـــذا الأسطول على حماية تجارة الكارم التى كانت تنقل الى عيذاب من الشرق عبر بحر القلزم(١٨٨) ٠

ـــ سفـــن الأســـطول :

لم تمـــدنا المصادر بمعلومات وافية عن أشكال السفن الحربية فى مصر فى فجر الاسلام ، ولكن من المرجح أنها لم تكن تختلف كثيرا عن السفن المعروفة

---

(١٨٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٥١ ٠
(١٨٥) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١٣ ، ١٣٩ ٠
(١٨٦) الطبرى : تاريخه جـ ٩ ص ٢٠٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ص ٢٨٢
(١٨٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٤ ٠
(١٨٨) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٢٣ ٠

عند الروم فى ذلك العصر لأنها كانت من صناعة العمال المصريين الذين كانوا يعملون بهذه الصناعة فى العصر البيزنطى ، وتأثروا بأساليبهم(١٨٩) ، فأخذت السفن الحربية التى صنعت بمصر للمسلمين أشكالها فى البداية من سفن الروم التى استولى عليها عمرو بن العاص فى الاسكندرية(١٩٠) ، ولما اتسع سلطان المسلمين ، واقتضى الدفاع عن دولتهم الاكثار من انشاء السفن أصبحت تلك الصناعة اسلامية(١٩١) ، وقد تميزت أسماء السفن ، وتفاوتت فى أشكالها وأحجامها واختلفت فى فوائدها ، وأغراضها فكان منها .

الشينى ، جمع شونه ، وتسمى أيضا الغراب ، وكانت أهم قطع الأسطول ويجدف فيها بمائة وأربعين مجدافا(١٩٢) ، وتحمل فيها المقاتلة ، وهى مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتحتوى على مخازن لخزن القمح ، وصهاريج لخزن الماء العذب(١٩٣) ، وكان منها أيضا الحراريق ، جمع حراقه ، وهى من السفن الحربية التى اختصت بقذف العدو بأنابيب النفط(١٩٤) وهى تقل عن الشوانى فى الحجم وتتميز بوجود المنجنيق عليها(١٩٥) ، ومن سفن الأسطول أيضا الشلنديات ، جمع شلندى ، وهى من المراكب المسقوفة ، يقاتل الجند على ظهرها ويجلس الجدافون للتجديف فى أسفلها(١٩٦) ، وتعادل الشونة والحراقة فى الأهمية ، وتعرف اليوم بالصندل(١٩٧) . ومن هذه السفن البطس ، جمع بطسه ، وهى من السفن الحربية العظيمة التى تشتمل على عدة طبقات ، وعلى قلوع كثيرة تقدر بأكثر من أربعين قلعا ، وتستعمل فى حمل الازواد ، والذخيرة ،

---

(١٨٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٩ ، سيدة كاشف ، مصر فى عصر الـولاة ، ص ٥٤ .
(١٩٠) سرهنك : حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٢٢ .
(١٩١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٩ .
(١٩٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ .
(١٩٣) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٢٢ .
(١٩٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٤٥٣ : ٤٥٤ .
(١٩٥) ابراهيم العدوى : الأساطيل ، العربية فى البحر المتوسط ، ص ١٥٣ .
(١٩٦) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤ .
(١٩٧) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ٦ .

والرجال(١٩٨) ، واشتهر هذا النوع على وجه الخصوص أيام الحروب الصليبية ، حيث كانت البطس أشهر أنواع السفن التى يقاتلون عليها لكبر حجمها(١٩٩) ، ويروى المقريزى(٢٠٠) أن احدى تلك السفن التى تعرف بالبطس كانت تحمل ألفا وخمسمائة شخص ، والى جانب تلك السفن كانت هناك القراقير ، ومفردها قرقورة(٢٠١) ، وهى سفن تستخدم لحمل الزاد والمتاع(٢٠٢) ، والحمالات جمع حمالة(٢٠٣) ، وهى سفن لحمل الغلة للأسطول(٢٠٤) ، والمسطحات جمع مسطحة أو مسطح(٢٠٥) ، وهى نوع من المراكب الحربية العظيمة المسطوحة(٢٠٦) .

بالاضافة الى تلك القطع الحربية يشتمل الأسطول على قطع أخرى مثل « الطرادات » جمع « طرد » أو « طراد » ، وهى سفن حربية صغيرة على هيئة البرميل بدون سطح ، وتستعمل فى مطاردة العدو لسرعتها(٢٠٧) ، « والشبابيك » جمع « شبك » أو « شباك » وهى سفن صغيرة ذات ثلاثة قلوع ، وتسير بالمجاديف(٢٠٨) ، « والقوارب » جمع « قارب » ، « والزوارق » جمع « زورق » وهى مراكب تستخدم لنقل الأشخاص(٢٠٩) .

أما عن رجال الأسطول ، فكان لكل أسطول بالثغور المصرية رجاله الذين يديرون شئونه ، فمنهم عدد من النواتية أو البحارة الذين يخضعون لكبيرهم

(١٩٨) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٢٢ .
(١٩٩) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ١٠ .
(٢٠٠) الخطط جا ص ٤٨٠ ، ويسميها المقريزى (بطشه) .
(٢٠١) المصدر نفسه ، ص ٤٧٦ .
(٢٠٢) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ٦ .
(٢٠٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٨٣ .
(٢٠٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٩ : ٣٤٠ .
(٢٠٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٨٣ .
(٢٠٦) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٠ .
(٢٠٧) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ٦ .
(٢٠٨) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٢٣ : ٢٢٤ .
(٢٠٩) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامى ، ص ٧ .

الملقب بالرئيس ، ويتولى الرئيس مع رجاله تدبير أمر تسيير السفن بالريح أو المجاديف ، والقاء مراسيها[210] ، وكان يلي الرئيس في الأهمية « الديدبان » أو « الرقيب » ، الذي يقف في مقدمة المركب يستطلع أحوال البحر في حالة السلم ، وأخبار العدو في وقت الحرب ثم يليه « المنادى » ويقوم بتبليغ أوامر الربان الى الملاحين والنواتية بصوته الحاد المرتفع[211] ، وكان هناك « القلاووز » وهو الدليل المرشد للسفن عند دخول الموانى ، أو عند المرور على السواحل الخطرة ، والمضايق الصعبة وكان أرباب هذه الوظيفة ملمين بفنون الملاحة لتسيير السفن فضلا عن الحسابات الفلكية ، كما كانت لهم دراية بطرق سير المراكب ، وأحوال السواحل والثغور ، ومسالك الموانى ، ومواقع الصخور المائية والمياه الضحلة[212] .

والى جانب هؤلاء كان يوجد الجند المقاتلون الذى أطلق على كل منهم « الأسطولى »[213] ، وكان معظم الملاحين العاملين في الأسطول في أول الأمر من المصريين ، وأن كان المقاتلون من العرب ، ولما دخل أهل مصر في الاسلام صاروا جنودا في الأسطول[214] .

كانت الخدمة في الأسطول قائمة على مبدأ التطوع في بداية الأمر ، فلما أجاز الخليفة عثمان بن عفان لمعاوية بن أبى سفيان ركوب البحر قال له : « تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا فأحمله وأعنه ، ففعل » ، وظل العمل اختياريا في الأسطول الى عهد الدولة الفاطمية ، فلم يجبر أحد على الخدمة فيه[215] .

---

(٢١٠) الحسن بن عبد الله : آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ١٠٥ .
ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية في البحر المتوسط ، ص ١٥٧ : ١٥٨ .
(٢١١) سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٢٨٣ .
(٢١٢) سرهنك : حقائق الأخبار جـ ٢ ص ٣٩ حاشية .
(٢١٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٤ .
(٢١٤) عبد المنعم ماجد : الحضارة الاسلامية ، ص ٧٧ ، فازيليف : العرب والروم ، ص ١٩٢ .
(٢١٥) الخطط جـ ٢ ص ١٩٠ : ١٩٣ .

كان يشترط فيمن يتقدم للعمل فى الأسطول من الجند أن يكون ملمـا بفنون الحرب ، وأهمها الرماية ، فيقول المقريزى(٢١٦) : « وانتدب الأمراء لـه الرماة ، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة ، وانتخب له القـواد العارفون بمحاربة العـدو ، وكان لا ينزل فى رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب ، وللناس اذ ذاك رغبة فى جهاد أعـداء الله ، واقامة دينه ، لا جرم أنه كان لخـدام الأسطول حرمه ومكانه ، ولكل واحـد من الناس رغبة فى أنه يعـد من جملتهم ، فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان رجال الأسطول موضع احترام الناس ، فكان يقال لهم المجاهـدون فى سـبيل الله ، والغزاة فى أعـداء الله ، ويتبرك بدعائهم الناس »(٢١٧) .

كان القائد يرأس الجند ، ويقال له أمير البحر أو أمير المـاء(٢١٨) ، وعليه أن يدير أمر سلاح الأسطول ، وحربه ومقاتليه(٢١٩) ، وقد وصلت قيادة الأساطيل فى العصر الفاطمى الى درجـة كبيرة من التنظيم والدقـة ، فكان للأسـطول عشرة قـواد ، يختار من بينهم رئيس يعرف بأمير الأسطول ، وكان من أعيـان الدولة الأقـوياء ، فاذا سار الأسطول للغزو يقتدى به الجميع فيقلعون باقلاعه ويرسون بارسائه(٢٢٠) ، وكان على أمير الأسطول اذا خرج للقتال أن يتفقـد المراكب ، ويعمل على توفير آلاتها ، حتى اذا تلف شىء منها وجـد بديلا لهـا ، وعليه أحكام ما يلاقى المـاء منها ، وعليه اختيار القواد والرؤساء العـارفين بمسالك البحر ومراسيه ، وعلامات الرياح ، وتغييرات الأنواء ، والحركات البحرية من المـد والجزر(٢٢١) ، وكان من أهم واجباته وقت الحرب ألا يهاجم المراسى

---

(٢١٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩١ .
(٢١٧) المصـدر نفسه جـ ٢ ص ١٩٤ .
(٢١٨) هـذه الكلمة انتقلت من العربية الى اللغات الأوربية ، فكانت بالفرنسية Amiral ، وكانت بالانجليزية Admiral ، وكانت بالبرتغالية Admirant
عبد المنعم ماجـد : الحضارة الاسلامية ، ص ٧٧ .
(٢١٩) محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى ، ص ٤٧ .
(٢٢٠) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٣ .
(٢٢١) الحسن ابن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩٥ .

لئلا تكون مراكب العـــدو كامنة بها ، ولا يتقـــدم الى البر الا بعـــد المعرفة ، والاحتراز من الأحجار والأعشاب التى تسبب العطب للمراكب ، وعليه أيضا أن يكثر من تزويد المراكب بالمـــاء والمؤن ، واذا كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر أصبح لزاما عليـــه جعل عيونه وطلائعه على الجبال ، وفضـــلا عن ذلك فان من واجبات أمير الأسطول تأليف أصحابه ، واستمالتهم وتحريضهم قبـــل الحرب كما يفعل قواد القوات البرية(٢٢٢) .

أما فيما يتعلق بنفقات الأسطول ، فلم يكن لقواته فى الثغور فى فجر الاسلام رواتب خاصة ، فيحـــدثنا المقريزى(٢٢٣) أنه بعـــد أن وقـــع الاهتمام بأمر الأسطول فى عهد الخليفة العباسى المتوكل ، جعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر ، ويبدو أن هـــذه الأرزاق كانت مجزية ويتضح ذلك من اقبال الناس على الخـــدمة فى الأسطول وسعيهم بكل الوسائل للعمل به .

اهتم الفاطميون بتنظيم الانفاق على الأسطول فأنشأوا لذلك ديوان الجهاد أو ديوان العمائر ، ومقره دار الصناعة بمصر ، واختص هـــذا الديوان بانشاء المراكب وحمل الغلال السلطانية والأحطـــاب وغيرها ، والنفقـــه على رؤســـاء المراكب ورجالهـــا ، واذا لم يف بمـــا يحتاج اليـــه نقـــل لـــه من بيت المـــال ما يكفيـــه(٢٢٤) .

كان راتب كل قائد من قواد الأسطول يتراوح ما بين عشرين دينارا لمن هو أعلاهم شأنا الى دينارين لأقلهم شأنا ، وقـــد أوقفت على نفقتهم اقطـــاعات تعرف بأبواب الغزاة(٢٢٥) .

كان النقباء ويقال لهم أيضا العرفاء ويبلغ عـــددهم عشرون نقيبا يتولون استدعاء الغزاة المقيمين بالقاهرة وخارجها ، فاذا تم حضورهم تقرر يوم النفقة

---

(٢٢٢) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٩٦ .
(٢٢٣) الخطط جـ ٢ ص ١٩١ .
(٢٢٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٩٦ .
(٢٢٥) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٣ .

وهية يجلس الخليفة والوزير والمستوفى والكاتب ، ويدخل الغزاة مائة مائة ، فيصرف لكل منهم خمسة دنانير ، ويتم توزيع النفقـــة فى عـدة أيام متتالية أو متفرقـــة(٢٣٦) .

كانت المراكب الحربية تزود بأنواع متعـددة من الأسلحة ويتضح لنـا من وصف ابن عبد الحكم(٢٢٧) للقتال الذى وقع فى معركة ذات الصوارى أن الجند كانوا يقاتلون بالنبل والنشاب(٢٢٨) والسيوف ، ويذكر القلقشندى(٢٢٩) أن مـن أسلحة جند الأسطول فى العصر الفاطمى القسى التى تشد بواسطة اليد أو الرجـل ، وكانت المراكب الكبرى تزود « بالمنجنيقات » و « العــرادات »(٢٣٠) تقــذف الحجارة أو المواد الملتهبة على مراكب العــدو ، كمـــا كنت تزود « بالكلاليب » التى كانت تلقى على مراكب العــدو لوقفها(٢٣١) ، وقــد أشـــار ابن عبد الحكم(٢٣٢) الى تلك الكلاليب فى وصفه لموقعه ذات الصوارى فيقول : « وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهـــو الأمير بمركب من مراكب العــدو ، فــكان مركب العــدو يجتر مركب عبد الله اليهم ، فقام علقمه بن يزيد العطيفى ، وكان مع عبد الله بن ســعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها » .

---

(٢٢٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٢٢٧) فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٠ .

(٢٢٨) النبل ما يرمى به من القسى العربية ، والنشاب ما يرمى به من القسى الفارسية ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٢٢٩) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٠٨ .

(٢٣٠) المصـــدر نفسه جـ ١٠ ص ٤١٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٢٣١) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩٧ .

(٢٣٢) فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٠ .

كان رجال الأسطول فى العهـد الفـاطمى يستعملون النفط أو النـــار الاغريقية(٢٣٣) لاحراق مراكب العدو(٢٣٤) ، كما زودت قطع الأسطول الفاطمى بكل ما هـو ضرورى للحرب فى البر(٢٣٥) ، فكانت المراكب تحمل الأسلحة التى تستخدم فى حصار ونقب أســوار الموانى مثـــل الأبراج والدبابات(٢٣٦) والســلالم(٢٣٧) ، والحبــال(٢٣٨) .

كانت مركب أمير الأسطول تزود بمصباح تهتدى به المراكب الأخرى ، فيقلعون باقلاعه ، ويرسون بارسائه(٢٣٩) ، ومن الاحتياطات التى اتخـذتها

---

(٢٣٣) سائل سريع الالتهاب ، وهو فى الأصل اختراع سورى ، واخفى الروم سره عن العرب ولم يعرفوه الا بعـد مضى فترة طويلة ، وهـو مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان فى شكل سائل يطلق من أسطوانات نحاسية مستطيلة تدعى زراقات ، أو فى شكل كرات مشتعلة او قطع كتان تغمس فى السائل المذكور حتى تشبع ثم ترمى على العـدو ، وكانت هـذه النار تشتعل فى الماء والهواء ولذلك زود بها المسلمون أساطيلهم .

احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب ، ص ١٥٢ .

(٢٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤١٣ ، عبد المنعم ماجـد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ص ٢٢٧ .

(٢٣٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٨٠ .

(٢٣٦) الدبابة من آلات الحصار المتحركة ، وهى مصنوعة من الخشب السميك على هيئة البرج ، وتركب على عجلات مستديرة لتحريكها ، وقـد يتخـذ لبعضها اللوالب لتتحرك عليها ، ويصعد الرجال فى أعلى الدبابة وقـد أديرت حونهم الستائر والطـوارق حتى تدنوا الدبابة من السور فلا يلبث الرجال أن يستعلوا السور حتى يتحكموا فى المدينة .

الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩٢ .

(٢٣٧) من آلات الحصار ، وتساعد المحاصر على اعتلاء الأسوار ، وفتح مغاليق الحصون ، ويوضع السلم على قاعـدة خشبية كبيرة تساعد على ثباته ، ويجعل لهذه القاعـدة بكرات من خشب أو عجلات ثابته ليسهل بها نقله من مكان الى آخر .

عبد الرؤوف عون : الفن الحربى ، ص ١٧٣ .

(٢٣٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤١٣ .

(٢٣٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٨٣ .

سفن الأسطول أنه اذا جن الليل لا يشعل المقاتلون فى مراكبهم نارا فتكشف عن مكانهم ، واذا أرادوا المبالغة فى الاختفاء اســدلوا على السفن قلوعا زرقا فلا تظهر عن بعــد(٢٤٠) ، وهى آلات الوقاية من الطوارق(٢٤١) .

---

(٢٤٠) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٧٦ .
(٢٤١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٨ .

٣ — التحصينات والاسلحة الحربية فى الثغور

كان الاهتمام بتحصين ثغور مصر ضرورة حربية اقتضتها ظروف مواقعها ، واستجاب العرب لهـذه الضرورة ، وبذلوا فى سبيلها الكثير من الجهد والمـال ، فقـد أدركوا منذ بداية الفتح الاسلامى لمصر خطورة مواقع الثغور ، وسهولة استيلاء العـدو عليها وليس ادل على ذلك من رفض الخليفة عمر بن الخطاب اتخاذ الاسكندرية عاصمة لولاية مصر ، فيذكر ابن عبد الحكم(٢٤٢) : « أن عمرو ابن العاص لمـا فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغـا منها هم ان يسكنها وقال : مساكن قـد كفيناها ، فكتب لعمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل ، فكتب عمر الى عمرو ، انى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول المـاء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسـطاط » .

ويشير ابن خلدون(٢٤٣) الى خطورة اتخاذ البلاد الساحلية عواصم فى قوله : « ومما يراعى فى البلاد الساحلية التى على البحر أن تكون بين أمة من الامم موفورة العـدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العـدو ، والسبب فى ذلك أن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهـل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت فى غرة للبيـات (تؤخـذ على غرة ليلا) وسهل طروقها فى الأساطيل البحرية » .

كانت التحصينات فى الثغور المصرية فى العصر الاسلامى تتمثل فى الأسوار والخنادق التى تحيط بها ، ثم القلاع والأبراج والحصون المقامة بداخلها ، الى جانب المنارات العالية والسلاسل الضخمة التى تمنع دخول الميناء الا باذن ، ويذكر الحسن بن عبد الله(٢٤٤) أن من واجبات والى المدينة أن « يصرف همته

---

(٢٤٢) فتوح مصر واخبارها ، ص ٦٨ .
(٢٤٣) المقـدمة ، ص ٣٣١ .
(٢٤٤) آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٦٤ .

الى المتحصين والاشتغال به وهو الأهم كتعلية الأسوار ، وحفر الخنادق ، وسد الثغر وقطع المواضع المشرفة عليها ، وسد المسارب النافذة نحوها ، وترتيب الرجال بأبراجها والحراس على أسوارها ، والطواف بطرقاتها وحفظ أبوابها وتوكل الثقات بحفظها » .

كان السور من أبرز السمات التى ميزت تخطيط المدن الثغرية فى العهد الاسلامى فقد احتلت الحماية من هجوم الأعداء مكان الصدارة عند سكان الثغور ، وعندما تم للعرب فتح الثغور المصرية كان معظمها يحيط بها الأسوار الحصينة ، ويتضح لنا من أحداث الفتح أن الفرما كان لها سور ضخم تسبب فى وقوف العرب شهرا محاصرين لها(٢٤٥) ، كما كانت الاسكندرية عند الفتح محاطة بأسوار قوية التحصين لم يستطع العرب اقتحامها(٢٤٦) ولم تكن أسوار تنيس ودمياط أقل تحصينا(٢٤٧) ، على أن الضرورة اقتضت من العرب هدم بعض هذه الأسوار لأسباب حربية تتركز فى منع العدو من الاستفادة منها اذا وقعت هذه الثغور فى يده مرة أخرى ، فلما تم لعمرو بن العاص فتح الفرما هدم أسوارها ذلك أنه لم يكن فى استطاعته أن يترك بها قوة عسكرية كافية لحمايتها اذا ما حاول العدو استعادتها(٢٤٨) ،ويذكر البلاذرى(٢٤٩) أن عمرو بن العاص أثناء حصاره الثانى للاسكندرية استعصى عليه فتحها ، فأقسم لئن فتحها ليهدمن أسوارها ، وبعد أن تم له الاستيلاء عليها بر بقسمه وهدم أسوارها ، وهذا القول بعيد الاحتمال ذلك أن العرب فى تلك الفترة التى لم يكن لهم فيها أسطول يحمى سواحلهم لا يقدمون على هدم سور كسور الاسكندرية ويتركونها معرضة للغزو البيزنطى ، ولكن من المرجح أن عمرو هدم الأجزاء

---

(٢٤٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٤٨ .
(٢٤٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٤٨ .
(٢٤٧) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٣ : ٢١٤ ، جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، ص ١٢ .
(٢٤٨) بتلر : فتح العرب لمصر : ص ١٥٧ .
(٢٤٩) البلاذرى : فتوح البلدان ج ١ ص ٢٦٠ .

الجنوبية فقط من السور حتى لا يتكرر ما حـــدث أثناء حصاره لهـــا ، وترك الأجزاء التى تحميها من ناحية البحر قائمة .

أما أسوار تنيس ودمياط فيبدو أنها كانت قـــد وصلت لحالة من الانهيـــار والتهـــدم فى أوائل العصر العباسى ، وليس أدل على ذلك من أن هذه الأسوار لم تكن تقوى على منع الروم من غاراتهم المتوالية على دمياط وتنيس ، والتى كان أعنفها الغـــارة التى قاموا بها على دمياط فى عام ٢٣٨ هـ (٨٥٣ م) فى عهـــد الخليفة العباسى المتوكل(٢٥٠) ، وكان من أثرها أن أمر الخليفة والى مصر عنبسة ابن اسحق باعادة بناء أسوار الثغور كلها ، فجـــدد بناء سور كل من دميـــاط وتنيس والفرما ورشيد(٢٥١) ، ويذكر ابن حوقل(٢٥٢) أنه قـــد بنى سور حـــول أسوان فى عام ٢١٢ هـ وأعيدت على ما كانت عليه قبل تخريبها من البجه ، أما أسوار الاسكندرية فلقيت اهتماما كبيرا من أحمد بن طولون ، فجـــدد بناء القائم منها ، وبنى أسوار جـــديدة بدلا مما تهـــدم ، على أن الأسوار الجديدة شملت مساحة أقـــل مما كانت عليه أثناء حصار عمرو بن العاص لها(٢٥٣) وفى العصر الفاطمى كان سور الاسكندرية لا يزال سليما ومن ثم لم يجر الفاطميون عليـــه سوى اصلاحات يسيرة ، ففى خلافة الآمر بأحكام الله قام والى الاسكندرية بتجـــديد بعض أجزائه فى عام ٥١٧ هـ(٢٥٤) ، كما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب فى آخر عهد الدولة الفاطمية « برم شعث سور مدينة دمياط وســـــد ثلمـــه »(٢٥٥) .

---

(٢٥٠) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٠١ .
(٢٥١) ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ٩ .
(٢٥٢) صـــورة الأرض ، ص ٥٢ .
(٢٥٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ٤٦ .
(٢٥٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٥٩ .
(٢٥٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .

كانت الأسوار التى تبنى حـول الثغور عادة مزدوجة حتى تكفل الحماية للمدينة ، فدمياط كان يحيط بها سوران مضاعفان(٢٥٦) ، والاسكندرية كان يستدير بها سوران منيعان(٢٥٧) ، السور الخارجى يبلغ ارتفاعه حوالى عشرين قـدما ، والداخلى أكثر ارتفاعا وسمكا ، ويبعـد عن السور الخارجى ما بين ٢٠ الى ٢٥ قـدما(٢٥٨) ، وكانت أسوارها مبنية من الرخام الأبيض وأنواع المرمر الملون والأحجار(٢٥٩) .

كان لأسوار الثغور أبواب محكمة تفتح عند الضرورة حتى لا يدخـل منها الأعـداء خلسة ، فيقول ابن شاهين الظاهرى(٢٦٠) عن الاسكندرية : « وللثغر عـدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حـديد » ، ولمـا أعاد أحمد بن طولون تجـديد أسوار الاسكندرية فتح أبوابا تقابل الأبواب القـديمة ، فالباب الشرقى سمى باب رشيد أو باب القاهرة ، وكان بالسور الغربى باب القرافة وفى الجنوب باب السدرة أو العامود ، أما الباب الشمالى فظل كما هـو من قبل مشرفا على الميناء الشرقية(٢٦١) .

يصف المقـدسى(٢٦٢) دمياط بأنها « كثيرة الأبواب » ، وكانت الحراسة مشددة على أبوابها ، فلا سبيل الى الدخول اليها أو الخروج منها الا باذن(٢٦٣) ، وتجمع المصادر أن الفرما كان لهـا أبواب عـديدة وأن هـذه الأبواب كانت

---

(٢٥٦) السيد خالد المطرى : « مدينة دمياط » ، رسالة دكتوراه ، جامعـة القـاهرة ، ص ١١٧ .
(٢٥٧) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٢٥٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة « الاسكندرية » .
(٢٥٩) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتـح الاسـلامى الى بداية العصر الفـاطمى ، ص ٢٣١ .
(٢٦٠) زبدة كشف الممالك ، ص ٤٩ .
(٢٦١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ٥٢ .
(٢٦٢) احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(٢٦٣) ابن بطوطة : رحلته ، ص ١٧ .

من الحجارة[٢٦٤] ، ويذكر ابن بسام[٢٦٥] أن بســـور تنيس تسعة عشر بابا أحـــدهما مصفح بالنحاس وما سواه مصفح بالحــديد •

كانت الخنادق من وسائل التحصين أيضا[٢٦٦] ، فكانت تحفر حول المدن ، وتطلق فيها المياه حتى تجعل من المدينة جزيرة يصعب على العـــدو الاقتراب من أسوارها ، ويقول القلقشندى[٢٦٧] عن الاسكندرية « يدور عليها من الخارج خندق فى جوانب البلد المتصل بالبر » ، ويحـــدثنا ابن شاهين الظاهرى[٢٦٨] عن هـــذا الخندق بقوله : « يحيط بها خندق يطلق فيه المـــاء من البحر المحيط عند وقت الضرورة » •

على أن الطبيعة قـــد حبت بعض الثغور بحصانة طبيعية من المياه فقامت بعمل الخندق ، فكانت تنيس جزيرة فى بحيرة تنيس[٢٦٩] ، كما أن موقع دمياط جعل منها جزيرة محاطة بالمياه[٢٧٠] ، فبحر الروم يحـــدها من الشمال ، وبحيرة تنيس من الشرق[٢٧١] ،وفرع النيل من الغرب[٢٧٢] ، أما ثغر أســـوان فكانت المنطقة من نهر النيل التى تفصل بين هـــذا الثغر والنـــوبة تتخللها الشلالات والجنادل ، ومن ثم تعـــذر على النوبة مهاجمة أسوان بطريق النهر[٢٧٣] •

---

(٢٦٤) الكندى : فضائل مصر ، ص ٥٣ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٢ .
ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٣٦٨ .
(٢٦٥) « انيس الجليس » مخطوطة ، نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .
(٢٦٦) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩١ : ١٩٢ .
(٢٦٧) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٢٦٨) زبدة كشف الممالك ، ص ٤٩ .
(٢٦٩) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٣٧ .
(٢٧٠) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥٢ .
(٢٧١) المقـــدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٢٠ .
(٢٧٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٠ .
(٢٧٣) المصـــدر نفسه ج ١ ص ١٩٩ .

كذلك كانت الثغور المصرية مزودة بالقلاع والحصون والأبراج التى وجدت بها منذ العهد البيزنطى ، وقد حرص الروم على اختيار المواقع الهامة لاقامتها حيث تتوافر فيها المزايا العسكرية ، وعمل العرب على الابقاء عليها ثم قاموا برم ما تهدم منها(٢٧٤) ، ولما توالت هجمات الروم على سواحل مصر الشمالية وجد العرب أن الضرورة الحربية تقتضى بناء حصون وقلاع جددية تستطيع أن تتصدى لتلك الهجمات وتحمي الثغور من غاراتهم ، فعلى أثر الغارة التى قام بها الروم على دمياط وتنيس فى عام ٢٣٨ هـ أمر الخليفة العباسى المتوكل والى مصر عنبسه بن اسحق ببناء حصن فى الفرما فى عام ٢٣٩ هـ ، كما بنى فى نفس الوقت حصنا فى دمياط وآخر فى تنيس وأنفق على بناء هذه الحصون أموالا كثيرة(٢٧٥) ، يقول المقدسى(٢٧٦)عن حصن دمياط أنه من الحجارة أما ياقوت(٢٧٧) فيذكر أن دمياط كان بها برجان يطلان على نهر النيل من جانبه للتحكم فى السلسلة التى تغلق الميناء ، وبلغ من أهمية الحصن المقام على دمياط والمسمى ببرج « السلسلة » أن وصفه السيوطى(٢٧٨) بأنه « قفل بلاد مصر » .

ويبدو أن ثغر رشيد لقى اهتماما بتحصينه فى عهد الخليفة العباسى المتوكل ، فيذكره ساويرس بن المقفع(٢٧٩) ضمن الثغور التى أقيمت حولها الأسوار وبداخلها الحصون .

تروى بعض المصادر أنه كان بالاسكندرية سبعة حصون(٢٨٠) ، ومن الثابت أنه بنى بها فى العهد الاسلامى حصن منيع أقيم فى الركن الشمالى الغربى من

---

(٢٧٤) عبد الرحمن زكى : « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين » ، المجلة التاريخية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٦ .
(٢٧٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١١ .
(٢٧٦) احسن التقاسيم ، ص ٢٠١ .
(٢٧٧) معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢٧٨) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣١ : ٣٢ .
(٢٧٩) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، ص ١٠ .
(٢٨٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٤٨ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، ص ٥٩ .

المدينة ، وكان البحر يغمره من الجهة الغربية ، هـذا الى جانب وجود قلعـة بنيت بها دار للامارة[٢٨١] .

ظـل الاهتمام بتحصين الثغور حتى نهاية العصر الفاطمى ، فأقام الوزير ضرغام بالاسكندرية برجا عنـد باب البحر عرف ببرج ضرغام[٢٨٢] ، كما يذكر المقريزى[٢٨٣] ، أنه بعـد جلاء الصليبيين عن دمياط فى عام ٥٦٥ هـ « رتبت المقاتلة على البرجين ، وشـدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافـع عن الدخول من بين البرجين ، ورم شعث سور المدينة ، وسدت ثلمة ، واتقنت السلسلة بين البرجين ، فبلغت النفقة فى ذلك ألف ألف دينار .

لم يقتصر وجود القلاع والحصون على ما أقيم منها داخل أسوار الثغور بل كانت أحيانا تقام خارجها على مسافة بعيدة عنها تكون بمثابة خطوط دفـاع وحراسة أمامية تعـوق تقـدم الأعـداء لمهاجمة الثغور ، فكان هناك حصن « بلاق » الذى كان يبعـد عن أسوان أربعة أميال الى الجنوب منها ، وصـفه المقريزى[٢٨٤] بأنه « أجـل حصن للمسلمين » كما وصفه أبو صالح[٢٨٥] فى قوله : « حصن منيع عال يقال له بلاق ، وفيه مساكن حصينة ، وفيه تأثيرات محـكومة » .

كذلك كان هناك حصن الأشتوم الذى يبعـد عن تنيس أربعة فراسخ فى البحيرة ، أقامه المسلمون فى عهد الخليفة العباسى المعتصم فى موضع اتصـال بحيرة تنيس ببحر الروم عند الفتحة المسماة بالأشتوم وكان حـوله سور وباب من الحـديد[٢٨٦] .

---

(٢٨١) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسكندرية) .
(٢٨٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص ١٥٩ .
(٢٨٣) الخطط جـ ١ ص ٢١٥ .
(٢٨٤) المصـدر نفسه ص ١٩٩ .
(٢٨٥) تاريخـه ، ص ١٢٧ .
(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٤ .

وكان خط الدفاع الأمامى فى الفرما عبارة عن أخصاص مقامة على شاطىء البحر يخرج اليها المرابطون ليقيموا بها(٢٨٧) .

تأثر العرب فى بناءهم للقلاع والحصون بالأساليب البيزنطية ، فشيدوا جـدرها من الحجر ، واكتنفتها الأبراج والمشربيات الحجرية لتصويب السهام على المحاصرين والمهاجمين ، والمشربيات عبارة عن دعائم يتقارب بعضها من بعض فوقهـا حواجز بارزة ، وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور ، تصـوب السهام منه الى رؤوس المهاجمين الذين يحاولون الحفر تحت الجـدران ، كما كان يصب منه الزيت أو المـاء المغلى على رؤوسهم(٢٨٨) .

استخدمت القلاع كأماكن لاقامة الجند وثكنات لهم(٢٨٩) ، وكان الحصن يضم بداخـله حجرات للجنـد ومساكن لهم ومخزن للأسلحة والمـؤن وبرجا للمراقبة(٢٩٠) ، ولم يكن وجود الأبراج مقصورا على داخل القلاع والحصون ، بل أقيمت أيضا بجانب الأسوار فكانت أسوار المدن يتخللها عدد من الأبراج(٢٩١) ، وكانت تقام أحيانا عند مداخل الموانى(٢٩٢) ولحماية الأسوار ، كان يشيد فى وسط السور برج مرتفع يخزن فيه المؤن والسلاح والعتاد ، ويتخـذه الجنود أحيانا ملجأ لهم يدافعون فيه عن أنفسهم(٢٩٣) .

كانت الأبراج المطلة على البحر تقوم بمهمة الحراسة ، فكان بها المحارس ، ولذلك صار من الضرورى بناؤها على أماكن عالية لرؤية مراكب العـدو قبـل

(٢٨٧) الكندى : فضائل مصر ، ص ٥٣ .
(٢٨٨) عبد الرحمن زكى : « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى » ، المجلة التاريخية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١١٠ .
(٢٨٩) المرجـع نفسه ص ١٢٣ .
(٢٩٠) ابراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ، ص ١٣ .
(٢٩١) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسكندرية) .
(٢٩٢) ياقوت . معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢٩٣) عبد الرحمن زكى : « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى » ، المجلة التاريخية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٢٣ .

الاقتراب من الساحل(٢٩٤) ، وكانت تزود بالمواقيد التى تشعل بهـا النيران ليلا ويطلق منها الدخان نهارا ايذانا بقـدوم العـدو وشرعه فى مهاجمة الثغر(٢٩٥) .

كذلك أقيمت المنارات بالموانى كوسيلة من وسائل التحصين الحربى ، فلم تقتصر أهمية منارة الاسكندرية على هـداية السفن التجارية ، بل قـدمت أجل الخـدمات الحربية لقاعـدة الاسكندرية فكانت بمثابة حصن عال يشرف على البحر(٢٩٦) ، يرابط فيها المطوعة من المصريين وغيرهم(٢٩٧) ، كما كان بها قـوم مرتبون لايقاد النار طوال الليل ، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعـد فاذا رأى أهل المنار ما يريبهم أشعلوا النـار من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس ، فيتأهب عند ذلك الناس لمحاربة العـدو(٢٩٨) .

كانت منارة الاسكندرية عبارة عن بناء شاهق من الحجر يتكون من ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى مربعة الشكل ، والثانية ذات ثمانية أضلاع ، والثالثة مستديرة يعلوها موضع المنار التى يهتدى بها ، ومرآة عجيبة(٢٩٩) ، وكان الصعود الى هـذه المنارة بواسطة طريق دائرى بغير درج ، ويصل الضوء الى داخلها عبر نوافـذ مفتوحة فى جـدارها ، وعلى طول هـذا الطريق الصاعد توجـد غرف يصل عـددها الى ٣٦٤ غرفة(٣٠٠) ، ولم يكن أحـد يستطيع الصعود اليهـا الا بمعاونة الدليل(٣٠١) ، فيذكر المقريزى(٣٠٢) أن جماعة من الجند المغاربة الذين

---

(٢٩٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ١١٨ ، ياقوت : معجم البلـدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢٩٥) المقـدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٧٧ .
(٢٩٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٢ .
(٢٩٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٥٦ .
(٢٩٨) المصـدر نفسه ، ص ١٥٧ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٩٧ .
(٢٩٩) مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٩٦ : ٩٧ .
(٣٠٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١١٤ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٩٧ .
(٣٠١) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٥١ .
(٣٠٢) الخطط جـ ١ ص ١٥٦ .

قـــدموا الاسكندرية فى خلافة المقتدر بالله العباسى دخلوا المنارة بخيولهم فتاهوا فيها وهلك عـــددا كبيرا منهم ، وكانت غرف المنارة تستخدم أحيانا كسجن ، فلما تآمر جماعة من الخوارج بالاسكندرية ضـــد والى مصر قرة بن شريك فى عام ٩١ هـ (٧٠٩ م) قبض عليهم ، وحبسهم فى حجرات المنارة لحـــين البت فى أمرهم(٣٠٣) .

عمـــد الروم الى تخريب منارة الاسكندرية فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك(٣٠٤) ، كما تهـــدم الجزء العلوى منها بفعل الزلازل التى حـــدثت بمصر فى عام ٣٤٤ هـ(٣٠٥) وقامت عـــدة محاولات لاصلاح المنارة وتدعيم مبانيها ، لأهميتها الحربية من ذلك ما قام به أحمد بن طـــولون الذى جعل على قمتها قبـــة من الخشب ، فهدمتها الرياح(٣٠٦) ، فأعاد بناءها ابنه خمارويه(٣٠٧) ، ثم تهدم ركن من أركانها فى العهد الفاطمى فدعمه الوزير الفاطمى الملك الصالح طلائع ابن رزيك(٣٠٨) .

كانت منارة الاسكندرية هى المثال الذى شيدت على نمطه جميع المنارات فى مصر(٣٠٩) ، وبلغ من أهمية هـــذه المنارات أن شيد الفاطميون فى كل ميناء منارة أطلق عليها « الخشب »(٣١٠) .

كانت مآذن المساجد فى الثغور تقوم أحيانا بعمل مزدوج ، فتستخدم لأذان الصلاة ، فضلا عن استخدامها لمراقبة العـــدو والتحـــذير بالاشارات(٣١١) ،

---

(٣٠٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٦٤ .
(٣٠٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٥٦ .
(٣٠٥) المصـــدر نفسه جـ ١ ص ١٥٧ .
(٣٠٦) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤ .
(٣٠٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٥٧ .
(٣٠٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٢ .
(٣٠٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسكندرية) .
(٣١٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٣٠٢ .
(٣١١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، ص ٥٧٨ .

وكانت تسمى (منـار المساجـد) ، وهـذه التسمية أتت من تشبيهها بمنـار الاسكندرية وكانت بداية بناء هـذه المـآذن فى مصر فى عام ٥٣ هـ فى عهد الوالى مسلمه ابن مخلـد(٣١٢) .

كان بتنيس فى العهد الفاطمى فـوق كل مسجد مناره ، ترصد منها سفن العـدواذا قـدم للغزو ومداهمه الأسطول الفاطمى(٣١٣) ، كما كان بجنوب أسوان عـدد من مآذن أو منارات المساجد يرجع اقامه بعضها الى عهد الخليفة العباسى المتوكل ، وبعضها الاخر الى عهد الوزير الفاطمى بدر الجمالى ، وكانت هـذه المـآذن ضمن سلسله عـديدة الحلقات وصلت بين جنوب أسوان ومدينة قـوص قاعـدة الصعيد ، ولعلها كانت تصل الى أبعـد من ذلك فى الشمال ، وكانت تلك المـآذن يعـاد بناؤها من جـديد كلما أصابها الخراب أو وهـن بناؤها ، حتى تظـل صالحة لرقابة العـدو واعطاء اشارات التحـذير(٣١٤) .

كان من الوسـائل التى أتبعت فى تحصين الثغور المطـلة على البحر شـد المآصر على مداخل موانيها ، فوضعت المآصر على مدخل ميناء الاسكندرية(٣١٥) ، كما شـدت المـآصر أيضا على مدخل ميناء دمياط(٣١٦) ، والمـآصر سلاسل ضخمة من الحـديد تعترض الميناء من جهة البحر ، ويصفها النويرى(٣١٧) فى قوله : أن سلاسل المين يكون أحـد أطرافها مثبت فى برج حصين شـديد البنيان مقام على أحـد جانبى الميناء ، ولا يبرز منها غير الحلقة المثبتة بها السلسلة ،

---

(٣١٢) سعد زغلول : الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العهـد الفـاطمى ، ص ٢٥٩ : ٢٦٠ .
(٣١٣) ابن بسام : « انيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .
(٣١٤) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، ص ٥٧٣ : ٥٧٠ .
(٣١٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٦٢ ، معارف عامة ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٧ .
(٣١٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٣١٧) الالمـام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الاسكندرية ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٤٩ تاريخ ، ورقـة ٥٧ .

وتمتد تلك السلسلة بعرض الميناء حتى تصل الى برج آخر يقام على الجانب المقابل من الميناء ، وفيه تدخل السلسلة فى لولب كبير ليتسهل بذلك رفعها وخفضها ويستعمل فى شد السلسلة من خلال اللولب الحيوانات كالبقر ، فاذا سمح لمركب بدخــول الميناء أرخيت السلسلة ، أما فى حالة عــدم السماح للمركب بالدخــول فترفع السلسلة لتغلق الميناء ، وكان يجلس فى هــذا البرج شخص يطلق عليه إسم « صاحب القفل » عنده الأمر والنهى بدخول وخروج السفن(٣١٨) .

يصف ياقوت(٣١٩) سلسلة دمياط فيقول : « ومن شمالى دمياط يصب ماء النيل الى البحر الملح فى موضع يقال له الأشتوم ، عرض النيل هناك مائة ذراع ، وعليه من جانبيه برجان بينهما سلسلة حــديد عليها حرس لا يخرج مركب الى البحر الملح ولا يدخل الا باذن » وكانت هذه السلسلة من القوة بحيث استطاعت منع سفن البيزنطيين من دخول ميناء دمياط أثناء حصارهم لهــا فى عام ٥٦٥ هـ مما ترتب عليه انسحابهم مع حلفائهم الصليبيين وعودتهم خائبين(٣٢٠) .

كان بتنيس ميناءان يغلقان بقنطرتين لهما بابان ، استعيض بهما عن المــآصر ويصف ابن بسام(٣٢١) ذلك فيقول : « وقنطرتان يسلك تحتهما ميناءين لكل ميناء منها باب مصفح بالحــديد يمنع من يريد أن يدخل أو يخرج منه بغير اذن » .

الأســلحة فى الثغــور :

كان هناك أسلحة خفيفة يستخدمها الجندى الواحــد راجلا كان أو فارسا

---

(٣١٨) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٣١٧ .
(٣١٩) معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٣٢٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٤٢ ، ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٦٢٥ .
(٣٢١) « أنيس الجليس » ، مخطوطة نشر مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٨٤ .

كالقوس ، والرمح ، والسيف وما اليها ، وأسلحة ثقيلة يشترك في إستخدامها أكثر من جندي كالمنجنيقات(٣٢٢) والعرادات(٣٢٣) .

عنيت الدولة الاسلامية بتزويد الثغور بالأسلحة الثقيلة التي تستعمل في صد الحصار وقتال الجند المهاجمين الأسوار وحصون الثغور ومن أهمها :

المنجنيق : ويعد من أعظم الآلات الحربية القديمة ، وأشدها تأثيرا ، وبخاصة في عمليات الحصار ، وكان يستخدم في الحروب البرية والبحرية على السواء(٣٢٤) ، وقد أخذ العرب هذه الآلة عن الفرس بعد الاسلام ، وكانت معروفة قديما عند الفينيقيين والرومان وغيرهم من الأمم(٣٢٥) .

والمنجنيق على أصناف كثيرة منه الصغير ومنه الكبير ومنه ما هو بلوالب ، ومنه ما هو بدائرة وفيها ثقالات من الرصاص(٣٢٦) ، ويتركب المنجنيق من ثمان وعشرين قطعة من الخشب تعمل منها القاعدة وفوقها قائمتان على الجانبين وتتصل هاتان القائمتان بعرضه ، ثم يركب على هذه العرضة سهم يراعى في وضعه أن يكون أحد طرفيه قصيرا والآخر طويلا ، وتثقل الجهة القصيرة حتى يصير وضع السهم رأسيا ، وفي الجهة الطويلة تركب الكفه التي يوضع فيها الحجر المعد للقذف بعد أن يجذب حتى يجعل عاليه أسفلا ، وعندئذ يخلى السهم فينطلق الحجر نحو الهدف(٣٢٧) ، وأحيانا كان يرمى منه بالنفط أو المواد

---

(٣٢٢) المنجنيق كلمة معربة من (جه نيك) وهي فارسية ومعناها ما أجملني سرهنك : حقائق الأخبار ج ١ ص ١٩٢ .

(٣٢٣) عبد الرؤوف عون : الفن الحربي ، ص ١٢٩ .

(٣٢٤) سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٢٢١ .

(٣٢٥) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الاسلامي ، ص ٥ .

(٣٢٦) الحسن بن عبد الله : آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ١٩١ .

(٣٢٧) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٧ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٥١٩ .

المحرقة التى تثقل بالرصاص اذا كانت خفيفة حتى تندفع وتحرق كل ما تلقاه(٣٢٨) . وقد بطل استعمال هذه الآلة بعد اختراع البارود والأسلحة(٣٢٩) .

ومن الأسلحة الثقيلة أيضا : العرادة ، وهى نوع مصغر من المنجنيق تستخدم لرمى السهام الكبار دفعة واحدة الى المسافات البعيدة والأهداف النائية التى لا تصل اليها رميات الأقواس ، فكانت توضع فيها عدة سهام كبار ثم يرمى بها مرة واحدة فتبعد وتصيب(٣٣٠) .

كانت الأسوار تحتمى من ضربات المنجنيق فى حالة الهجوم عليها بوضع ستائر عليها ، وهى عبارة عن أخشاب طوال توضع على الأسوار ثم يدلى منها البسط والأكسية والشباك المصنوعة من الحبال الغليظة واللبود حتى اذا سلط المهاجمون أحجار منجنيقاتهم على الأسوار أصابت هذه الستائر فيضعف مفعولها وتبطل قوتها(٣٣١) .

---

(٣٢٨) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩١ .
(٣٢٩) سرهنك : حقائق الأخبار جـ ١ ص ١٩٢ .
(٣٣٠) عبد الرؤوف عون : الفن الحربى ، ص ١٥٦ .
(٣٣١) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص ١٩٤ .

الخاتمــــة

تميزت مصر بحــدودها الساحلية الطويلة ، وبما قام على تلك الحــدود من ثغور ، استمدت أهميتها من موقعها ، وكان لهــذه الثغور دور بارز فى الأحداث السياسية ، والتقــدم الحضارى فى مصر خلال الفترة التى تناولتها بالبحث •

اتضح لى من دراسة الموقع الجغرافى للثغور تأثرها بعوامل جغرافيــة وسياسية تسببت فى اندثار بعضها واختفائها من على الخريطة الجغرافية لمصر مثل الفرما وتنيس والقلزم وعيذاب ، وفى بقاء بعضها ووجوده حتى الآن مثل الاسكندرية ودمياط ورشيد وأسوان •

كما تبين لى من دراسة حوادث الفتح الاسلامى للثغور المصرية انها كانت من أكبر مراكز المقاومة التى واجهت العرب ، وذلك لأن الروم أدركو أهميتها فى الدفاع عن مصر فحصنوها وشحنوها بالجند والعتاد ، مما كان سببا فى وقــوف العرب محاصرين لبعضها وقتا طويلا •

كانت الثغور المصرية ملجــأ للثائرين ، مما جعلها مقرا لكثير من الحركات المناهضة للخلافة ولولاة مصر التى اجتاحت مصر منذ العهد الأموى حتى نهاية العهد الأخشيدى ، ولم تكن تلك الحركات الا صورة واضحة لمــا تعرضت له الدولة الاسلامية من فتن واضطرابات •

وقفت من دراستى للغارات الخارجية التى عانت منها الثغور المصرية أن الثغور الواقعة على ساحل بحر الروم وثغر أسوان تعرضت للكثير من العدوان الخارجى عليها فى حين كانت ثغور مصر الواقعة على ساحل بحر القلزم أكثر أمنا فلم تتعرض للأخطار الا فى فترات قليلة جــدا ، وهــذا يرجع الى أن بحر القلزم كان بمثابة بحيرة اسلامية تصل مصر بمركز الدولة الاسلامية بالحجاز •

كما تحقق لى أيضا من هــذه الدراسة أن عــدم استعانة العرب بالأساطيل البحرية فى أول عهدهم بمصر كان سببا فى تشجيع الدولة البيزنطية على توجيــه غاراتها الى الاسكندرية لاتخاذها قاعــدة تستعيد منها مصر ، ولمــا غيرت الدولة الاسلامية سياستها الحربية بانشائها الأساطيل وشحنها بالمقاتلة وضعت الدولة البيزنطية فى حسابها تلك القوة البحرية فتحولت بغاراتها من الاسكندرية الى أقرب المواني المصرية اليها وهى الفرما وتنيس ودمياط ، وكانت الغـــارات البيزنطية على هــذه الثغور تتسم بالسرعة والانتهازية كما أن الهــدف منهــا كان السلب والنهب .

كما ثبت لى أن الغارات الخارجية سواء ما وقــع منها على ثغور مصر الشمالية او على ثغر اسوان فى الجنوب كانت ترتبط ارتباطا واضحا بفترات الضعف والتفكك التى كانت تجتاح مصر ، فكانت تكثر وتشتد فى تلك الفترات فى حين كانت تقــل او تنعــدم فى الفترة التى تكون فيها مصر قوية ومتحدة .

وفى مجال دراستى للنظام الادارى بالثغور اتضح لى أنها انفردت بنظام ادارى ميزها عن بقية مدن مصر نظرا لاهميتها الحربية والاقتصادية ، فولى الحكم فيها بعــد الفتح حاكمان أحــدهما يشرف على الشئون الادارية وكان من أهــل البلاد والآخر يشرف على الناحية العسكرية وكان من العرب ، كما حرص الخلفاء على أن يعهدوا بولاية الثغور الى حاكم من قبلهم مباشرة وكان معظمهم من القواد حتى يتسنى لهم الدفاع عنها .

كذلك ثبت لى اسهام الثغور المصرية بنصيب كبير فى تنمية موارد بيت المــال من الجزية والخراج والمكوس وخاصة المورد الأخير فكانت الثغور مراكز لجباية المكوس فى مصر ، التى تميزت بتنوعها .

وكانت السفاتج والصكوك من وسائل المعاملات التجارية التى وجــدت بالثغور وربطت بين بعضها البعض ، فكان يتم عن طريقها عقــد كثير من الصفقات

التجارية ، لأن التعامل بالمبالغ الكبيرة كان يواجه الأخطار عند انتقاله من مكان الى آخر .

وتحقق لى أن الثغور المصرية كانت مراكز هامة لكثير من الصناعات التى كانت تعـد من دعائم النشاط الصناعى فى العصر الاسلامى ، كصناعة المنسوجات والسفن والورق والزجاج بسبب ما توفر فيها من عناصر قيام هـذه الصناعات وكانت صناعة النسيج من أهم الصناعات التى ازدهرت بالثغور ونالت منتجاتها من الأقمشة شهرة كبيرة حتى أن بعضها نسب الى الثغور فكان منها الدميـاطى والتنيسى والشطوى والدبيقى والاسكندرانى .

وفى مجال دراستى للنشاط التجارى اتضح لى أن الثغور كانت مراكز هامة للتجارة الداخلية ، لأنهـا كانت تنتج سلعا صناعية وزراعية وغـذائية متنوعة ، كما أنها كانت تتصل بالمدن الداخلية بشبكة من الطرق النهرية والبرية سـهلت انتقال تلك السلع منها واليها ، وكانت دمياط أهم مراكز التجارة الخارجية فى الركن الشمالى الشرقى ، وتجلى نشاط الحركة التجارية فيها فى العصر الفاطمى ومما ساعد على ذلك ما حل بكل من الفرما وتنيس من ضعف واضمحلال بتأثير العوامل الطبيعية والسياسية .

ولم يكن لثغر رشيد أهمية كبيرة فى التجارة الخارجية بالرغم من التشابه الكبير فى الموقع الجغرافى بينه وبين ثغر دمياط ، ويرجع ذلك الى صعوبة الملاحة فى فرع رشيد فضلا عن قرب موقع رشيد من الاسكندرية .

وقـد احتفظت الاسكندرية فى العصر الاسلامى بمركزها التجارى الهام فكان يفـد اليها التجار من جميع الجهات ، ولم تكن شهرتها ترجع الى ما بها من منتجات مصرية فحسب بل ترجع الى كونها سوقا للمحاصيل الشرقية التى كانت تمثل جانبا كبيرا من تجارة المرور بين الشرق والغرب .

وكان لتحول الطريق التجارى عبر عيذاب أثره فى انتعاش حالتها الاقتصادية لما تبع ذلك من جباية المكوس على السلع واشتغال أهلها فى أعمال الشحن والتفريغ •

أما فيما يتعلق بالتنظيمات الحربية ، فلم يأل العرب جهدا ، فى حماية الثغور المصرية ، وليس أدل على ذلك من اتباعهم نظام تركيز الجند فى تلك الثغور فوضعوا فى الاسكندرية ربع القوات العسكرية كلها ، ووزعوا الربع الثانى على بقية السواحل واحتفظوا بالنصف لبقية البلاد •

وقد تحقق لى أن الدفاع عن الثغور كان يتم بوسيلتين الأولى عن طريق تركيز الجند فى الثغور وخاصة فى فصلى الربيع والصيف حيث تكون الأحوال الجوية ملائمة للملاحة فى البحر فيكثر هجوم العدو على السواحل ، والثانية عن طريق ارسال الامدادات للثغر المعتدى عليه لتساعد فى الدفاع عنه •

كما ثبت لى أن الثغور المصرية قامت بأجل الخدمات البحرية الإسلامية فاتخذت قواعد لترابط بها الأساطيل للدفاع عن السواحل المصرية ، كما أنشئت بها دور الصناعة ، لبناء السفن الحربية كذلك أصبحت الثغور قواعد تخرج منها الأساطيل للغزو أو للدفاع عن سواحل الدولة الاسلامية •

وتبين لى من دراستى التنظيمات الحربية فى الثغور أن الخدمة فى الأسطول كانت قائمة على مبدأ التطوع منذ أول الأمر وظلت كذلك حتى عهد الدولة الفاطمية ويشترط فيمن يريد الخدمة بالأسطول أن يكون على دراية بفنون الحرب ، وكان رجال الأسطول موضع احترام الناس فعرفوا بالمجاهدين فى سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ، كذلك اتضح لى من هذه الدراسة ، مدى اهتمام الدولة الاسلامية بتحصين الثغور ، وحرص ولاة مصر وحكامها على الاحتفاظ بالتحصينات القائمة بها منذ العهد البيزنطى ، واعادتهم بناء المتهدم منها وترميمه ، كما قاموا ببناء تحصينات جديدة •

وكانت تحصينات الثغور تشمل الأسوار التى تحيط بالمدينة ، والخنادق التى تحفر حولها والقلاع والحصون والأبراج التى تقام بداخلها وكانت تحتوى على ثكنات للجند ومخازن للأسلحة وأماكن مراقبة قدوم العدو •

ومما يجدر ذكره أن شد المآصر عند مداخل الموانى كان من أهم وسائل التحصين بالثغور البحرية ، ويقام لهذا الغرض برجان عظيمان على جانبى الميناء وتشد بينهما سلسلة ضخمة ترتفع فتغلق الميناء فلا تستطيع السفن الدخول ، وتنخفض فتسمح بدخول السفن الميناء ، كما زودت الموانى والثغور بالمنارات العالية التى كانت ترشد السفن التجارية ، واستعملت الى جانب ذلك فى مراقبة هجوم العدو من جهة البحر •

وصفوة القول أن الثغور المصرية ، تعرضت للأحداث السياسية التى طرأت على مصر منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، وقامت بدور هام فى مواجهة هذه الأحداث ، كما كان لها أثر واضح فى التقدم الحضارى لمصر وبخاصة فيما يتعلق بتنمية موارد الثروة ، وازدهار الصناعة ، ونشاط حركة التجارة ، وفضلا عن ذلك فقد تحملت عبء الدفاع من البلاد المصرية ، وصد غارات الأعداء عنها ، مما حمل ولاة مصر وحكامها على شحنها بالقوات البرية والبحرية ، وتزويدها بالأسلحة وبناء ما يلزمها من تحصينات الأمر الذى مكنها من درء الأخطار الخارجية عن مصر •

مصـــادر الكتـــاب

مرتبة حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين

أولا : المخطوطات العربية

١ ــ ابن الأخـــوة : (ت ٧٢٩ هـ/١٣٢٩ م) محمد بن أحمد القرشي « معالم القربة في أحكام الحسبة » مخطوط بدار الكتب رقم ٦٧٩ ف .

٢ ــ ابن زولاق : (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) الحسن بن ابراهيم « فضـــائل مصر واخبارها وخواصها » مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩٦ تاريخ .

٣ ــ ابن فضل الله العمري : (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) « مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار » مخطوط بدار الكتب رقم ٥٦٢ معارف عامة .

٤ ــ النويري : (ت ٧٧٥ هـ/١٣٥٤ م) محمد بن قاسم بن محمد النويري المالكي السكندري . « الالمـــام بما جرت به الأحكام المقضية في واقعة الاسكندرية » مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٤٩ تاريخ .

ثانيا : المصادر العربية

٥ ــ ابن الأبار : (ت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي « الحلة السيراء » جزءان القاهرة ١٩٦٣ م .

٦ ــ ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٨ م) علي بن أحمد بن أبي الكرم « الكامل في التاريخ » (١٢ جزءا القاهرة ١٢٩٠ هـ) .

٧ ــ الادريسي : (ت ٥٤٩ هـ/١٢٥١ م) محمد بن عبد العزيز الشريف « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » (روما ١٩٧٠ : ١٩٧٢ م) .

٨ — الأدفوى : (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م) أبو الفضل كمال الدين بن جعفر بن ثعلب « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد » القاهرة ١٩٦٦ م .

٩ — ابن اسحق الاموى : محمد بن اسحق بن يسار بن جبار الأموى « فتوح مصر واعمالها » (القاهرة ١٢٧٥ هـ) .

١٠ — الاصطخرى : (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) أبو اسحاق ابراهيم محمد الفارسى الاصطخرى مسالك الممالك « ليدن ١٩٦٧ م » .

١١ — ابن اياس : (٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م) محمد بن احمد بن اياس الحنفى المصرى تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور « بولاق ١٣١١ هـ » .

١٢ — ابن بسام : (ت فى الربع الأول من القرن السابع) محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسى . « أنيس الجليس فى اخبار تنيس » تحقيق دكتور جمال الدين الشيال — نشر مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ١٤ سنة ١٩٦٧ م .

١٣ — نهاية الرتبة فى طلب الحسبة تحقيق حسام الدين السامرائى (بغداد ١٩٦٨ م) .

١٤ — ابن بعرة : منصور بن بعرة الذهبى الكاملى « كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية » تحقيق عبد الرحمن فهمى (القاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٩ م) .

١٥ — البغدادى : (ت ٦٢٩ هـ/١٢٣١ م) عبد اللطيف موفق الدين عبد اللطيف — الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر — (القاهرة مطبعة المجلة الجديدة) .

١٦ — البكرى : (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٧ م) ابو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » (الجزائر ١٨٥٧ م) .

١٧ — البلاذرى : (ت ٢٩٧ هـ/٨٩٢ م) ابو الحسن أحمد بن يحيى جابر بن داود « فتوح البلدان » نشر صلاح الدين المنجد « ٣ أجزاء القاهرة ١٩٥٦ م » .

١٨ — البلوى : (ت ٣٣٠ هـ/٩٤١ م) ابو محمد عبد الله بن محمد المديلى « سيرة أحمد بن طولون » تحقيق محمد كرد على (دمشق ١٩٣٩ م) .

١٩ ـــ الثعالبي : (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل « لطائف المعارف » (ابريل ١٨٦٧ م) .

٢٠ ـــ الجاحظ : (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م) ابو عثمان عمرو بن بحـــــر « التبصر بالتجارة » (القاهرة ١٣٥٤ هـ/١٩٣٥ م) .

٢١ ـــ ابن جبير : (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م) ابو الحسن محمد بن أحمد الكنـــانى « رحلة ابن جبير » (تحقيق حسين نصار ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م) .

٢٢ ـــ ابن الجيعان : (ت ٨٨٥ هـ/١٤٨٠ م) شرف الدين يحيى بن المقر « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » (القاهرة ١٨٩٨ م) .

٢٣ ـــ الحسن بن عبد الله : (ت ٧٠٨ هـ) « آثار الأول فى ترتيب الدول » (بولاق ١٢٩٥ هـ) .

٢٤ ـــ ابن حوقل : (توفى أواخر القرن الرابع الهجرى) أبو القاسم محمد بن حوقل البغـــدادى « صورة الأرض »(ليدن ١٩٦٧ م) .

٢٥ ـــ ابن عبد الحكم : (ت ٢٥٧ هـ/٨٧١ م) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله « فتوح مصر وأخبارها » (القاهرة ١٩٧٤ م) .

٢٦ ـــ ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م) أبو القاسم عبد الله بن أحمد « المسالك والممالك » (ليدن ١٩٦٧ م) .

٢٧ ـــ ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ ـــ ١٤٠٦ م) عبد الرحمـــن المغربى « المقـــدمة » (بولاق ١٣٢٠ هـ) .

٢٨ ـــ ابن الداية : (ت ٣٣٠ هـ/٩٤١ ـــ ٩٤٢ م) أبو جعفر أحمد بن يوســـف الكاتب « المكافاة » (بولاق ١٩٤١ م) .

٢٩ ـــ ابن رسته : (ت ٢٩٥ هـ/٧٠٧ م) ابو على احمد بن عمر « الأعـــلاق النفيسة » (ليدن ١٨٩٢ م) .

٣٠ — ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين (ت اواخر القرن الرابع الهجرى ، « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة » (١٩٤٣ م) .

٣١ — ابن سعيد : (ت ٦٧٣ هـ/١٢٧٥ م) أبو الحسن على بن موسى الأندلسى المغربى « المغرب فى حلى المغرب » — تحقيق زكى محمد حسن وشوقى ضيف وسيده كاشف (القاهرة ١٩٤٣ م) .

٣٢ — السيوطى : (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) عبد الرحمن أبى بكر جلال الدين « حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » جزءان (القاهرة ١٣٢١ هـ) .

٣٣ — أبو شامة : (ت ٦٦٥ هـ/١٢٦٧ — ١٢٦٨ م) شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن اسماعيل الشافعى « الروضتين فى أخبار الدولتين » (جزءان ١٢٨٧ هـ) .

٣٤ — ابن شاهين الظاهرى : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » (باريس ١٨٩٤ م) .

٣٥ — ابن شداد : (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م) بهاء الدين يوسف « سيرة صلاح الدين الأيوبى المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » (١٣١٧ هـ مصر) .

٣٦ — شمس الدين الدمشقى : (ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م) شيخ الربوة شمس الدين أبو عبد الله « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » (ليبزج ١٩٢٣ م) .

٣٧ — أبو صالح الأرمنى : (ت ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م) أبو المكارم جرجس بن مسعود « تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى » (اكسفورد ١٨٩٤ م) .

٣٨ — الطبرى : (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير « تاريخ الأمم والملوك » (١٠ أجزاء القاهرة ١٩٦٠ م) .

٣٩ — ابن ظهيرة : (ت ٩٨٦ هـ) جمال الدين محمد بن محمد نور الدين بن ابى بكر « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » .

٤٠ — ابن عذارى : (ت اواخر القرن السابع الهجرى) أبو عبد الله محمد المراكشى « البيان المغرب فى أخبار المغرب » (جزءان ليدن ١٨٣٨ م) .

٤١ ــ أبو الفضل الدمشقى : (من علماء القرن الخامس الهجرى) أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى « الاشارة الى محاسن التجارة » (مطبعة المؤيد ١٣١٨ هـ) .

٤٢ ــ ابن الفقيه الهمدانى : (ت أواخر القرن الثالث الهجرى) أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى « البلدان » (ليدن ١٩٦٧) .

٤٣ ــ قدامه بن جعفر : (ت ٣٣٧ هـ/٩٤٩ م) أبو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب البغدادى « نبذ من كتاب الخراج وصنعه الكتابة » ــ ملحق بكتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك (ليدن ١٩٦٧ م) .

٤٤ ــ القلقشندى : (ت ٨٢٣ هـ/١٤١٨ م) الشيخ أبى العباس احمد القلقشندى « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » (١٤ جزءاً) .

٤٥ ــ الكندى : (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف (أ) الولاة وكتاب القضاة (بيروت ١٩٠٨)

٤٦ ــ (ب) فضائل مصر (القاهرة ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م) .

٤٧ ــ الماوردى : (ت ٤٥٠ هـ/١٠٥٧ م) ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى « الأحكام السلطانية » (١٢٩٨ هـ) .

٤٨ ــ مجهول : (من كتاب القرن السادس الهجرى) « الاستبصار فى عجائب الأمصار » (تحقيق سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية) (١٩٥٨ م) .

٤٩ ــ أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » (نشر دار الكتب المصرية) .

٥٠ ــ المراكشى : (ت ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ ــ ١٢٧١ م) محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن التميمى « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » (١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م) .

٥١ — المسعودى : (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٦ م) ابو الحسن على بن الحسين بن على « التنبيه والاشراف » (ليدن ١٩٦٧ م) .

٥٢ — مسكويه : (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م) أبو على احمد بن محمد بن يعقوب « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » (ليدن ١٩٠٩) .

٥٣ — المقدسى : (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) شمس الدين ابو عبد الله محمد المعروف بالبشارى « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » (ليدن ١٩٦٧) .

٥٤ — المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .
(أ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزءان) (القاهرة مؤسسة الحلبى) .

٥٥ — (ب) « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب » تحقيق عبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٦١) .

٥٦ — (جـ) «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) .

٥٧ — (د) « اغاثة الأمة بكشف الغمة » (١٣٥٩ هـ/١٩٤٠ م) .

٥٨ — (هـ) « شذور العقود فى أخبار النقود » .

٥٩ — ابن مماتى : (ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م) الأسعد ابو المكارم « قوانين الدواوين » تحقيق عزيز سوريال عطيه (مصر ١٩٤٣) .

٦٠ — ابن ميسر : (٦٧٧ هـ/١٢٧٨ م) محمد بن على بن يوسف بن جلب « تاريخ مصر » (طبعة هنرى ماسيه القاهرة ١٩١٩ م) .

٦١ — ناصر خسرو علوى : (ت ٤٨١ هـ/١٠٠٨ م) « سفر نامة » نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب (القاهرة ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م) .

٦٢ — ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٧ — ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » (القاهرة ١٩٥٣ م) تحقيق جمال الشيال .

٦٣ ــ الواقــدى : (ت ٢٠٧ هـ) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقــد « فتوح مصر والاسكندرية » (ليدن ٢٣١ هـ/١٨٢٥ م) .

٦٤ ــ ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى « معجم البلدان » ــ ١٠ أجزاء (القاهرة ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م) .

ثالثا : المصادر العربية الحــديثة

٦٥ ــ ابراهيم احمد العــدوى « الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوســط » (القــاهرة ١٩٥٧) .

٦٦ ــ احسان هندى « الحيــاة العسكرية عند العرب » (دمشق ١٩٦٤) .

٦٧ ــ احمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم « تاريخ البحرية الاســلامية فى مصر والشام » (بيروت ١٩٧٢) .

٦٨ ــ استرابون « استرابون فى مصر » نقــله لعربيــة دكتــور وهيب كــامل (القــاهرة ١٩٥٣ م) .

٦٩ ــ اســد رستم « الروم فى سياستهم وحضــارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب » جزءان (لبنان ١٩٥٥ م) .

٧٠ ــ اسماعيل سرهنك « حقــائق الأخبــار عن دول البحار » ٣ أجزاء (بولاق ١٣١٤ هـ) .

٧١ ــ امارى : ميخائيل ــ مكتبة صقلية العربية (١٨٥٧ م) .

٧٢ ــ بتلر (الفريد) « فتح العرب لمصر » ترجمة محمد فريد أبو حــديد (القاهرة ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦ م) .

٧٣ ــ جمال الدين الشيال « مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا » (١٩٤٩ م) .

٧٤ — جوزيف نسيم يوسف « العدوان الصليبى على مصر » (القاهرة ١٩٦٩ م) .
٧٥ — حسن ابراهيم حسن .
(أ) « تاريخ الاسلام السياسى » (الأجزاء ١ ، ٢ القاهرة ١٩٥٣ م) (الجزء ٣ القاهرة ١٩٥٥ م) (الجزء ٤ القاهرة ١٩٦٧ م) .
٧٦ — (ب) « تاريخ الدولة الفاطمية » (القاهرة ١٩٥٨ م) .
٧٧ — حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف « المعز لدين الله » (القاهرة ١٩٦٣) .
٧٨ — حسن الباشا « الألقـــاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » (القاهرة ١٩٥٧ م) .
٧٩ — حسن احمد محمود « حضـــارة مصر الاســـلامية فى العصر الطـــولونى » (القـــاهرة ١٩٦٠ م) .
٨٠ — ديمـــاند « الفنون الاسلامية » ترجمة احمد محمد عيسى (١٩٥٣ م) .
٨١ — رنسيمان (ستيفن) « تاريخ الحروب الصليبية » نقله للعربية السيد الباز العرينى (بيروت ١٩٦٨) .
٨٢ — راشـــد البراوى « حالة مصر الاقتصادية فى عهـــد الفاطميين » (القاهرة ١٢٦٨ هـ/١٩٤٨ م) .
٨٣ — سعاد ماهر « البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية » (القـــــاهرة ١٩٦٧ م) .
٨٤ — سعد زغلول عبد الحميد « تاريخ الاسكندرية من الفتح الاسلامى الى بداية العصر الفاطمى » من كتاب تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور (١٩٦٣ م) .
٨٥ — سعيد عاشور « الحركة الصليبية » جزءان — (القاهرة ١٩٦٣ م/١٩٧١ م)
٨٦ — السيد عبد العزيز ســـالم « تاريخ الاســـكندرية وحضـــارتها فى العصر الاســـلامى » (١٩٦١ م) .
٨٧ — سيدة اسماعيل كاشـــف .

٨٨ — (أ) « مصر فى فجر الاسلام » (القاهرة ١٩٤٧ م) .

٨٩ — (ب) « مصر فى عصر الاخشيديين » (القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٧٠ م) .

٩٠ — (ج) « أحمد بن طولون » (القاهرة ١٩٦٥ م) .

٩١ — (د) « مصر فى عصر الولاة » .

٩٢ — صابر محمد دياب « سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط » (القاهرة ١٩٧٣ م) .

٩٣ — عباس مصطفى عمار « المدخل الشرقى لمصر » (القاهرة ١٩٤٦ م) .

٩٤ — عبد الرحمن فهمى محمد « موسوعة النقود وعلم النميات فجر السكة » (دار الكتب ١٩٦٥ م) .

٩٥ — عبد الرءوف عون « الفن الحربى فى صدر الاسلام » (دار المعارف ١٩٦١ م) .

٩٦ — عبد الفتاح عبادة « سفن الأسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها فى الاسلام » .

٩٧ — عبد الفتاح وهيبة « دراسات فى جغرافية مصر التاريخية » (القاهرة ١٩٦٢ م) .

٩٨ — عبد المجيد عابدين « دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل مع كتاب البيان والاعراب للمقريزى » (القاهرة ١٩٦١ م) .

٩٩ — عبد المنعم ماجد .
(أ) « نظم الفاطميين ورسومهم » (القاهرة ١٩٥٣ م) .

١٠٠ — (ب) « تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى » .

١٠١ — عطية القوصى : « تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية » . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

١٠٢ — على مبارك « الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » (بولاق ١٣٠٥ هـ) .

١٠٣ — عمر طوسون .
(أ) « تاريخ خليج الاسكندرية وترعة المحمودية » (١٣٦١ هـ/١٩٤٢ م) .

١٠٤ — (ب) « مالية مصر من عهد الفراعنة حتى الآن » (الاسكندرية ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م) .

١٠٥ — فازيليف « العرب والروم » نقله الى العربية محمد عبد الهادى شعيرة .

١٠٦ — فريد شافعى « العمارة العربية فى مصر الاسلامية » المجلد الأول عصر الولاة (القاهرة ١٩٧٠ م) .

١٠٧ — نوبون (غستاف) « حضارة العرب » نقله للعربية محمد على زعيتر (مصر ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م) .

١٠٨ — لويس (ارشيبالد) « القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط » نقله للعربية احمد محمد عيسى (القاهرة ١٩٦٠ م) .

١٠٩ — متز (آدم) « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » نقله للعربية محمد عبد الهادى أبو ريده . جزءان (القاهرة ١٩٤٠ م) .

١١٠ — محمد جمال الدين سرور .
(أ) الدولة الفاطمية فى مصر (القاهرة ١٩٧٠ م) .

١١١ — (ب) سياسة الفاطميين الخارجية (القاهرة ١٩٦٧ م) .

١١٢ — (جـ) تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (القاهرة ١٩٧٣ م) .

١١٣ — محمد رمزى « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ م » .

القسم الأول : البلاد المندرسة (دار الكتب ١٩٥٣ : ١٩٥٤ م) .

القسم الثانى : البلاد الحالية (دار الكتب ١٩٥٤ : ١٩٥٥ م) .

١١٤ — محمد عبد العزيز مرزوق « الفنون الزخرفية الاسلامية فى مصر قبل الفاطميين » (القاهرة ١٩٧٤ م) .

١١٥ — محمد ياسين الحموى « تاريخ الأسطول » (مطبعة الترقى بدمشق) .

١١٦ — نقولا يوسف « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » (١٩٥٩ م) .

رابعا : الدوريات والبحوث

١١٧ — ابراهيم احمد العدوى .
(أ) سواحل مصر — مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الخامس الجزء الأول مايو ١٩٥٧ م .

١١٨ — (ب) « أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى » — المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الثانى أكتوبر ١٩٥٠ .

١١٩ — (جـ) « ولاية قرة بن شريك فى ضوء أوراق البردى » — مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الحادى عشر .

١٢٠ — احمد دراج « عيذاب » مجلة نهضة أفريقيا — عدد يوليو/اغسطس ١٩٥٨ م .

١٢١ — حسين مؤنس — « المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط الى الحروب الصليبية » المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع الجزء الأول مايو ١٩٥١ م .

١٢٢ — حورية عبده سلام — « علاقات مصر ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية » — رسالة دكتوراه جامعة القاهرة .

١٢٣ — سعاد ماهر — « محافظات الجمهورية العربية المتحدة فى العصر الاسلامى » فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ٢١ العدد الأول مايو ١٩٥٩ م .

١٢٤ — السيد خالد المطرى — « مدينة دمياط دراسة فى جغرافية المدن » رسالة دكتوراه جامعة القاهرة .

١٢٥ — صديق شيبوب — « جمهورية اندلسية بالاسكندرية » مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٩ م .

١٢٦ — عبد الرحمن زكى — « العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والبيزنطيين » المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع ١٩٥٨ م .

١٢٧ — عبد الرحمن فهمى — « دراسات فى السكة فى مصر الاسلامية » رسالة دكتوراه — جامعة القاهرة .

١٢٨ — محمود محمد الحويرى — « اسوان فى العصور الوسطى » رسالة ماجستير جامعة القاهرة .

١٢٩ — مصطفى محمد مسعد — « البجة والعرب فى العصور الوسطى » مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الأول ٢ ديسمبر ١٩٥٩ م .

خامسا : المصادر الأجنبية

Arkell : A History of the Sudan from the earliest time to? — ١٣٠
1821 (London 1955).

Ashtor (Eliyahu) : Histoire des Prix et des Salaires dans — ١٣١
l'orient Medievale (Parie 1969).

Beazley (C.R.) : The dawn of modern Geography (vol. 2. — ١٣٢
1897).

Cambridge Modiaeval History (Vol. IV). — ١٣٣

Charlesworth : Trade-Routes and commerce of the — ١٣٤
Roman Empire (London 1924).

Depping : Histoire du commerce entere le levant et — ١٣٥
l'Europe.

Grousset (R.) : Histoire des Croisades et du Royaume — ١٣٦
Franc de Jerusalem.
(Paris 1943-6).

Heyd (w.) : Histoire du commerce du levant au moyen — ١٣٧
Age (Leipzig 1923).

Long Field (Col. W.E.) : The Growth of sudan Commu- — ١٣٨
nication. Anglo Egyptian sudan from within, ed Hamilton
(London 1935).

Longnon (J.) : Les Français d'Outremer au Moyen Age. — ١٣٩
(Paris, 1929).

Macmichael (H.A.) : A History of the Arabs in the sudan — ١٤٠
(Vol I) (London 1922).

Mann (Jacob) : The Jews in Egypt and Palestine under — ١٤١
the Fatimid caliphs. (Oxford 1920).

Maspero&Weit : Matériaux pour servir à la géographie — ١٤٢
de l'Egypte de Caire 1919).

Miles (George. C.) : Fatimid coins (New York 1951). — ١٤٣

Quatremere : Mémoires Geographiques et Historiques — ١٤٤
sur l'Egypte. (Paris 1811).

Schlumberger (G.) : Campagnes du Rois A maury de — ١٤٥
Jerusalem en Egypte. (Paris 1906).

Lane Poole (Stanley) : A History of Egypt in the Middle — ١٤٦
Ages.

Trimingham (J.S.) Islam in the suden (London 19/wg). — ١٤٧

Wiet (G.) : Histoire de la Nation Egyptienne (7 Vols — ١٤٨
Pairs 1931-1940). Vol. IV 1939 : l'Egypte Arabe.

سادسا : الدوريات الأجنبية

Cahen (Claude) : Douanes et commerce les ports Médi- — ١٤٩
terranéens de l'Egypte médiévale d'aprés le Minhàdj
d'al-Mo Khzùmi."in Journal of the Economic and Social History
of the Orient.

(VOL. VII 1964)

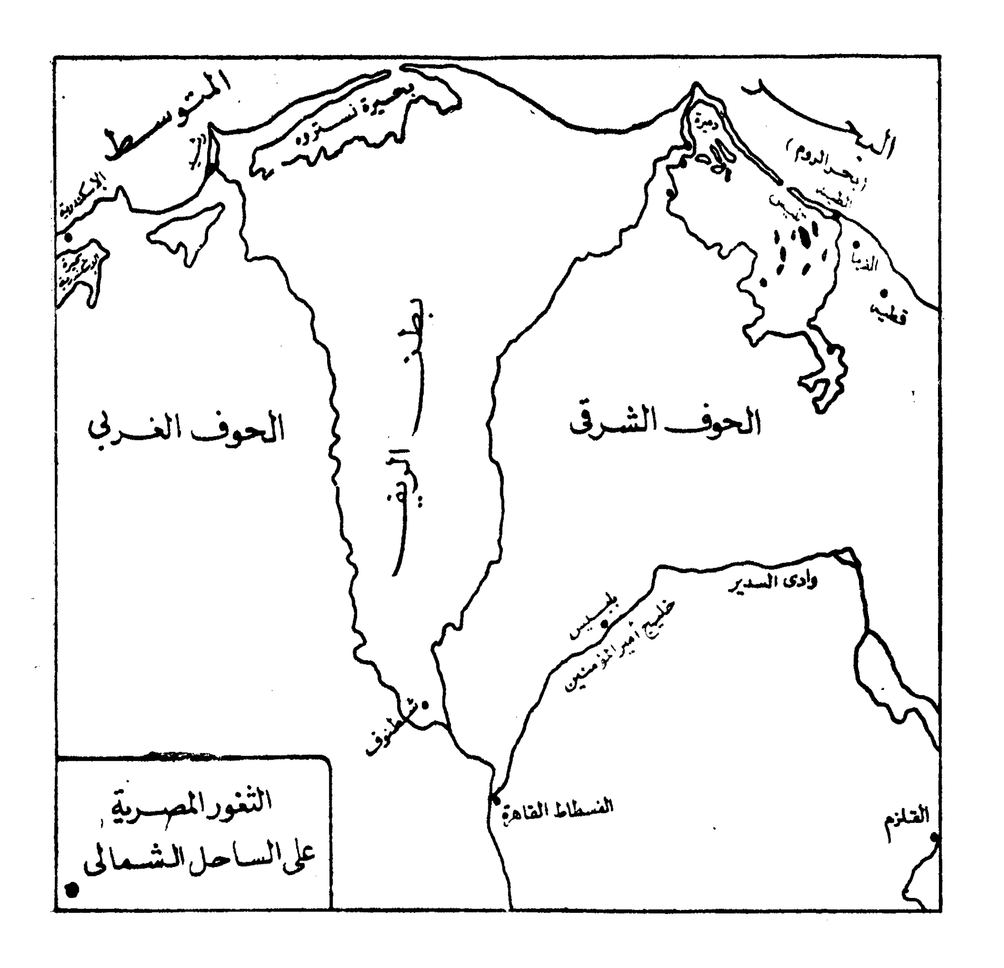
— ١٥٠

Cheîre : le Pagarque au Lsiecle p.H. d'àprés les papyrus d'Aphrodito.

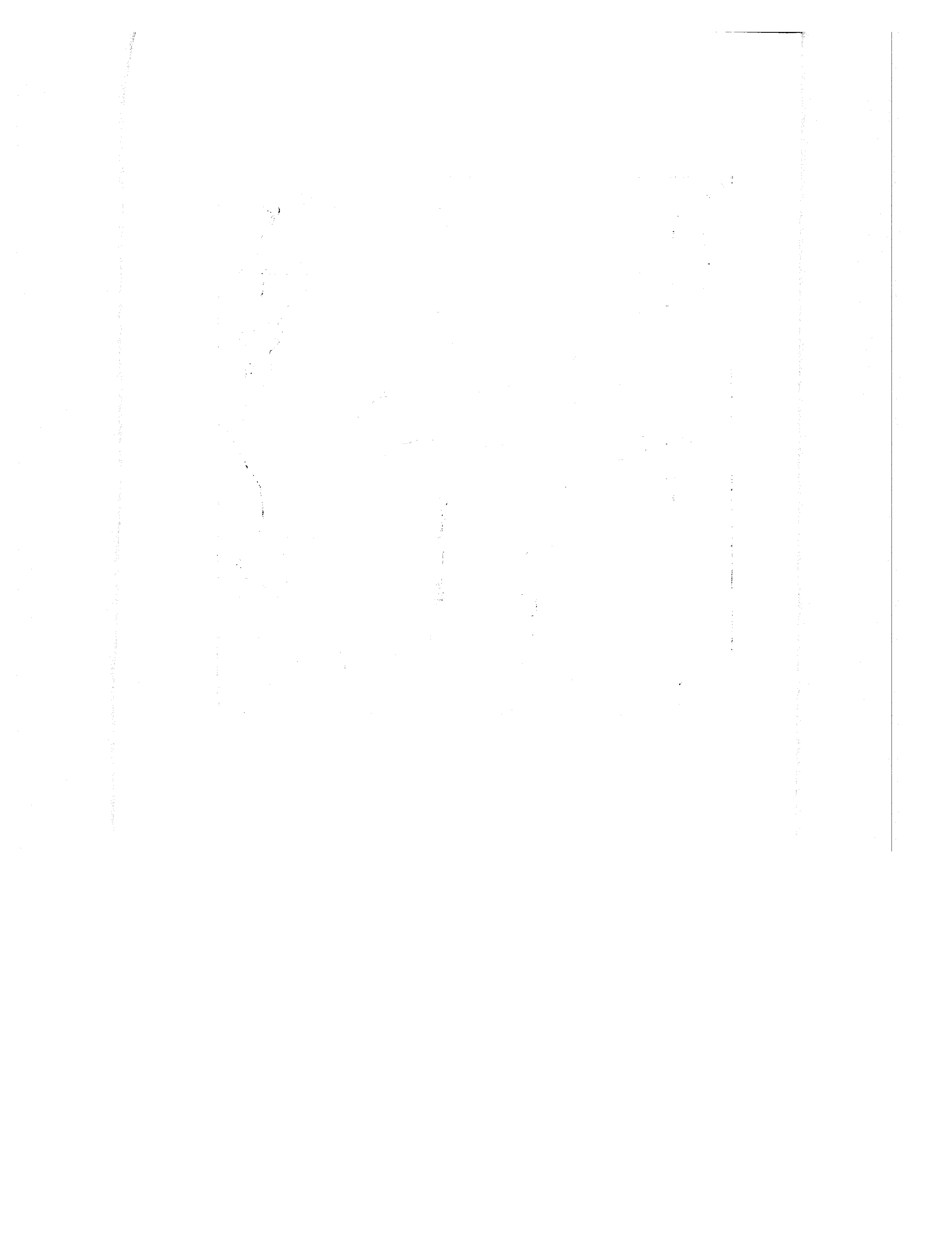
Ehrenkautz : Arabic Dinars Struk by the Crusaders — ١٥١
(Journal of the Economic and Social History of the
orient (Vol. VII part. II, 1964).

Coitein (S.D.) : From the mediterranean to India Docu- — ١٥٢
ments on the trade India,
"Speculum XXX I X No, 2, Part I, April 1963".

Coitein (S.D.) : Bankers and Accounts from the Eleventh — ١٥٣
century A.D. "Journal of the Economic and Social History of
the Orient (Vol. I , Part I-II November 1966).



البحر المتوسط
(بحر الروم)
الإسكندرية
رشيد
بحيرة نستروه
دمياط
بحيرة تنيس
الفرما
قطية
بطن الريف
الحوف الغربي
الحوف الشرقي
شطنوف
بلبيس
خليج أمير المؤمنين
وادي السدير
الفسطاط القاهرة
القلزم
الثغور المصرية
على الساحل الشمالي




بحر الروم (البحر المتوسط)
القلزم
بحر القلزم
قنا
قفط
قوص
القصير
أسوان
جبل العلاقي
جبل الزمرد
صحراء عيذاب
عيذاب
البجة
النوبة
الثغور المصرية
على الساحل الشمالي
والحد الجنوبي

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

البـــاب الثانى

رقم الصفحة

البـــاب الثالث

رقم الايداع بدار الكتب القومية
٨٦/٥٧٥٥
الترقيم الدولى
٢ — ٠٢٣٩ — ١٠ — ٩٧٧

طبع هـــذا الكتاب بمطابع
دار الاشـــعاع للطباعة
١٤ شـارع عبد الحميد — جنينة قاميش
السيدة زينب — القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩